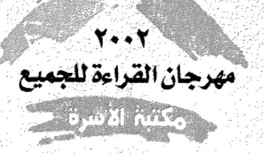


منير عامر

عناق الأزرق والأخضر

رواية تسجيلية عن حياة الفنان سيف وانلي

الهيئة المصرية العامة للكتاب
الأعمال الخاصة

اهداءات ٢٠٠٤

أسرة المخرج / إبراهيم الصحن

القاهرة

عناق الأزرق والأخضر

رواية تسجيلية عن حياة الفنان

سيف وانلى

منير عامر



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الخاصة)

عناق الأزرق والأخضر
رواية تسجيلية عن حياة الفنان سيف وانلى
منير عامر

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى
الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد
المشرف العام :
د. سمير سرحـــان

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقـافـة
وزارة الإعـلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزار ة الشــباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة بإصداراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيباً فى المكتبة العربية وأن تزيد رقعة القراءة والقراء، بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيرى على إصداراتها غير مسبوق على مستوى النشر فى العالم العربى أجمع، بل أعادت إلى الشارع الثقافى أسماء رواد فى مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص، ها هى تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالى فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعى بعد أن حققت فى العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعاً على الموسوعات التى أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام فى «مكتبة الأسرة» .. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ سوزان مبارك..

د. سمير سرحان

رواية تسجيلية عن حياة
الفنان سيف وانلي

الإهداء..

الى حياة عشرة أعوام

أفتقد احضانها كثيرا ..

واضحك لتمردها كثيرا ..

عناد الأزرق والأخضر

يوسف فرنسيس

الاسم : محمد سيف الدين وانلى ..

الهدف : أن يعطى الحب لكل الألوان ..

المنطق : الراحة التى لا تأتى ، والابتسامة التى تسير من الليل السكران بزيت الكتان الى العيون .

الحب بلا قانون ، السرور بلا منطق ، الموت كالميـــــلاد . ! محمد يحب الحياة ، يعيش فى الاسكندرية .. يرسم الاعوام .. تلك هى بطاقة المعرفة التى يلخص فيها منير عامر حياة فنـــــان الاسكندرية المعروف وانلى .. بعد مطاردة طويلة فى ٢١٥ صـفحة .. تنتهى الى أن الكاتب نفسه مغرم جدا بحب الحياة وشغل نفسه بتفسيرها من خلال ألوان الفنان .. والا لما تعذب واحترق وأعاد ميلاد نفسه فى شتاء الاسكندرية .. ديســـمبر ١٩٠٦ ، وأذاب نفسه فى الكلمات التى تحكى قصة مدينة ، والعالم الذى ينمو ، والشوارع التى لم تكن الشـــــوارع والاهل المطرودين على حافة

المدينة ، وخفقات الحب للقلب الذى يعيش فجر ابنة السادسة عشرة ·· وعناق الازرق بالاخضر ·· وحب سيف لأخيه أدهم ·

والتصدى لعرض قصة حياة فنان ·· يعيش رحلة الحياة ·· قد تتيح للكاتب أن يحصل على المعلومات من شفتيه · والتفسيرات لأسئلة اللون ·· ومعانى الخطوط ·· وخفقات الدنيا ·· ولكن الكاتب هنا قد يخضع تماما لوجود الفنان ·· فلا يستطيع أن ينظر اليه نظرة شاملة بدون أن تخضعه الشخصية الى سيطرتها ·· ! ·· خاصة وان الوجود نفسه للفنان قابل لتغير فنه ، وأسلوبه ونظرته للاشياء ، وفلسفته الخاصة ·· بل قابل لمناقضة نفسه أحيانا ·· وهنا يصبح أى « تاريخ » له ·· مجرد « عرض » لفترة معينة من حياته ! ويتجمد الكتاب ·· بينما يتسع وجود الفنان · !

وقد دخل منير عامر قلب هذه التجربة الفريدة ، وهو يدرك أخطارها ·· لم ينظر منير عامر الى سيف ، ولكنه نظر خلاله · ! ليستوعب فترة قلقة ومتغيرة من تاريخ فنان فى فترة من عمره ، وانعكاسات الحياة والارض التى يعيش عليها على ألوانه ومشاعره ·

انها محاولة جديدة على المكتبة العربية ·· ومن قبل عندما كتب « سمرست موم » قصة « القمر وستة بنسات » التى استوحاها من حياة جوجان ·· رفض ابنه الراهب الاعتراف بها وراح يكتب قصة جديدة ·· أشبه بسجل جاف « لدفتر يومية » ! وظلت قصة موم ·· رغم بعدها الظاهرى عن حياة الفنان أقرب الى تفسير أعماقه ·· لانها احتوت مع النموذج الانسانى وخلال العمل الأدبى ، تفسيرا رائعا للقلق الهائل الذى يعيشه الفنان ، ويحترق فيه لحظة الخلق الفنى ·· والكاتب أقرب الناس الى فهمه وتفسيره لأنه أيضا يحترق به عندما يعيد بالكلمات خلق معانى الألوان ·!

وقد استغرق اعداد كتـاب منـير عامر عن سيف وانلى أربع سنوات وأغلب الظن أن هذه السنوات ستضع نفسها بين سـيف وكتابه ٠٠ لأنه اليوم على مسافة من نفسه ٠٠ ولأن ساعة الفنان هى أيام البشر ٠٠ ستتحول هذه الأوراق الى ملامح لفنــــان آخر ٠٠ !

انها محاولة تحرر للكلمة من ملامح الفنان ٠٠ ومن نفسه لتستوعب الفن ٠٠ وتجريد لعاطفته ٠٠ لتتسع لكل العواطف انها هذا الخط الوهمى الذى ندركه باحساسنا ، مثل الافق الذى تلتقى فيه الأرض والسماء ويذوب الأخضر والأزرق ٠٠ فى عناق خالد ٠

« **يوسف فرنسيس** »

اهرام الجمعة
فبراير ١٩٧١

عن الكتاب :

أعماق الانســـان كرة زجاجية مسحورة ، وأمام هذه الكرة نختلف ونتفق ونحاول أن نفهم ٠

والفنان سيف وانلى استطاع خلال رحلة طويلة وصعبـــة أن يحطم ما حكموا به عليه قديما ٠٠ استطاع أن ينـــجو من تراب الوظيفة الصغيرة الى مكانته ٠٠ تلك المكانة التى تنال شرف القدرة الفائقة للتعبير بالألوان ٠

حاولت أن أعرف كل ما فى داخل كرة سيف الزجاجية ٠٠ وفى شتاء ١٩٦٤ أقنعت الفنان سيف بأن يكتب مذكراته ٠٠ قرأت المذكرات ، واندفعت الى كتب الفن والتاريخ أحاول أن أغزل من كل ذلك نسيجا تسجيليا ٠٠ حاولت أن أرى علاقة أى شىء بكل شىء ٠٠ منذ بداية هذا القرن ٠٠ حتى عام ١٩٦٠ ، رأيت « الجزء » يبدو وسط « الكل » مجرد أسير وشهيد ٠٠ رأيت « الكل » يبدو شرسا وجلادا تحت دعوى الجوع الحاد الى الأمل ٠

٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠

حاولت أن أتأمل واقـــع فرد واحد فنـــان ٠٠ أدرس من خلاله ايقاع الألوان ٠٠ وكتبت حياة سيف مع الالوان لأنشرهـــا فى

روز اليوسف ·· وعندما بدأت أعد ما كتبت للنشر فى كتاب ·· كان عام ١٩٦٧ قد لوى رقبة كثير من الموضوعات فى رأسى ·· استبدلت بعيونى المزدوجة الرؤية عيونا أخرى بعد أن انفجرت في وجهى قنـــابل المسافة بين ما نحلم به وبين ما نحن عليه فعلا وبدأت أعيد ما كتبت ·

·· ·· ·· ·· ··

حاولت أن أرى سيف من خلال المعادلة الســـــاذجة التى نتجاهلها أحيانا ونعلق عليها سلاسل اللامسئولية فى أحيان أخرى· المعادلة التى تقول ان الانسان انعكاس لما يعيش · اضطررت أن أخلق فى حياته بعض الاشخاص··كان ولابد أن يكونوا فى حياته··ـ من وجهة نظرى ـ ·· ولم يقـل لى عنهم ·· رأيت أوربا وهو يقتنصها بأطيب ما فيها ·· بعد أن رأى أسوأ ما فيها ·· مثل التحديد القاطع القديم لكل متعلم بأن يكون موظفا له روح الخدم · جنود الاحتلال فى الشوارع ·· سيطرة الاجنبى على كل شيء · وفى المقابل كانت هناك عبر البحر أشياء طيبة ·· ألوان ترفض وتحتج وتعبر وموسيقى توحي وتعيد للانســـان احســاسا بأنه كائن آدمى ·· عبر سيف البـحر المتوسط بأفكاره · شرب واحتضن وأخذ وتعلم كل ذلك وهو واقف فى مدينة الاسكندرية ·

·· ·· ·· ·· ··

المرأة فى حياة سيف لا يبوح بها ·· كلماته عنها تدور بعيدا عن التفاصيل ·· ضحكاته عندما تأتى سيرة النساء تحتوى كتمانا

.. سمعت منه بعد الحاح شديد تفاصيل لا تزيد عن الكلمات « المرأة يتعرف عليها الشاب فى أحد البيوت » .. الفنان يلتقى بالمرأة فى الموسم » . « كانت هناك مايا .. بنت طيبة وحلوة فى فرقة زنجية » و « لم أتزوج لأنه كان على أن اختار بين أن ارسم أو أن أشترى طعاما لزوجتى » . ومن خلال ذلك تم ميلاد ثلاثة شخصيات نسائية فى هذا النسيج التسجيلى .

.. ..

هل ماكتبته رواية تسجيلية .. عن سيف ؟ .. أسمع لنفسى أن أقول « نعم .. حاولت فيها بقدر امكانياتى وقدر اتساع حياة الفنان .. حاولت أن أوضح .. رحلة عزلة فنان عن التفاصيل اليومية .. الى تفاصيل أخرى .. فى عالم الألوان .

وقد تكون هذه الرواية فى حالة طفولة بالنسبة للأعمال الروائية القليلة والضخمة فى حياتنا . لكننى أثق أن الاستمرار هو طريق النضج للتعبير عن العصر . وأرجو أن أستمر فى هذا الاتجاه .. استفيد من ايجابيات ما وصلت اليه أيا كانت .. وألقى بالسلبيات أيا كانت ..

.. ..

كل ما أحلم به أن تستطيع هذه الرواية أن تضيف فهما نستطيع به أن ندفع جدران حياتنا الى الاتساع .. أن تحطم هذا الخصام الابلة بين عيون كثيرة وبين الألوان

.. ..

اشعر أننى مدين لكل ما رأيته فى الفن التشكيلى . وماقرأته عن هذا الفن .. وما سمعته من موسيقى وما عرفته عن الباليه

عناق الأزرق والأخضر

رواية تسجيلية عن حياة الفنان

سيف وانلى

.. أشـــعر أننى مدين لكل جهد ساهم بشكل أو بآخر فى اثراء الانسان بهذه الفنون .. أشكر كل من ساهم فى ذلك وعرفته .. واعتقد أننى سأحاول دائما أن أعرف ما لم يأت الى حياتى .

الكرة الزجاجية التى دخلتها .. هى أعماق سيف من وجهة نظرى .. وحياته هو .. قد يراها .. غير رؤيتى لها .

القاهرة   يناير ١٩٧٠

م . عامر

الفصـــل الأول

نواية تسند الزير
تسند البحر الكبير
وفين نوايتك يابلدى ؟

« من أغنية لم تتم »

نصف الجدار رمادى · نصف مفتاح النور أزرق · المرآة فى المواجهة · والشعر يختلط فيه اللون الابيض والأسود · لون الشعر رمادى · انه لون الفجر · والنظارة من سلك ذهبى أصفر · ولون العدسات الزجاجية لون المياه · الماء لون غير مخلوق بعد · انـــه على استعداد لامتلاك كل الألوان ·

وشارع المرسم الأخير نظيف وضيق · فيه ازدحام رؤيـــة الأعوام · الحائط مرتفع · والاسم على الباب «سيف وانلى» · السلم العالى الرومانى · السلم يبدأ من بوابة اغريقية تطل على شارع · الشارع يخترق العيون بلون سنجابى · البوابة بجانب (سينما) صوت يونانى على الباب · الصوت يصطك ببرود غير مرئى · انـه غروب صوت · الوجه اليونانى فيه تجاعيد منبسطة· بجانب صاحب الصوت مسرح · المسرح يحمل اسم رجل مات · سيد درويش · وتحت المسرح اعلان عن السينما · « سينما رويال » · السينمـــا مهدلة الالوان وتمتلىء بالشباب «رويال» · ذكريات · رمادى · بنى · أسود · أحمر · حديد لا لون له · على البعد جرس كنائس يرقد أمام كنيسة بيضاء · الكنيسة تحت الارض قليلا · تنزل اليها درجات · فى ساحتها الجرس الكبير · أكبرجرس فى المدينة ·عشق الجرس الأرض وأخذ لون الميـلاد الأخضر فى بطن الصدأ البنى · يرسم الجرس ظله على الأرض · تدق عليه أقدام الاطفال · الطريق الى المرسم الأخير · البوابة · السلم مرتفع والمصعد بطىء · باب المرسم رمادى · جرس الباب ملون · أضغط الجرس · الباب عليه

خطوط بالاسم « سيف وانلى » · حروف حمراء تنام على كف بلا أصابع · يفتح الباب رجل له شموخ بسيط ·

ـ أهلا ·

تخطو الأقدام · موسيقى فاجنر · لوحات · لوحة « الرجل الذى فقد ظله » « المغنية » · رائحة السجائر الانجليزية الثقيلة · الفيولت هو لون الغروب الازرق قليلا ·· لون صعب يهمله الفنانون · لوحات · ألوان · احذر · عيون تلهث · موسيقى الألوان · لوحات على الأرض · لوحات فى كل مكان · مربعات · مستطيلات· امتلاء العالم بالالوان· احذر · لوحة ألوانها محروقة لكنها تضيء · احذر · ألوان فى كل مكان · أسئلة عن الصحة والأحوال · الذراع علاه التعب · لا تهز اليد كثيرا · الصوت بين الطفولة والنضج والتجربة ·ألوان الملابس قوية وهادئة· ألوان تنبع من بحيرة اللون الاسود · ألوان تنمو فى العين · تمتزج بتاريخ فات · تتوازن مع لحظة قادمة · درجات اللون الرمادى · البنطلون سنجابى حاد · أخذ اللون وقار الأسود ورفض فى الأسود طاقة امتصاصه للضوء · القميص رمادى فاتح ·· يأخذ نقاء السحاب ويضحك فى وجه شمس غير مرئية · « الجاكت كاروه » ·· استرخاء مربعات سوداء على لون رمادى · القميص رمادى · ليست هناك رابطة عنق · لا يجب أن يشنق الانسان نفسه بطريقة تقليدية للاختناق · هناك اتفاق عرفى بين الرجال على المشنقة الملونة لكن سيف لم يوقع على هذا الاتفاق العرفى ولا يلتزم به · لم يكتب « أنا الموقع أدناه محمد سيف الدين وانلى » · لذلك لم يلتزم ·· الطفل الولد سيف لا يلتزم · اتفاق عرفى قديم أخل به سيف · أطفال المنزل كلهم من البنات · جاء سيف · فتحطم الاتفاق · ولد بعد أربع بنات · فرخة بكشك لأنه ولد · استثناء

قادم الى العالم الصغير · يتلخص الاستثناء فى خطوط سوداء على ورقة من الاوراق التقليدية المسماة شهادة الميلاد · الورقة محفوظة فى ملف بمصلحة الجوازات · الخطوط التى فيها ليست لها دلالة أكثر من أنهــا أسماء ·· حروف من لون واحد · هو الأسود · خلق الله اللون ثم خلق الصوت · ثم خلق الحروف · الكلمات آخــــر أبناء الله · الألوان اتفاق شامل بين كل العيون لكن هناك نوع واحد من الصوت هو المتفق عليه بين الجميع · الموسيقى ·· أما الحروف فليست لها هذه الامكانية ·· هناك اختلاف عليها · لذلك يختلف الناس فى معانى الكلمات · الكلمات آخر أبناء الله · الحروف على الورق تقليدية · الاسم محمد سيف الدين · النــوع ذكر · الدين مسلم · الجنسية مصرى · اسم الوالد اسماعيل محمد وانلى · اسم الوالدة عصمت هانم الداغستانى · اسم الداية صـــالحة أفندى · تاريخ الميلاد ٣١ديسمبر ١٩٠٦ · الحى محرم بك· المدينةالاسكندرية· خطوط · حروف · تاريخ · ماض · الحــاضر من الماضى · سيف ومحرم بك والمدينة وكلمة مصرى ·· ولكن كل شىء تغير حتى معنى الكلمات · العالم ينمو · الألوان تنمو · المدينة تنمو · كل شىء له لون قادم · الحاضر ليس الا حركة فى طريق اللون القادم · الشوارع لم تكن هى الشوارع · الطربوش ينتشر فى عام ١٩٠٦ · «اليشمك والحبرة » يعيشان خلف النوافذ المغلقــة · أحيــــاء للأهل وأحياء للأجانب · الأهل مطرودون على حافة المدينة ·· الأجانب يحتــلون قلبها ·· ما الشىء الذى يفرض ذلك ؟ قانون غير معروف ·· شقاء أن يأتى الانسان الى العــالم دون أن يعرف مقدما أى القوانين تحكم المــكان · عالم مصنوع من جدية غــير حقيقة · السماء والاشجار والترعة وبائعة التــوت ولا صبر غير الانتظار ·· والانتظار عقارب تدور وتتحرك وتلقى بالعمر الى الأمام · والأمام شوارع· والشوارع مملوءة بأصوات غير مفهومة · لكن يأتى الى باب العالم صديق جديد

فى ٢٥ فبراير ١٩٠٨ اسمه أدهم وانلى ، أدهم يستطيع أن يشرح هذا العالم غير المفهوم·· كيف جاء أدهم ؟· أدهم يعرف أن نصف مليار عام مضت على أول أدهم جاء · التقى بحواء نظر اليها قال لها « أحبك وقد أعطانا الله الحنان حتى يرى نفسه موجودا » · قالت حواء : « لا ·· أنت لا تطيع أوامرى · أريد غزالا تأخذ لى عيونه أكتحل بها ·· ونعامة أغلى ريشها وأستحم بنعومة هذا العصير · وأريد أغنى أبقار العالم حتى أرضع كل لبنها · وأريد أن تحضر لى الشمس الغاربة لأكسو بشرتى بلونها · أما الشفة شفتى فأنا أطلب لها تفاحة · ووافق أدم على رحلة العذاب تلك · وأنجب أطفالا ·· ظل الاطفال يكبرون حتى جاء وانلى والداغستانى ·· الأول مولود على بحر قزوين والثانى حفيد جانجكيزخان · كان كل منهما جسد منفصل أنجب الاثنان أولادا وبناتا · اقترب أحد الأبناء من احدى البنات وقال لها «أحبك» خجلت· جاءت الزغاريد · أعلن تحت كلمات الزواج حق الولد والبنت أن يدخلا حجرة دفء · ومرت شهور وشهور وجاءت بنت وبنت وثالثة ورابعة · ثم دق باب الأم استثناء سيف ·· طفل ·· لم يبك وهو يخرج على يد صالحة افندى الداية التركية · وذاب الارهاق من ملامح اسماعيل محمد وانلى · أصبح يملك امتدادا · الامتداد ضرورى للاطمئنان فى مواجهة أى صباح · وأى صباح ملء بأخبار عادية عن السلطان وعرابى باشا الذى عاد من المنفى وبدا مهزوما ·· واسم الحزب الوطنى الجديد يصعد وعبد الله النديم صوته لم يعد موجودا ·· لكن شباب الحزب الجديد ينسون كبرياء عرابى التى كانت رصاصا ·· يصرخون ضد عرابى ورصاصه ·· « عرابى خان » ·· من الذى خان ؟

الشيخوخة ؟

النفى ؟

الجزيرة البعيدة التى حبسوا فيهـــا قطعة الطمى المصرية عرابى ؟

عرابى الذى كان حلما مستمرا بأن تصبح مصر حرة . بأن يمد المصرى يده عن آخرها دون أن تصطدم بحاجز تركى يقول «لا» بأن يمنع خطف البنـات في ليـالى زفافها . بأن تلغى تلك الافعى المسماة « الكرباج » .

من الذى خان ؟. الخيانة اتهام جاء من الاندفاع وعدم الفهم . التبـاس . الليـــل واضح أسود وبلا أصدقاء . احساس الوحدة يطلب ميلاد انسان . يتنسم اسماعيل وانلى رائحة الزرع فيإشتياق الى ميلاد ابن . وكان فجر ما . تعانقت خلية رجولة بخلية أنوثة . اشتركت الخليتان فى بناء آلاف الخلايا . كانت الخلايا تشـــعر بالوحدة فتبنى خلايا أخرى . كل منها تنمو فى ميدان عملهـــا خلايا عضلات . خلايا عظام . خلايا تبدأ من اللون الأبيض والأحمر والأزرق . خلايا تنقل الغذاء من الام الى الجنين وخلايا المخ تهاجر عبر احتضان الرحم . لا تخطىء طريقها وعنـدما تكون الخلية رقم مليون فى نهاية العدد ستة وعشرين مليون المليون .. تألمت عصمت هانم وجاء اسماعيل وانلى بالداية صالحة أفندى . وخرج الى العالم الطفل محمد سيف الدين ورأى سيف السماء والاشجار والمدينـة المقسمة . لكن من المسموح أن يلعب مع الصديق الراقص بالفهم ، المشتعل بالهدوء العنيف. المتوتر من فرط ضجيج التعامل معالشارع وفهمه ، المسمى أدهم وانلى. رفيق كل شىء .. هو اللسان واليد.. لكن العين .. لا .. كل واحد يملك عيونه وأصابعه .. العيون ترى والأصابع ترسم . العيون تعانق الالوان والخطوط والتكوينات . هناك شىء ما تتفق معه العيون . الخط المرسوم بمهارة الملمسالذى يصنعه سيف أو أدهم .. التكوين الانسيابى لعالم ملون اســـمه

لوحة · امتزاج الالوان بالروح لتخرج على القماش · الاعداد العاطفى للعمل ·

المرة الأولى للألوان مع سيف أو أدهم ·

ليس هناك تاريخ محدد · الكلمات لا تعرف لحظة ما بدأت فيها الألوان فى طرق تلك العيون ·· وكيف تسرسبت الى أصابع الآخرين · الالوان كالكلمات لكنها لا تسمع ·· ترى ·· ولا أحد يعرف متى تكلم أو نطق اسم أى شىء فى العالم · لا أحد أيضا يعرف ميعاد ميلاد الالوان فى عيون الآخرين فىأشكال خاصة· جديدة ·· ترتمى فى أحضان الاحساس · خمسون عاما مضت على سيف · خمسة وأربعون على أدهم · والعيون·ترى · واحساس بالالوان · مساحات زرقاء · بيضاء · حمراء · سوداء · فيوليت ·الفيوليت لون صعب · ميت عند أى فنان · لكنه طفل يحزن ويفرح ويملأ لوحات عند سيف · لماذا هذا اللون ؟ انه امكانية ميلاد · الضعف أمام المساحات البيضاء والصداقة مع كمية الشعر التى فى طرف الفرشاة والتمكن من استعمال الألوان · كل ذلك يعطى سيطرة حتى على اللون الميت · رحلة طويلة مع الالوان · خلالها قصص الحب والتوتر · عفاف مطلقة صغيرة فى السادسة عشرة ·· العمر ياسيف أربعة عشر · تجربة أولى ·· الطفل يتراجع أمام الرجولة البكر · ليليان · شرين · مايا · أما أدهم فله حكاياته « فانى » الضحك الأوربى الذى ينساب بلا توتر · المرأة تلخص الطبيعة ·· المرأة تحوى ألوان الطبيعة تأخذ من الشجر والجبل والقوقعة ·· المرأة أكثر أشكال العالم اكتمالا · حواء · آدم · التفاحة · فاكهة العالم وفرحة الرب المنتشى بانتصار طفولته · لكن هناك نبض آخر · كيف يرى الانسان كل شىء ؟ هذه « كيف » التى تعزف العذاب ويحكيها الطفل العجوز سيف بالبساطة والمهارة والانهمار وتتحرك فى يده الخطوط لتكون حركة · العيون تلتقط كل شىء

تسجل العالم وتخلقه من جديد . والطفلان لم يكن أمامهما سوى أن يستعملان العيــون . والطبــاشير الملون . مايكل نجلو دافنشى . رافيل . روبنز . تولوزلوتريك . استعمل هؤلاء الطباشير الملون . أداتهم فى فهم العالم واعادة خلقه . العيون لا ترى الا الحدود التى تريدها . وعيــون عــام ١٩١٢ تتعلم كيف تكون ضد الوجود .. فالوجود مطرود فى المدينة المقسمة . الوجود لا قيمة له سوى أن القصر الكبير الذى يقيم فيه الطفلان مجــرد جدران فارغة ولوحات لا تتحرك وتماثيل هادئة .. ليس للجدران ضجيج الشــارع أو عواصف البريق فى عيون بائعة التوت .. العيون ضد هذا العالم لكنها تعيشه . لا تســتطيع العيون أن تبعثر نفســها دون تحديد التماثيل الموجودة فى القصر الصغير . متحفية . فخمة . أبدية . ليست صديقة .. بهــا كبرياء شــــوارع الأجانب . لا بد أن تفقد احترامها . الطباشير الملون فى امكانه أن يصنع للطفلين ضحكة على التماثيل الوقورة . يرسمان عليها يحطمان موتها . موت التماثيل منتدب الى القصر الصغير . والجد الغنى كبير . الجد يملك كل العالم . لكن العــالم الذى يملكه الجد عالم ضيق . الوالد كبير لكنه طفل أمام الجــد .. والأم وجه طيب والعمر .. عمر الطفلين أصبح يستدعى الانتباه ويســترعى كلمة « التعليم » .. التعليم فى مدينة الهواء العنيف . أقفاص التوت تبيع التوت بلا عدد ولا يدفع أحد سوى مليم . لكن هناك الرعب . من الممكن ببساطة متناهية أن يلتقى وجه انجليزى أحمر بالطفلين ويلقى أحدهما بكلمة لا تعجب الوجه الأحمر فتكون النتيجة ضربة حذاء فى جبهة الولد . الطفلان لن يذهبا الى المدارس . الناظر الانجليزى قد يحبس أحدهما فى غرفة وهو وحيد غرفة الفيران المظلمة . لن يذهب أحدهما الى المدارس لأنها صناديق تعبىء الأطفال للموت بأى طريقة .. سواء عن طريق طباعتهم بالاذعان

للوظيفة أو للجنس الأرقى ، الأبيض ، الاوربى ، الاكثر ذكاء ، الأكثر فهـما ، الأكثر أدبا ، الأوفر انسانية •• لكنها انسانية غريبة جدا •• هذه الانسانية المؤدبة البتول التى تصنع ابتسامتها أحيانا من ضرب الأحذية فى جماجم الاطفال •• الطفلان يبكيان • لا يعرفان أن الجلوس فى المنزل وقاية من حذاء الولاء أو حذاء الموت • الوالد يصر على حمـــاية الطفلين •• الأم تستسلم لرغبة سـيف وأدهم • لكن الرجاء على شفتيها يقف • يتردد الرجاء على شفتيها •• ويسـمعه الأب • أخيرا تهمس الام •• «الاولاد يريدون المدرسة» يكون الرفض عالى الصوت من الأب والجد • لن يذهبا الى صندوق الموت • الوجوه الحمراء تملك الأحذية وتعارض الأم بهدوء « الذى يسير على الناس يسير عليهما» • لكن هل سيف أو أدهم من الناس ؟ كلاهما استثناء وسط عالم من البنات • والاستثناء هو رفض القاعدة • والرفض هو وسيلة الاحساس بالكبرياء •• من يقول « لا » يستطيع أن يغير •• يهتز الاب ويقول آه لو قال كل الناس « لا » •

سيخرج الانجليز •• لن يصبح الافراد أفرادا • لن يضطر كل يوم أن يسأل عن سعر القطن فى البورصة • سيكون ضـــمن المجموع• الكتلة الواحدة ذات الصوت الذىيمكن أنيحرك ويتحرك• الواحد بمفرده يتحرك لكنه يمـوت • الكتلة الواحدة لا تموت •• لن يتعامل الافراد داخل الكتلة بالهزيمة التى يعـانى منها الانسان وهو فرد • لكن الكتلة أفراد مفككة • انكسار عام ، هذا الرجل الذى يصرخ بابتهال مهووس يعبر عن كل شىء •• يذكر كل وحينـــد داخل الكتلة بانه وحيد بالفعل •• لانه داخل كتلة لم تتمـــاسك بعد •• الرجل فلاح فى ملابس بيضاء ويرفع يده الى السماء بسؤال مرتفع الصوت « يارب اذا كنت أشركت الانجليز فى جبروتك وملكك فلماذا لم تقل ؟ •• كون الأرض يملكه الانجليز وأنت سـاكت يا رب ؟

كلمات عار · حى محرم بك يرتج بالكلمات · لا أحد يقول له « اسكت » الكل يعرف حكايته · اسماعيل محمد وانلى وحيد ·عاش اليوم الحزين ١١ يوليو ١٨٨٢ · أعطى الاميرال سيمور أمر اطلاق القنابل على الاسكندرية · كانت المذابح · قتل الاصدقاء ·· الدم يجرى · الهزيمة أجساد تتحرك ·· المدفع يحمل لها الأطفال الذخيرة · لكن «سيمور» جزء من الحديوى · الخائن · ماتت بالمدافع مصانع الورق · بيعت مغازل القطن · تعطلت الترسانة البحرية · تشرد عشرون الفا من العمال المهرة ·· أبواب قلاع الاسكندرية مفتوحة · تحتضن هزيمتها · البضائع الأجنبية تملأ الشوارع ·· مندوب الاحتلال كرومر يشهد بذلك «من يقارن حالة مصر الآن بحالتها قبل الاحتلال يرى الفارق شاسعا ·· الشوارع التى كانت مليئة بدكاكين أصحاب الحرف والصناعات أصبحت مزدحمة بالمقاهى والدكاكين امتلأت بالبضائع الاجنبية وانخفضت كفاءة الصانع المصرى وفسد ذوقه الفنى » · هذا اعتراف مندوب الاحتلال ·· لكن ماذا يمكن أن يفعل الواحد أمام كل ذلك ؟ « المصريون كل منهم واحد وليسوا كتلة ·· وأى واحد عندما يكون وحيدا يدافع عن نفسه ·· يجرى الى الرزق بحصان من طعن الآخرين ·· الخائن واحد وحيد ·· الصباح يحوى الخوف من أن يتم اليوم بكسله التقليدى الملىء بالرعب · الذوبان فى الكلام على المقاهى · الواحد الوحيد الخائن ·· خان لأنه يسمع صوت نفسه وحدها ·· لا صوت هناك لآخرين · الليل ليس الا انتحارا فى جسد امرأه · أو اغتصاب بدن زوجة · المرأة هى الرجاء وهى التى ترضخ والتى يقهرها الرجل ·واذعانها ازدواج ممقوت » لو صرخ كل رجل « انا وحيد » ·· لكن صوت المرأة الحار يغسل هذا الازدواج · الجارية تطفىء القلق وتورث الكسل · والادب مفروض مع الاخلاق المبتسمة للجنود الحمر ومصطفى كامل يتكلم · ويتكلم · الكلمات أغان لكن الاغنيات ليست رصاصا

·· كلمات عرابى كانت رصاصا ·· الرجل الفلاح يصرخ فى الشارع بكلمات أخرى (نواية تسند الزير · تسند البحر الكبير ·· وفين نوايتك يا بلدى) ·

البلد تبحث عن نواة يلتف حولها الرجال · عرابى كان نواة ·· مصطفى كامل نواة أخرى ·· لكنها نواة كلام وليس فى يدها رصـــاص · والزوجة عصمت هانم الداغستانى ترقب الأطفـال ·· الأطفـــال نواة شىء ما قادم · هكذا علمهـا أبوها ابراهيم أدهم الداغستانى صديق جمال الدين الأفغانى ·· أين يتعلم الاطفال ؟ فى المنزل ·· المنزل قصر كبير يحتوى على كثير من اللوحات والتماثيل· منزل أعيان · الفن فيه ليس ترفا زائدا عن الحاجة · انه موجود فى الذهن والاحساس · الوضع الطبيعى فى هذا المنزل ·· شاذ فى المنازل الاخرى ·· العيون كلها تنظر فى كل المنازل الى الداخل ·· حيث القهر ·· والقهر بخـــار أسود يضع السحاب على العيون فلا ترى الجمال ·· أبناء الموت الانيق ـ الأتراك والمماليك ـ حبسوا المتعة بعيدا عن عيون الناس · وجاء الانجليز ليجدوا أن الاحساس بالجمال هو بداية الاحساس بالحياة · ولا بد للمصريين أن يكونوا حيوانات ·· حتى يمكن الحفاظ من انسانية كل مصرى على ما هو صالح لينتج للسيد المؤدب ابن أوربا البتول · اسماعيل محمـد وانلى يحس ذلك ولا يعيه · التذوق الفنى هو غذاء مادى للنواة حتى تكون موجودة··رغبة عاطفية فى العيون ··ابتهال دينى متصوف·· تجربة عقل··حوار قائم بين العين وبين الالوان· بين الزمن والواقع· المعمار ألوان ·· لماذا كل شىء له لون ؟ ولماذا اختار المصريون القدماء الخطوط البســيطة الفسيحة ·· ولماذا اختـاروا النحت البارز ؟

التماثيل والنحت والخطوط جزء من البيئة · اللون على اللوحة تعبير عن ماضى وحاضر ومستقبل ·· الزجاج والحديد والستائر والأقمشة كل شيء فيه نسبة ولون وخط وتصميم وفراغات ومساحات وأحجام · الحياة اذن ليس لها لغة واحدة · الحياة أعطت الانسان اللسان واليد والعين والأنف والأذن · ووراء كل ذلك تنظيم حساس يتنبأ ويقال عنه الحاسة السادسة · التنبؤ ليس الا تفاعلا بين الحواس الخمس · ولكل حاسة لغة · اللسان يتكلم والعين ترى واليد تلمس والأنف تشم والأذن تسمع ولكل لغة خاصة · الأبناء يجب أن يتعلموا كل لغات الحياة ·

ولغات الحواس تصنع أخيرا تذوقا كاملا ·· تحديد متعدد الزوايا··لكنه يخلق قلق البحث عن التغيير·يمكن أن يجد اجابة على السؤال الصعب ·· ما الذى تضيف للحياة ؟ اسماعيل محمد وانلى يرى الموت معبأ فى ملابس والملابس تسير فى الشوارع · والشوارع فارغة من الحياة وليس فيها سوى الضجيج ·· اعادة تربية الواقع يجب أن تتم · والفلاح صاحب النداء فى محرم بك · كان قمح قرية الفلاح مجموعا لتحمله عربات الى معسكرات الانجليز · اجتمع أهل القرية فى ساحة الجامع · قال الفلاح النداء « يارب اذا كنت أشركت الانجليز فى ملكك وجبروتك فلم لم تقل ؟ كون الارض يملكه أولاد الكلب وأنت ساكت يارب » وتحرك الرب فى البشر · كسروا القضبان الحديدية وفرقوا قمح القرية على أنفسهم بالتساوى · هكذا قوانين الحرب فى الاسلام ·· حكم الانجليز على الفلاح بالموت · انهالت « الكرابيج » على الجسد الشاب · الرجل

فلاح ولا يعرف جريمته ‥ الرجل فلاح ولا يجـد نفسه على لسانه متهما . لكنه يتهم الآخرين . فقد الرجل صوابه وخرج الى الشارع وخلع العمامة ولن يلبسها قبل أن يحدث الانتقام ، لكن كيف ينتقم واحد دون أن يكون ضمن جموع ؟ . ولا يبقى الا الذهول والنداء والعار ‥ الاصوات المطالبة بالحرية يعرف الانجليز كيف يمكن أن تنحنى . تتعلم فى لندن وباريس آداب المائدة وكيفية معاملةالسيدات والرقص وطرق ارتداء ملابس السهرة . بالامكان أن يصبح المطالب بالحرية مجرد بدلة معباة بالاطمـــاع الخـاصة . أن يصبح نسخة رديئة بالكربون لانسان كان أصيلا . من الممكن ـ أحيانا ـ أن يتجرد الواحد منهم ليصبح بديلا للانجليز . ويصل الامر الى معايرة الناس بهم « هؤلاء منكم » ‥ واسماعيل محمد وانلى يكتم صرخته .

هناك رجال تشبه الرجال .

لكن من هو الشعب ؟ هل هم هؤلاء ؟

اسماعيل يقول «لا» والرجل المذهول بالدعاء يقول «لا» ومصطفى كامل قال «لا» مصر ليست هى مجموع النـــاس الذين يعيشون على خريطة فيها أجنبى ، هذا فهم ناقص . صحيح ان مصر عليها لون علم الانجليز ‥ وهى محسوبة ضمن شعوب المستعمرات.

وصحيح أن خريطة مصر ضرورية لتعريف هذا البلد . لكن الابيض الانجليزى ينسى ما يتذكره محمد فريد ‥ ان الناس على أرض مصر هم حـــركة الصراع من أجـــل الوقـــوف كل يوم أمام العلم الوطنى لتحيته وهو وحيـــد عال فى السماء ‥ على أن يضمن هذا العلم الطعام والعمل والحب ‥ ليست مصر اذنهى عملية التسول التى يقوم بها بعض من تعلموا فى الخارج ‥ من أجل أن يصبح العلم الوطنى موجودا مكان علم الاحتلال ‥ ثم لامانع لديهم ان يحتوى العلم الوطنى داخل قماشه الوانا غير مرئية لعلم الاحتلال

وعلى أصحاب الالوان غير المرئية أن يتبرعوا بالاصلاحات التى تجمد الصراع وتكذب على الاولاد ·· أطفال المستقبل · اسماعيل محمد وائلى يعرف · ومن يعرف يتعذب · ومن يعى أن قيمة ماتعطيه الارض من الزرع لا تكفى أن تسدد الضرائب··من يعى ذلك لابد أن يصرخ ·· لكن اسماعيل يعرف ما هو أكثر ·· المدن لاتعى ان الأبرياء لا يتعلمون وأن المال فى «البورصة» يخدم الأجانب وحدهم ولا أحد يمكنه أن يرسم مستقبلا ما · فليست هناك ذرة واحدة من الثقة فى أن الغد قادم يبتسم · الغد قادم بالحزن ولا أمل الا فى استجلاب أقرب لحظة سرور ثم الانقلاب فى بئر سخط غير مفهوم ورضاء بلا سبب وحزن بلا سابق انذار وفرح مكسور وسرور مقهور ومكر ساذج وتواكل لأن الغذاء لا يحمل الى العقل امكانيات الطاقة ·· ورغبة أن يدفن كل الرجال رءوسهم فى أحضان النساء واحساس بضرورة الدفاع عن النفس ضد عدو غير مرئى ·· الانسان متهم وجريمته مجهولة الشارع مستشفى أمراض عقلية بلا حراس ولا أطباء ·· شروط الحياة لا يعرفها أحد · يعزف «مارش الجنازة» فيها «الخواجات» ·· الطموح فى المدينة ·· تابع خائن · يحتقر الآخرين ويعلن عن نفسه فى اسم حزب سياسى جديد هو حزب الأمة · الذين خانوا عرابى يصنعون لأنفسهم برنامجا لخيانة كل الآخرين بانتظام واستمرار ·

آه لو أن عرابى لم يوافق على برنامج شريف باشا ··

آه لو ضرب عرابى كل الشراكسة بالرصاص ··

« لو » من عمل الشيطان والشيطان يرقص فى كل مكان والحصار فى النفس وضيق أفق الآخرين ·· الذين تعلموا فى أوربا ·· يعملون الآن فى تنظيم زيادة الأملاك الخاصة ·· أى زيادة الجثث التى تتنفس· الرجل منهم أسير أملاكه يا اسماعيل · نوع القماش انجليزى ورابطة العنق فرنسية وزجاجة « الويسكى » أغلى من كل شىء وجسد المعلمة

التى تعد جلسة الحشيش بألف انسان من أمثال هذا الفلاح الصارخ فى محرم بك٠٠ والكذب له حزب٠٠ طموح تابع يحتقر الغد ويحتفظ لنفسه بثقة فى الخواء الانسانى المسمى « غباء الناس » من الممكن ترتيب الكلام بطرق لولبية حتى يكسب الحزب أناسا يريدون الجنة دون أن يدروا انه لا جنة لحزب ما ٠٠ الجنة لا بد لها من الوصول الى الحكم ٠ ومن الحكم يمكن أن يطل الواحد على الاحتلال ٠ ومن خلال الاحتلال تكون الرحلة الى زيادة الرصيد ٠ ويضحك اسماعيل وانلى فى وجه الشيخ معلم الأولاد ٠

ـ هل نؤيد حزب الأمة ؟

ـ عرابى ومصطفى باشا هما الخير

ـ وحزب الأمة ؟

ـ كلاب ٠ أنصاف أتراك ٠

(كانت كلمة حزب الامة كفيلة بأن تجعل رأس الشيخ«كطاسة» الزيت تغلى فيها دماؤه وأن تجعل سيف وأدهم يتحملان من عصاه الكثير ٠

ـ لماذا عمامتك حمراء ؟

ـ أبوك يسأل عن حزب الامة وأنت تسأل عن لون العمامة ٠٠ انها لون جهنم ٠ احملها فوق رأسى ليضع الله فيها الانجليز ٠

ـ وهل فى رأسك نار ؟

ـ والله أكثر من النار يا ولدى

ويتلفت الشيخ ابراهيم ٠٠ الجواسيس يملئون كل مكان ٠ لو قال كلمة قد يضربه عسكرى مصرى وقد يتدخل ضـــابط انجليزى

ليستغفر له ويعتذر • الاعيب أولاد الكلاب «البيض» وترتفع عصا الشيخ ابراهيم دون أن يدرى أنه يتكلم بصوت عال ويضرب الأطفال• الشيخ ابراهيم يحب الشعر والطعـام وعندما يأتيه اللحم المسلوق يصمت عن الضرب• عصمت هانم ترسل اللحم الى قاعة المذاكرة حتى يخفت صوت بكاء سيف وأدهم • بين الدموع يقول سيف :

ـ سألته عن لون عمامته ؟ •

ويربت أدهم على ظهر سيف مكملا

ـ قال انهـا حمراء لون جهنم • نريد أن نفتح رأس الشيخ لنرى النار •

ويضحك الطفلان فتضحك الام • ستأتى مدام « ايدول » •• «المعبودة » هذا هو اسمها •• مدرسة اللغة الفرنسية •• الوالد يعاند الانجليز فيعلم الاولاد الفرنسية • احدى شارات الكراهية للوجـــه الابيض انجلترا •• وجه أبيض آخر « ايدول » اللغة الفرنسية على لسانها ناعمة• نها انسياب لونى• يرقد قوس قزح من قاع أى صوت ينطقها • مدام «ايدول» سيدة حلوة وناعمة وأنيقة • درس الفرنسية ليس درســـا• فى الحروف وتصريف الأفعـال • انه عالم اللوحات والتماثيل • تدريب العيون على أن ترى الاشياء بطريقة خاصة • مدام «ايدول» تحب الرسم والنحت وتحكى للطفلين أصل حكاية الانسان عندما يريد كل يوم أن يخلق عالما آخر • وتقول : ان هناك فى كل عصر فنانا لاتعجبه حياته••فيخلق دنيا أخرىبالالوان والنحت••عالم مثير تلك الألوان التى تحضرها لهما مدام « ايدول » • حس ملموس يخرج من أصابع الطفلين••عنف حواس العين والملمس تنفجربتوازن تلقائى • لهذه الايدى وظيفة أخرى• هكذا ترى مدام « ايدول » • المتعة يمكن أن تكون طريقا لحياة كاملة فى المساحات التى يملؤهـــا أدهم أو سيف • يستطيع سيف أن يكون جزءا مستمرا من وجهـــة

نظر أو اتجاها ما .. فى العالم . يستطيع أدهم أن يتزوج الموسيقى فى الخط العادى المتحرك الخارج من أطراف أصابعه . العالم بالأطفال هو الالوان والنحت . القصر مبنى كبير تخيله رجل ورسمه على الورق فأعجب به الجد وأمر ببنائه . الاعجاب هو ابن الخيال . والخيال هو والد الواقع . والالوان والطين هما أداة الله الاولى لصناعة الكرة الارضية . اقتنع الرب بالفن فخلق الانســـان واقتنع مايكل انجلو بالانسان فنحت عذاب المسيح وجمال مريم . وأراد أن يجـــد نبيا مهمته أن يوقظ ضمير قتلة المسيح فنحت تمثالا لموسى يراه الناظر اليه من أى تجاه يحكى لعنته للقتله .

عندما ترى لمحة هواء فى لوحة وتشعر بالرهبة والشفقة على الوردة الوحيدة وسط هذا الهواء خوفا من أن تموت الوردة فى البرد.. فاعلم ياسيف أنك أرسلت عن طريق عيونك رسالة الى عقلك تقول فيها « أنا عاطفى يهتز كيانى لحياة وردة وحيدة وسط عاصفة » وعليك يا أدهم أن ترسم لوحة لوردة لا يقتلها الهواء البارد .. »

فأنتما فى بلاد الشمس الدائمة .. أصابع الواحد منكما تبحث عن حقائق شاملة فى الحياة . غضب وسرور وامتلاء . درجـــة الاحساس بالسعادة المشاعر الخاصة بك يا سيف تدخل فى منافسة مع المشاعر الخاصة بك يا أدهم . من يرسم أروع ؟ الاقتناع يملأ أهل البيت أن شيطانا ما دخل ليشغل الاطفال بالرسم عن كل شىء مدام «ايدول» تقول للأهل ان فى أعماق الاثنين فكرة تنام وتصحو . العبقرية طفلة فى أعماق الاثنين وعندما تكبر ستملأ كل العالم الرسوم . الفن جزء من حياة الناس . وتعبير عنهم . اسماعيل وانلى لا يزجر الاطفال مهما فعل كلاهما ومهما ظهر الامر غريبا وغير عادى . حواس الاطفال يجب أن تعمل كلها لتخلق لهما الحياة التى يريدها كل منهما . المطلوب من سيف أن يرسم كلما أراد . المطلوب من أدهم أن يقول كل ما يريده بالألوان . هل يســتطيع ولداك يا اسماعيل أن

يهزا العـــالم بالألوان كما هزته لوحة « لجريكو » عن غرق المركب « ميدوسا » ؟ اللوحة التى صور فيها عذاب البحارة عندما غرقت وكان يجب انقاذهم ·· لكن الحكومة تأخرت · وخافت الحكومه من اللوحة · وبقيت اللوحة دليل جمال ثورة الانسان وتعاطفه مع ألم انسان آخر · ستزداد الالفة بين عيون الاطفال وبين العالم · ستنمو بين أصـــابع الطفلين امكانيات لا يعرفها أحد · والأسئلة على لسان سيف وأدهم تسأل عن شفافية الزجاج ونعومة المرمر وخطوط أوراق الشجر··جهاز حساس يولد فى قلب سيف يستقبل عواطف العالم بعيونه ويعيد مـــع أدهم رســـمه · مدام « ايدول » تحكى واللغة الفرنسية ناعمة على ألسنة الطفلين ·· هناك فى العالم متحف اسمه اللوفر · كان قصرا للملوك لكن اللوحات أصبحت فيه ملكـات · واللوحات هناك تحكى عن حياة الناس فى العالم كله · والصـــور التى فى يد مدام « ايدول » تتناولها عيون الاطفال · ما الفرق بين ألوان الزيت وألوان الطباشير ؟ ماذا فعلت اللوحات وحكايتهـــا ؟ اللوحات بين يدى الطفلين · الفن انعكاس التاريخ على العيون وتعبير عن الزمان والمكان · يستطيع الفنان أن ينمو ويقول رأيه بالمساحة· الضوء· النسبة· المساحة تعالج باسلوب مختلف من لوحة الى لوحة الى أخرى ومن بلد الى آخر ·: الضوء يختلف من شمس الى شمس · ليست الشمس فى كل البلاد مثل الاخرى · خلق الله شمسا واحدة وقمرا واحدا ونجوما واحدة لكن كل انسان على الارض لا يشـــعر بالشمس كما يشعر بها الانسان الآخر · «رامبرانت» الهولندى كان يحب أضواء المسرح · رسم الضوء بطريقة احتار فيها الناس · واهتم بالانسان داخل الضوء · «روبنز» رسم النساء ثقيلات أكبر من الواقع · رأى المرأة أما وحبا واطمئنانا كبيرا · ليس هناك قانون يمكن أن يحكم عيون الاطفال · تستطيع العيون أن ترفض وتقول لا · ترفض الماضى وتحب الحاضر وتقلق من أجل المستقبل · أحيانا تبدو كلمات مدام

« ايدول » غامضة ٠٠ لكنها تستطيع أن تأخذ عيون سيف وادهـم الى عالم لذيذ ٠ الواحد منكما يستطيع أن يضع كل القوانين فى العالم ، فقط يرى ٠ ينقل مايراه كمايحسه٠ وهناك شىء ماتنفق عليه كل عين ترى٠خط مرسوم بمهارة٠ملمس لوحة خلقهالفنان باحساس٠ تكوين متوازن القوى ٠ امتزاج ألوان مؤثر ٠ الله عندما خلقالانسان خلقه جميلا وحواء نزلت فى الجنة لترى نفسها فى المرآة ٠٠ هل هى حلوة مثل التفاحة التى رأتها أم لا ؟ ٠٠ « رينوار » رأى حواء ذات شعر فاحم لون الليل ٠٠ غزير كأمطار تقفعلى حافة أرض عطشانة٠ والبشرة ناعمةكأن الهمومشىء بعيد٠ والنحات القديم خلق«.فروديت» حالمة ٠ وصنع « زيوس » رجلا قويا يستطيع أن يهزم كل الرجال بفخامة عضلاته «ؤديانا» ربة الصيد كانت رشيقة ٠ الجمال فى الفن يا أطفال هو نجاح من تجميع الخطوط والملامس والالوان حتى يعبـر الانسان عن فكرة ما ٠ جو روحى ٠ احساس هائم ٠ وتخرج مـدام «.ايدول » بعد أن جلست مع الاطفال ساعات ٠ بعد خروج المدرسة الناعمة الصوت والجميلة يضج المنزل بخطوط الاثنين على كل ما هو أبيض ٠٠ رسوم صور لرجال وحيوانات وتمر عاصفة من «الشخط » تنتهى بأن يأخذ الجد الطفلين الى الحقيقة ٠ الجد يحكى حكـايـة « سندريللا » ٠ سندريللا يحبها سيف ٠ ترتدى ملابس ممزقة ذات ألوان باهتة عليها تراب المأساة ٠ يشق العفريت الطيب حائطـا ثم يعطيها ملابسزرقاء وحمراء وحذاء فضيا ويذهب معها الى حفل الأمير٠ كان الأمير يرتدى بدلة لون السماء وفى يده سيف فى لون السحاب٠ ويلتفت الأمير الى العربة المزركشة التى يركب فيها العفريت ،لطيب مع سندريللا ٠ وتنزل البنت لترقص مع الامير ثم يأتى الليل بعد أن تنام الشمس وتحاول سندريللا أن تعود الى المنزل بسرعة حتى لا تقسو عليها زوجةالاب٠ لكنها تنسى حذاءها فى قصر الأمير ٠ هكذا بريد العفريت الطيب ٠

ويقطع الحكاية صوت يقـــول للجد ان الحرب قامت · العام ١٩١٤ · حرب عالمية · أطلق أحدهم الرصاص على ولى عهد النمسا وينزعج الطفلان هل مات حبيب سندريللا ؟ · لماذا لم ينقذه العفريت الطيب· هل مات حبيب سندريللا ؟ لماذا لم تضرب أيها الامير بسيفك السحابى من أطلق عليك الرصاص ؟ ويطمئن الجد الاطفال ·· الامير ليس هو حبيب سندريللا أمير سندريللا مازال فى الحفل يبحث عنها· وعلى الاطفال أن تنام مبكرا · انهمـــا خوف الاسرة المستمر · دلال الأسرة الدائم · حنان الأب والأم والجد والأخوات · كلاهما استثناء سيستطيع أن ينقل ما يراه من العالم · لكن النوم لن يأتى الا بعد أن تجيب الأم على الأسئلة ·

ـ هل كان فى الحفل الوان مثل التى فى صور مدام «ايدول»؟

ـ نعم كان فيه ألوان كثيرة · حمراء ـ صفراء ـ بيضاء ·

ـ اللون الأصفر غير موجود فى صور مدام « ايدول »

ـ سنحضر غدا صورا فيها ألوان صفراء ·

ـ هل ستتزوج سندريلا الأمير ويكون المأذون هو العفريت ؟

ـ لا ·· المأذون هو الشيخ ابراهيم ·

آه من عصا الشيخ ابراهيم مدرس العربى والحساب ·· انها الوحيدة التى تحطم احساس الطفلين بأنهما دلال العالم · فى الصباح سيأتى « بتشارولى » · تسقط الشمس فى حضن الليـل ويطرد النهار القمر الى السماء ويدق جرس الكنيسة ويؤذن ابن عم الشيخ

ابراهيم وينادى بائع الفول ومع الشاى يدق الباب ويدخل الايطالى بتشارولى • اللغة العربية مكسورة على لسانه •

ـ صباح الخير • بونجور •

ويضحك الجد ••

ـ الخير موافقون عليه اما « البنجور » فمردود لأهله •

احتكاك الصوت الايطالى بالضحك • التجاعيد البيضاء لها ظلال على الوجه والشعر الرمادى متكسر فى تموج ناعم • اللسان يحكى أسرار القلب والقلب معلق بأصابع البيانو وفى ايطاليا كان يجب أن تقدس أنغامك يابتشارولى لكنهم طردوك بلا سبب • العالم أنغام• والأنغام أرقام والزمن فيها لا يعرف الدقيقة والثانية• الموسيقى يا أطفال لها الزمان الخاص • الواحد الصحيح فيها لايظل صحيحا كما قال الشيخ ابراهيم • الواحد ينقسم ليصبح نصفا وربعا • سيف وأدهم لم يدرسا الكسور الحسابية على يد الشيخ ابراهيم،الموسيقى على لسان بتشارولى • «دو • رى • مى • فا • صو • لا • سى » مفاتيح الموسيقى • « الفونجراف » • ينقل عالما آخر تدق الاصابع على البيانو يصرخ سيف بفرحة •

ـ هذا الصوت يشبه صوت العصافير والهواء وهو يسقط أوراق الشجر • وتكرمش وجه بتشارولى • كأن أحدهم صفعه • ويلمح أدهم عصفورة تعلقت فى السقف فعلا • انهمر بتشارولى

بالغضب · ماذا حدث ؟ الكلمات تنكسر على فمه · هل ضربه أحدهم
·· انه غاضب ·

ـ لماذا أنت غاضب يا مسيو ؟

ـ لا يجب أن تربط الموسيقى بشجرة أو عصفور · الموسيقى هى الموسيقى لا أستحق مرتبى عندما أعلمك أن هذا صوت شجرة· أو عصفور · أو عاصفة أو عربة · لايمكن أن أقول لأبيك انك تفهم فى الموسيقى كما يفهم أى واحد آخر » انها ليست احساسا تمر به فى لحظة وتتركه لتفكر فى شىء آخر·· الموسيقى ليست حديقة وأزهارا وذكريات يوم خرجت فيه مع الامرة للبحر · ليست ذكريات ·لاتربط أمام نفسك بين الموسيقى · وبين الأحداث · هذا مستوى ردىء · كما تتكلم بلسانك لابد تسمع بأذنيك · لماذا تصر على أن اللسان وحده هو القادر على التفاهم ؟ ان للاذن لغة هى الانغام ·

بداية الخطأ فى دراسة الموسيقى هو أن تفصلها عن حياتهـــ لتأتى بها الى حياة الكلام والذكريات · كما تخنق السمكة عندمـا تخرجها من الماء · سيف يتعجب ·· الموسيقى سمكة · الماء هو الأذن· الموسيقى ليست صديقة اللسان · لكنها صديقة الارقام التى ينكسر فيها الواحد الصحيح ليصبح الشيخ ابراهيم عبيطا لأنه لم يقل لهم كيف ينكسر الواحد ·

يقطع انفعال «بتشارولى» وارتباك سيف · صوت طبول تدق· الدقات تتجسم ببطء وانتظام · ثم بعنف كالرعد · يطل الاطفـال من النافذة · ويقف اسماعيل محمد وانلى بجانب الثلاثة ·· جيشر

انجليزى كامل يمر . المشـاة . الفرسان . المدفعية تجرها خيول ضخمة . يتقدم الجيش ضابطان يسحبان « معزة » الوالد اسماعيل وانلى يزداد ضيقا . السؤال على لسان سيف .

ـ ولماذا « المعزة» ؟

ويجيب الضيق فى لسان الوالد :

ـ انها شعار هذا الجيش . يفكرون مثلها

وقبل أن يضـحك أحد على الاجابة اخترق الصـفوف الفلاح الاسود صاحب نداء العار صعد على مدفع وصرخ « نواية تسـند الزير .. تسند البحر الكبير وفين نوايتك يا بلدى » . وتوالى صفع الفلاح بالاحذية بين صمت المتفرجين .

الفصل الثانى

الرجل يلتقط من الكهربا
خمر الخيال اندفع الخنجر
فى بدلة العريس • لم
يمت • تم الزفاف •

قال واحد لآخر ·· انت كشجرة اللبلاب لونك أخضر وعودك طرى لا تستعمل الا فى الزينة ·· وتضع فوقك سقفا من القش حتى يحميك ·· لكنك لا تتحمل وخزة أصبع حتى تقع ·

وكان الآخر يسمع ببطء « وتكاسل » وجه الأول منتفخ بارهاق غير مفهوم ووجه الثانى ممصوص يلهث لسبب غير مفهوم ·

وسحب الثانى الأول من قفاه وضربه بالسكين · ثم التف الناس حول الاثنين وكان القاتل يبكى والجيش الانجليزى ما زال يثير خلفه التراب ·· وجاءت وجوه حمر وانسحب الجميع بالكرباج ودخل سيف وأدهم الى المنزل ولم يعرف أحد لماذا حدث ذلك · كل شىء لا سبب له فى الذكريات انه حدث وانتهى وبقى فى مساحة فسيحة خضراء ورمادية لا حدود لها ولا حوائط لحجراتها ولابد أن يبتسم الوجه ليخفى الصخب ·· فهل يمكن أن تكون سنوات الحرب العالمية الأولى بلا مبان أو حوائط أو حدود ؟ الخيال يلخص الصدق وينفى عنه التفاصيل ليصبح خطوطا عريضة فى الذهن · القصر حيث يعيش الاستثناء سيف أو أدهم لم يعد قصرا · أصبح متحفا متحركا لرسوم أطفال · أقلام الرصاص وطباشير ملون وكل ما له علاقة بالحركة واللون ورسوم على جدران القصر ورخامه · لا شىء أبيض · الأبيض لون ناقص · فراغ ولابد أن يمتلىء العالم · والعالم يمتلىء بالاجابة على السؤال الحائر الذى يصنع خوف الشوارع وتشتتها · الشارع غناء مخمور · كذب يضحك · موت له أقدام · وجوه حمراء فى كل مكان ·· الضباط فى البوليس انجليز · الموظفون فى المكاتب

انجليز . على كل ما هو مصرى أن يتوارى خلف الموت الذى يمشى .
لكن الهواء مازال يدخل الأنوف . والقلوب مازالت تدق . ورائحة الطعام تعطى الأوامر للمعدة . ودلائل الحياة شىء لكن الحياة شىء آخر . الحياة هى البلاد التى جاء منها اللون الأبيض المخلوط بالأحمر والمعبأ فى ملابس كاكية . وهذه البلاد البعيدة تحكى عن اشتعالها بالرغبة فى الحصول على مناطق أخرى من العالم . بواسطة اللون الأبيض المعبأ فى ملابس كاكية . لكن رجلا من بلاد الغرب صرخ «العدل أو الموت..» وأطلق الرصاص على ابن امبراطور النمسا. ولمدة عشرة أيام هاجت الملابس الدبلوماسية فيها وحسبت كل بلد حسابها وعرفت كم يمكن أن تقتل من أبناء البلاد الأخرى وقامت الحرب العالمية الاولى وأعلن الانجليز أن مصر حماية ..

حماية لمن وضد من ؟

لا أحد يعرف .

المهم أن تجد انجلترا كلمة تقولها بوقاحة ثم يبحث العالم عن تفسير لها بعد ذلك .. الأطفال تسمع الكلمة ولا تفهمها لكن وجه الأب متعكر ولا يمكن أن يكون وراء كل تجاعيد الارهاق التى فى وجه أهل القصر سببها . رسم سيف وأدهم على كل مكان . فى المنزل صور رجال . صور حيوانات . سندريللا فى حفل الأمير . عواصف الزعيق من الأم والخدم لأن التماثيل والحوائط يفسد شكلها بألوان الطفلين . لكن هناك يوم الجمعة حيث تكون الشمس غير الشمس والشوارع فيها خلف الاشراق حلم يميت اليأس .

وتأتى عربة كبيرة لها حصان . العربة عليها « عم على » العربجى العجوز . السنوات تصطك فى صدره فيبصق . وطاسة الماء أمام الحصان . والخدم تحمل من فوق العربة أكوام القماش الجديد . سيأخذ تلك الأكوام الفقراء . صوت الجد يتمتم بانخفاض.

« المال مالك والأغنياء وكلاؤك · والفقراء أولادك فان بخل وكلاؤك بمالك على أولادك · أذقتهم عذابك ·· أنا أفقر أغنيائك ومالك يرتد الى أولادك فاغفر لى » ·· الحوار يدور بين الجد والرب · لكن المصريين أفقر من الانجليز ·· الأرقام يقولها الأب · خمسون مليونا صرفها اسماعيل باشا · مائة مليون جنيه · لكنها ديون والديون لانجلترا· وانجلترا أعلنت الحماية والحماية معناها ألا نبيع للخارج قماشا بسبعين ألف جنيه وأن نشترى من انجلترا القماش بتسعة ملايين جنيه ·· ونشترى الطعام أيضا من هناك بستة ملايين جنيه · معنى الحماية يأخذ أشكال التفسير والتوضيح · مائة مليون جنيه أخرى تدخل الى السوق لترهن أرض الفلاحين · الجنيه لم يعد مصريا رغم ما هو مكتوب عليه باللغة العربية ·· اسماعيل والى يحكى ويحكى ··· لكن ما فائدة الكلام ؟ ·· انه حروف ·· تعبير عن موقف سابق · لا أحد قادر على أن يتصور ما هو القادم ·· لماذا لايذيقهم الله العذاب أيها الجد ؟ وتأتى اجابات الجد القلقة التى تريد أن ترسم أمانا · الله يمهل ولا يهمل ·· الله يملك أسرار المقاومة والهجوم وميلاد التغيير ·· الله هو حركة العدل التى ترث الظلم · الله يراكم الأحداث القاسية ليرسم لها نهاية · ويأتى قطيع الأغنام الى فناء المنزل · ستذبح كل هذه الخراف ليأكلها الفقراء · الخراف أشكالها هائلة · ناعمة · الأرجل دقيقة · العيون مكورة ولامعة · القرون التى كانت متوحشة أصبحت للزينة · ستذبح الخراف وسيكون الشارع نهرا من الدم ليأكل الجميع ·· لماذا لا يأكل كل الناس دون أن يقفوا على باب ققصر ؟

ولا أحد يجيب السؤال ··

•

فجأة صمت الجميع ·· مات الرجل الطيب صاحب الحواديت·· لا اله الا الله ، هو الدائم ·· السرادق القرآن ·· الدموع ·· أين العفريت الطيب الذى قال لسندريللا « لا داعى للبكاء » ؟ هل مات

مع الجد ؟ والأسئلة لا أحد يجيب عليها ٠٠ ومسيو بتشارولل مازال يدرس الموسيقى ٠٠ والشيخ ابراهيم ومدام ايدول ٠ بتشارولل يدخل بالشعر الرمادى وتعانق الأرقام مع الخيال فى اللغة الأخرى ٠ الأذن ٠ الأنغام ٠ باخ الألمانى ٠ سيد الأرغن ٠ هذا الناى الذى تجمع مع نايات أخرى وأصبح بيانو ٠

تستطيع خلال « باخ » أن تتصور اتساع العالم وبرودته ودفئه وظلام الخارج ونور الأعماق ٠٠ فى العاشرة مات أبوه ٠٠ عاش فى الكنائس ٠ تزوج ابنــة عمته ٠٠ كان يحكى بكتــابة الموسيقى للكمان والتشللو والأرغن ٠ الحزن فى آخره بقعة ضـــوء ٠ الجوع والعطش والأرواء والغناء ٠٠ استمر الى النهاية التى لا تبدو ٠٠ « باخ » هو والد الموسيقى الكلاسيك ٠٠ الكونشرتو على يديه أصبح شيئا آخر ٠ الآلة المنفردة تستطيع أن تكون قائده لكل الألحان ٠٠ تباين ٠٠ اختلاف ٠٠ تنوع ٠٠ تجاوب ٠ تفاهم ٠٠ قوة أعماق باخ تخلق سبيا جديدة فى الكتابة للآلات ٠ لا تصبح آلة واحدة هى البطلة ٠٠ لكن مجموعة آلات ٠٠ الموسيقى هى صوت العالم الأول والكلمات هى اختصار للأنغام ٠٠ والآلات الموسيقية هى التى تسد عجز صوت الانسان عن رسم كل خيال الأذن ٠ الأذن عطشى والقلب فى حاجة الى الارتواء ٠ والنغمة تحكمها أربع صفات ٠٠ الدرجة والشدة والنوع والزمن ٠ عندما يهتز وتر فان عدد مرات اهتزازه يحكمها قوة شد الوتر والمادة المصنوع منها ٠٠ والصوت ينتقل الى الآذان فى شكل موجات ٠٠ كرات تنقسم وتحمل فى الهواء دوائرها وتدق ثنايا الأذن ٠ « باخ » هو سيد التغيير الأول وهو الأساس ٠٠ لكن دراسة الموسيقى تعترض سير دراسة الحساب ٠ الكسور العشرية لم يدرسها سيف أو أدهم ٠ بتشارولل ليس له عصا ٠٠ بتشارولل ليس موجودا فى المكان ٠٠ انه دائما فى مكان آخر مع بشر ليسوا موجودين ٠٠ فى قديم الزمان ومنذ أن عاش ومات كثيرون كان هناك

زمن اسمه عام « ألف وسبعمائة » وفى هذا العام يعيش بتشارولل
وهو أيضا لا يعيش فى هذا العام وحده ولكن فى السنوات الثلاثمائة
التى كانت بعده ٠٠ «باخ» ٠٠ «هندل» ٠٠ أدرك باخ روح الناس٠٠
كان الجمال أيامها هادئا ضخما ٠٠ وكان عقل الانسان يبحث له عن
ميلاد آخر غير الجنة والنار ٠٠ ميلاد على الأرض ٠٠ وكانت مدينة
ألمانية اسمها ليبزج وكان الناس يسمعون الموسيقى لأنها غذاء من
الله وألم المسيح وخلاص الكلمات من العجز عن التعبير ٠٠ وكان علم
الحساب والأرقام يأخذ دوره وسط حياة الناس وجيوبهم ٠ فالشراء
بالرقم والشراب بالرقم وكل شىء يصل الى تحديد ٠ فعندما صعد
المسيح قبل ذلك بأعوام كثيرة الى صليبه كان يتألم ٠ وخلال ألم
المسيح سافر باخ باذنه وعاد ليبوح بما لم يعرفه أحد ٠٠ ولكن
المسيح لم يقل لباخ كلمات قال له احساسا ٠

كيف يقول المسيح احساسا؟ هذا مايحكيه باخ بآلات الموسيقى
حيث يكون اللحن سهلا يتردد ، ويحوى رمزا ٠

وعندما تنتهى حصة بتشارولل كان لابد أن ينزل معه أحد
الى الشارع فرغم أنه « حماية » الا أنه فى حى الأهالى ٠ واذا كان
الرصاص سهلا فى يد الأجانب يهدون به الناس الى القبور ٠٠ فان
بتشارولل ليس قاتلا وقد يعامله الأهالى على أنه أحد القتلة ٠ وكان
الشارع بالنسبة لسيف أو أدهم عالما غامضا مثيرا ٠ صوت الأب
يحتضن دموعا صامتة على الشارع ٠ المقاهى المنتشرة تعطل الناس
٠٠ حظ الشارع هو القدر ٠٠ لا أحد يعلم ماذا يحدث غدا ٠٠ هناك
السخط والرضا ٠٠ الحزن والفرح ٠٠ والمكر الساذج والتواكل
والارتباط الشديد بالأقارب والأنانية وعدم القدرة على التعاون مع
الآخرين ٠ ويبدو الانسان فى الشارع كذبا أو موتا يسير ٠٠ هناك
من يسرق الشارع ٠٠ وامتدت يد اللص الكبير الذى لا يعرفه الأطفال
الى القصر ٠ باعه الوالد ٠٠ خسر اسماعيل أمواله فى البورصة ٠٠

كل شيء يضيع مادام هناك من يسرق ٠٠ الامتلاك يدور ويسير على جثث الآخرين ٠٠ وحين يكون الطمع حيا لابد أن يتزوج الخيانة٠٠ أى رجل غنى يصبح محاصرا بالخوف على المال وزيادة عدد الفدادين ٠٠ ولم يحضر العفريت الطبيب أحداث الموت الذى بلا عدل ٠ انتقلت الأسرة الى فيللا يملكها طبيب أجنبى ٠٠ وجه أحمر معبأ فى ملابس بيضاء ٠٠ الفيللا فى بولكلى ٠٠ شاطىء استانلى ٠ الخليج تتبعثر فوقه أكشاك استحمام ٠ الاهمال هو طابع الراحة والاستجمام ٠ الأكشاك ملونة ٠٠ سيف وأدهم يفرحان بالبحر ٠٠ لا أحد منهما ينزل الى الماء ٠٠ المهمة الأولى للصخور هى أن يتأملها الانسان ٠٠ وصخور الخليج ٠٠ تعطى أشكالا لحيوانات ٠٠ غزال وأسد وبقرة ٠٠ اللون الأخضر الغامق يصبح بنيا واللون الأسـود يلعب مع اللون الأزرق لعبـة حادة ٠٠ وسيف يحكى لأدهم حكاية الصـخرة التى أصبحت حصانا يسافر الى أى مكان لكن السحاب يشد عيون أدهم ليقول هذا رقص ٠ السحاب القادم عبر سماء البحر يسكر الطفلين بتشكيلات رائعة ٠ هو خيول تجرى أو معارك صاخبة فى السماء ٠ ولا جديد فى الحيـاة سوى ملابس الجنود الخلابة ٠٠ الفرنسـيون يتفرقون بأناقتهم على حلفائهم فى الحرب ٠٠ الانجليز٠٠ المغاربة لهم أزياء خاصة ٠٠ الهنود لهم ملابس ٠ كل انسان له ألوانه ٠٠ ويزور الوالد صديق له ٠ صديق جديد هنـدى ٠ طبيب ضابط ٠ طويل كنخلة ناعمة٠ «د٠ أحمد بخشى» يعمل فى مستشفى سان استفانو٠ كان سان استفانو فندقا للحماية وأصبح مستشفى للحماية ٠ الخديوى توفيق أعطى الحماية حق احتلال أى مكان وانتشرت بعدها معسكرات الانجليز فى كل مكان ٠ الحرب تدور وكل دولة تزيد من عدد قتلى الدولة العدو ٠ وعندما يبتسم آخرون لانتصار ٠٠يبكى آخرون لموت ٠٠وتبادل البكاء والابتسام يعطى جرحى٠٠والجرحى يحملهم قطار من فلسطين الى الاسكندرية ومعسكر الانجليز يمتد من محطة مصطفى

كامل الى محطة الرمل. والطبيب يحكى للأطفال حكاية الحرب ويحاول أن يقول لهم انه لا شيء يهمه فى هـــذا المكان . لكنهم لا يعرفون الانجليزية ويقدم الطبيب للأطفال مجلات انجليزية فيها رسم مليئة بصور المعارك . جنـــود تجرى . مدافع تضرب . قنابل تنفجر . أشلاء تتطاير . جرحى . هذه المجلات هى شكة دبوس جديدة تهيج عنفوان الدافع التـــائه أحيانا عن طريقه فى أعماق الاثنين . ينفجر بركان الفن يجب أن يعاد خلق العالم بالخطوط والألوان .. كيف يا مدام ايدول ؟ .. بالرسم . ملاحظة العيون لما تراه . تســجيل بالخط والحركة للرؤية .. تتطور الرؤية لتكون بداية ونهاية يمكن فى حد ذاتها أن تعبر وأن تقول لعيـــون العـــالم كلها . « أنا موجودة» . كيف يكون الخيال موجودا يا مدام ايدول ؟ الرسم فى البداية تخطيط لمشروع فى الذهن .. تجسيد للحظة انفعال بترتيب عارض .. يتوقف الزمن عنـد مساحة بيضـــاء ليملأها الانسان بتكوين ما .. شوارع المدينة مثلا .. قطار الجرحى .. العالم كله مطلوب اعادة تسجيله بتعبير جديد .. اختيار ميلاد آخر كامل ونهائى وشـــامل لأن كل العـــالم يستمر فيه العيب الرئيسى .. انه ناقص باستمرار هناك دائما لحظة يحب الانسان أن يعيش لها وحدها .. أحيانا تكون العين فى حاجة الى احساس بالوحدة .. كيف تحكى وحدتها وتقول لبقية العيون .. شاركونى هذا الاحساس ولنرفض معا ما نراه .. ولنر الجديد الذى نريده .. وأحيانا يصبح الرسم كاملا بخطوطه البسيطة .. وأحيانا يكون تحضيرا لموضوع أكبر . الخطوط هى كل أنواع الرســـم .. هى أداة العين الأولى يا مدام ايدول . لاحظت مدام ايدول اندفاعة الأطفال ناحية الطباشير الملون يسجلان بتلقائية كل ما حولهما فى العالم . مغناطيس يشد العين يحدد بالخط الملون جســم الانسان وألمه وشفافيته وضـــبابه وقوة العضلات أو نعومة البشرة .. كان الخط يجعل « أنجلو » يضع كل

تصوره ولا يترك للمشاهد فرصة اضافة ما بالخيال ٠٠ هو الخالق وهو الشاهد وهو الشبع وهو الجوع ٠ لكن المسألة ليست كذلك ٠٠ ليس هناك من ينظر الى المتفرج كشيء زائد ٠ ان الفن موجه الى آخر ٠٠ مشاركة مع آخرين ٠ احترام لخيال الآخرين ٠٠خيالهم يجب أن يكون موجودا٠٠المشاهد خالق جديد للوحة٠٠انك يجب أن تعطيه « الجو » الذى تريد ٠٠ وأن تترك لقيمته جزءا من تخيل الحركة ٠٠ القدامى سعوا الى التحديد وبنوا كل شيء يا سيف واعتبروا عيون الآخرين وظيفتها الاعجاب فقط ٠٠ لكن الاعجاب ليس هو كل شيء ٠٠ هناك الاحساس الخاص الذى يجب أن تهديه خطوط الرسام الى كل عين ٠ الخطوط الخارجية للعضلات ٠ النعومة الناتجة عن دفء ملمس ناعم ٠ هذا رائع لكنه كامل ٠٠ ولأنه كامل يقترب من الموت لو عاش فى هذه الأيام ٠ يا سيف هذه الأيام يجب أن يكون فيها شيء آخر٠ تأثير٠ رأى٠ حكاية ٠ الطباشير الاحمر والابيض والاسود والأخضر ٠ كلها ألوان واضحة ٠٠ لكن هل هى ألوان خاصة ؟ القلم الرصاص فى يدك ٠ رسموا به ثلاثمائة عام فى هولندا٠٠كان قلم الرصاص هو الأساس للرسم بالألوان المائية واستعمله الانجليز فى تدقيق التفاصيل ٠٠ هذه الكتلة الرمادية الاسطوانية تلقى بخطوطها على الورق وتعطى انطباع العين عن اللحظة ٠ لكن قلم الفحم يستطيع أن يحكى الشمس ٠٠ والضوء والظلام ولمحات الظل والنور ٠٠ انه ناعم ٠٠ لكنه صعب ٠٠ انه انفعال أسود يمكن أن يملأ المساحات البيضاء ٠٠ ويا ويلك لو يفيض النهر الأسود ويضيع الضوء ٠٠ وتسقط الملامح ٠٠ الفحم يلامس الورق ٠٠ يهمس له ليجرحه ٠٠ لكن الروح يمكن أن تولد خلال الأصابع وهى تلمس الفحم على الورق لتغطيه درجات الظلال ٠ أما الحبر فهو نهر فحم فيه مياه ٠ الخط المرسوم بالريشة هو العزف المنفرد ٠٠ لكن البقعة المخففة بالمياه عليها أن تحيطه بحنان ٠٠ الاختلاف ينصب نفسه قاضيا بين أدوات

الرسم الأولى ٠٠ القلم الرصاص والطباشير والفحم والحبر ٠٠ الرسم هو طريق الطفلين هكذا قالت مدام ايدول ٠٠ اللغة الفرنسية تاهت في حوار الثـــلاثة عن الرسم ٠٠ الدراسة لم تعد حصة لها ميعاد لكنها زيارة لصديقين تقوم بها صديقة ثالثة ٠ وينضم الصـــديق الرابع ٠٠ «أحمد بخشي» صاحب مجلات الحرب ٠٠ الكرة الأرضية منهمكة فى الذبح والاستفادة بالرصاص وتحنيط الرجال فى ثلج البطولة أو الموت ٠٠ والأصدقاء الأربعة منهمكون فى محـاولة فهم هذه الخناقة الغريبة الموجودة فى قلب كل انسان٠٠خناقة تبدأ من رغبة الانسان فى كراهية العالم ٠٠ بدلا من أن يحب الانسان العالم تقوم علاقة انتحار أو استغلال ٠٠ الأطفال تقدم الرأى المدهش لمدام ايدول ٠٠ ها هو أدهم يتحرك بالرؤيا العريضة ٠٠ الكلمات على فمه تثير الدهشة ٠٠ ليس المهم هو الاحساس الذى يرثه الانسان ٠٠ المهم هو طريقة الحياة التى تكفل للجميع حق الاحساس ٠٠ ليس المهم هو أن تكون كل الأشياء جميلة ٠٠ لكن المهم هو أن تستوعب العالم وتقول فيه رأيا يدفع العالم الى الأمام ٠

أما أنت يا سيف فستقول رأيك وتحارب بخيول الصـــخور شياطين السحاب ٠٠ الشارع يعلن أن العام هو عام ١٩١٦ ٠ الوجوه الحمراء أفسدت فى المدينة كل شيء ٠٠ أوراق البنكنوت التى تدخل الفيللا الأنيقة تتناقص ٠ كل أوراق البنكنوت تتناقص والأسعـار ترتفع ٠٠ وفى القاهرة يعيش نوع من الديدان يبيع الناس للانجليز ويبيع خوف الانجليز من الناس ٠٠ « لا مفر » القدر يقهر الوطن ٠٠ الوطن يحمى نفسه بأن يجمع أبناءه فى أحياء واحدة ٠ تحرير مصر بعيد ٠٠ أخطبوط له ألف ذراع يلقى بالحلم بعيدا ٠ مصطفى كامل كان يتكلم ومحمد فريد كان يحلم ٠٠ والبنوك تحجز على الفلاحين ٠٠ وصوت الرجل الفلاح مازال يصرخ « يارب اذا كنت أشركت الانجليز

فى ملكك وجبروتك لماذا لم تقل ؟ كون الأرض يملكه الانجليز وأنت ساكت يا رب ..

ولا يسمع الفلاح اجابة فيجرى الى كلمته الأخرى « نواية تسند الزير تسند البحر الكبير .. و فين نوايتك يا بلدى » .. والبلد بلا نواة .. القطن هو عزرائيل الابيض الذى لا يعود الا بالموت على الزراع .. ويعود بالضحك والصخب على أهل القمه فى القاهرة.. لا أحد يفهم أى شىء .. لا أحد يفهم أن محمد فريد أكثر أهمية من سعد زغلول .. السقوط فى هوة انفصال الكلمات عن الواقع .. محمد فريد الصلب لا يجد وراءه الكثير .. الطموح اكتفى بدور التابع .. تكون حزب للأمة .. تم الارتباط بين كبار الملاك والأعيان وكرومر ؛ أين جسد مصر ؟ أعينه هزيمة غير مرئية تهز الشوارع وتفزع الرجال..صوت محمد فريد يقلق سراى الانجليزى الأبيض.. يجب ايجاد النقابات الزراعية حتى تشتغل بتخفيف الضرائب عن الأطيان وتحسين حال الفلاح حيث لا خلاص له من البؤس والشقاء الا بتشكيل نقابات زراعية للدفاع عن حقوقه أمام الحكومة وأمام الملاك الذين يزيدون عليه الايجارات وبدون مناسبة .. وأمام المرابين الذين يأخذون منه ما يبقى له بعد جشع الملاك وظلم الحكومة .. اسماعيل وانلى لا يصرخ .. لا يتكلم .. النقود تقل .. الاطفال تمسك المجلات وتنقل منها الصور المرسومة .. الرسوم ليست هى .. الجرحى فى صور الأطفال فى ملابس انجليز .. الموتى فى ملابس انجليز .. وجه الفلاح صاحب نداء العار يبدو فوق مدفع يضرب .. الحركة تملأ رسوم الأطفال .. اسماعيل وانلى تسكره رسوم الأطفال .. لا يهم .. الفيللا فى استانلى ايجارها مرتفع .. تنتقل الأسرة الى محرم بك .. على ترعة المحمودية .. يلاحقها حاضر كل مصرى .. زمن مهزوم وغد .. المستقبل قاتل قادم يعلن عن نفسه .. الطبيعة أمام الترعة مساحات خضراء .. الريف ..

الترعة بنية اللون فيها طين ودوائر وسمك ومراكب وصوت ناى .. رجل واحد يجر مركبا بحبل وآخر يغرز عصا طويلة فى قاع الترعة حتى تسير المركب .. كل شىء يتحرك فى الترعة.. لماذا اذن لايتحرك الشارع .. لماذا لا تتحرك الأحجار مع الناس .. الأشكال اقواس .. دوائر .. خطوطها مستطيلات .. بنى .. أخضر .. أبيض .. العين تسجل واليد ترسم لكن المنزل المجاور فيه صمت .. لماذا يصمت هذا المنزل .. انه جميل .. قال أدهم لسيف .. « هنا بنات ستلعب معنا .. أنت الكبيرة وأنا الصغيرة » .. ضحك سيف بالموافقة : لكن .. ووافق الوالد على أن يذهبا الى المدرسة .. سيلبس سيف الطربوش ويدخل مع أدهم الفصل ويسمعان الجرس ويجرى الاثنان فى الفناء .

ـ سنذهب كل يوم .. نأخذ اجازة يوم الجمعة لنلعب فيها مع البنات .

ـ لا يا عم أنا أريد أجازة يوم الأحد ويوم الجمعة .

ـ سنتفاهم مع الوالدة ـ الوالدة تستطيع أن تقول للوالد

ـ الأحد اجازة الانجليز قد يضربوننا .

الأحد هو اليوم الغريب على الترعة .. ياتى هاربون من ضجيج المدينة الى حافة القرى .. رجل أبيض يحمل الألوان والقماش وهناك من يحمل صناديق خشبية صغيرة وقطع خشب مستطيلة تفتح وتركب بعضها فوق بعض لتصبح حاملا . ثم يضع فوقها اطارا مشدودا عليه

نوع من القماش ·· لعبة غريبة ·· لوحة بيضاء ·· فراغ ·· لون ناقص ·· تتحرك يد الرجل على الفراغ ·· يمتلىء الفراغ ·· لأنه ينقل الواقع ·· هناك شيء ناقص ·· عين هذا الرجل ليست عينا نقية ، ·· انها لا ترى الا اللون الخارجى ·· هناك حياة أخرى فى الألوان ·· لكن الرجل لا يعطى الفرشاة الى سيف أو أدهم ·

ـ لابد أن أشترى مثلها ·

وتتسابق الأقدام الى المنزل ·· الضجيج فى حجرة الأب ·· صوت الأب حاد ·

ـ « أقسمت بالطلاق الا أدفع مليما واحدا لهؤلاء الكلاب حزب الأمة برنامجه أن نضع فى رقبتنا حبلا ونعطيه للانجليز ·· » ·

الصوت الآخر يرد ·· انه الطنطاوى جوهرى هذا الذى يحفظ القرآن وصاحب أدق التفاسير ويكره الانجليز :

ـ اسمع يا رجل ·· لا حزب أمة ولا حزب وفد ·· من يؤيد الدستور نريده فى الحكم ·· لابد أن يكون أولادنا محكومين بنا ·

ـ لسنا « أرجوزات » يلعب بنا « دانلوب » قليلا « وكرومر » كثيرا ·· ثم تأتى كلاب السياسة لتقول لا تضربوا من يضربكم ·

ـ المسيح مات منذ زمن والخد الأيمن لا يتحمل الصفع ·· ولا حتى الأيسر ·· الضجيج ·· المناقشة كل يوم وكل صباح وكل مساء ·· الجوهرى يفسر القرآن ويتكلم فى السياسة واسماعيل والى يضارب فى البورصة ويتكلم فى السياسة وحزب الأمة كلب

يطلب رجاله أن يصلح الانجليز أحوال البلاد ويتعاونوا مع المصريين في الحكم .. حكم ماذا ؟ الانجليز دولة على مركب .. أسطول يضرب .. من يضرب الأسطول يهزمها .. اللهم اخرب بيت من قال لعرابى « لا تردم القناة .. يريدون الآن أن يمدوا امتيازها أربعين سنة .. ؟ .. ولا أربعين يوما .. هكذا قال محمد فريد .. قال كثيرا .. وسعد زغلول يقول الاستقلال التام بالوسائل السلمية.. الشباب يتدرب على الرصاص .. الكلمات كثيرة في المنزل . المنزل يمتلىء بالزوار ولن يسمع الوالد أصوات الدلال وهى تطلب مساحات من الفراغ الأبيض والألوان .. لا فائدة .. لابد أن تأتى مدام ايدول مرة أخرى .. الوالد يسمع مطالب الأطفال وعصمت هانم تعد القهوة للضيوف وتقول للأطفال :

ـ لا يجب أن تطلبوا كل ما تريدونه .

أسلوب جديد من الوالدة .. الوالد يصف حزبا سياسيا بأنه كلاب .. والأم ترفض شراء مساحة بيضاء وألوان .. ويجفف الطفلان الدموع .. أين عفريت الجد الداغستانى القادر على أن يعمل كل شيء .

ـ هاتوا لنا عفريت جدنا .

ويدق الطبل والمزمر .

ـ سنخرج .. هناك فرح .

ويمتعض وجه الوالد .

– لن يخرج أحدكم هذا فرح بنت خلف لن يخرج أحد الأطفال يريدون رؤية الرقص والعوالم .

– من المال الحرام .. خلف يزوج ابنته الصغيرة لسيد الجنرال .

سيد الجنرال متعهد معسكرات الاحتلال مكروه من الكبار الصغار .. يتزوج عفافا .. عفاف ضاعت يا أخ سيف .. وبقيت ختها الصغيرة .. وسيلعب معها أدهم .

– هل « سيد الجنرال » عضو فى حزب الأمة ؟

– انهم لم يقبلوه .. لكنه موجود فى كل عضو منهم .

ما الحزب ؟ .. من سيد الجنرال ؟ .. لماذا لم يعطوا الأطفال قماشا وخشبا وألوانا ؟ لماذا لا يسمح لهما بحضور الفرح ؟ كل شيء غير مفهوم .. غير مفهوم .. حتى الانجليز يقال عنهم .. انهم دولة على مركب ..

من يضرب المركب ؟

لا أحد يعرف .. تعالى يا مسيو بنتشارولى لتحل المشكلة وتشرح لنا ألوانا .. سنسمع ما تريد .. تعالى يا مدام ايدول واحكى لنا عن ألوان الزيت وسنحفظ تصريف أفعال الفرنسية .. تعال يا شيخ ابراهيم لنضع فى عمامتك كل من يقول لنا .. « لا » اليست عمامتك جهنم ؟

وصمت الجميع ·· وقاتل الرجل فى الشارع يسير ·· كان الانجليز قد أفرجوا عنه قالوا انه مريض ·· قال الأطباء ·· ان اسم مرضه « الصرع » ·· الرجل ممصوص يلهث لسبب غير مفهوم ·· قال لأول من قابله فى الطـريق ·· « ضربنى الانجليز·· لكنك كشجرة اللبلاب ·· لونك أخضر ·· وعودك طرى ·· ولا تستعمل الا فى الزينة ·· وتضع فوقك سقفا من القش حتى يحميك ·· لكنك لا تتحمل وخزة أصبع حتى تقع » ·· المدينة كلها عرفت حكاية الرجل والصرع ·· والجميع يوافقونه فى الرأى حتى لا يرحلوا الى الموت بالسكين ·· الصرع مرض يمتلىء فيه الانسان بكهربا لا يعرفها ·· تنبيه ما ·· « فان جوخ » كان مريضا كهذا الرجل ·· هكذا قالت مدام ايدول ·· العـالم شمس ·· الانســان أكبر من الشمس ·· بدون أى سبب يصبح الوجود تافها ·· العالم تافه والانسان جميل ·· والابتهاج مجانى ·· يجب أن تشرب العالم لأنه أصغر منك ·· الآن ·· فورا ·· الكهربا ·· قبل أن تسقط اقتل ·· قبل أن تقتل ابتسم ·· أنت تخالف الناس ·· لكنهم نمل طيب ·· الســعادة والعظمة بلا مقابل أو تاريخ ·· أنت أخف من الريشــة وأكبر من الشمس ·· يتضارب كل ذلك فى الرأس ·· « فان جوخ» التقط من الكهربا لوحات ·· لون أصفر ·· الرجل يلتقط من الكهربا خمر الخيال ·· ثم الاجهاد والسقوط ·· لكن الرجل يقول الحقيقـة فى الشوارع ·· «فان جوخ» لم تحك عنه مدام ايدول كثيرا ·· امتلأت عيناها بالدموع ·· غدا يجب ألا تمتلىء العيون بالدموع ·· الليل يملأ الترعة وغنـــاء بعيد · وطبــول فى منزل الجيران ·· الصراخ

المفاجىء يمزق الليل ·· وقف المريض بالصرع وسط حفل الزفاف يصرخ فى وجه العريس « أنت كشجرة اللبلاب لونك أخضر وعودك طرى ولا تستعمل الا فى زينة الانجليز وتضع نفسك فى كوشة عروس ليست لك ولا لى انها لرجل ·· رجل ·· وأنا وأنت لسنا رجالا ·· » واندفع الخنجر فى بدلة العريس ·· سيد الجنرال لم يمت ·· تمزقت بدلته فقط ·· تم الزفاف ·

الفصل الثالث

الأيام ثلج ساخن تحتضن
شوارع من المرارة الباكية
الضاحكة .. الصارخة .
تلك الأيام الملعـونة
نصفها حيـاة لأصحاب
الوجه الأبيض .

تلك الأيام الملعونة كلهـا
موت لأصحاب الوجـه
الأسمر .

ظل شجرة الجميز يمتد على الأرض · والأرض حمراء وبنية · رجل طويل وعريض يقف أمام الشجرة · يعبر بعيونه فوق ترعة المحمودية · شراع مركب يتموج بنعومة الهواء · الرجل قادم عبر صمت ما · قابل الموت فى طريقه ·· لكنه استطاع أن يجرى منه ·· انتهت الحـرب وبقي اللون الأبيض الانجليزى المعبـأ في ملابس كاكية · استطاع هذا الرجل أن يجرى من موت الحرب · كان الموت فاقد الاتجاه والرجل محدد الاتجاه · يريد أن يعيش · الصوت هذه الأيام بلا صدى ·

من أين أنت قادم أيها الرجل ومعك أعظم ما يحب الأولاد ؟ معك كف خشبى بلا أصابع ·· وعلى الكف بقع ألوان ·· وفى يدك حقيبة بهـا أنابيب وفرش ·· أمامك حامـل لوحات عليه قمـــاش مشدود على خشب ·· اللوحة التى معك كبيرة ·· كبيرة ·· لا أحد يعرف حجمها ثلاثة أمتار ·· أربعة ·· لا أحد يعرف ·· الطفولة عندما تبدأ فى الرحيل تضخم حجم العالم ليكبر حجم نضجها ·· ويجرى سيف وأدهم الى مكتبة الجد القديمة والمغلقة · يسحب الاثنان أطالس الجغرافيا الكبيرة ·· ورق الخرائط يصلح للرسم والحصول على أصابع الفحم سهل · عم محمد الطمبارى صاحب المعدية يستطيع الاستغناء عن قطعة فحم · من الجوزة ·· أو نشترى الفحم بمليم · أو نطلب الفحم من عفاف · عفاف الحلوة عادت الى أسرتها فقـد تم الطلاق ·· زوجهـا « سيد الجنرال » يتزوج ويطلق كمـا يهوى ·· تشاءم سيد الجنرال من عفاف · كاد زواجه بها يقتله ·· عفاف تحكى

أن الليلة كانت صعبة . فى السرادق الكبير دخل الرجل المريض بالصرع .

واهتزت الكراسى من تحت الرجال والمأذون خاف والهرج حدث . لن يستطيع هذا الرجل المصنوع من « العجين » أن يتزوج .. سيد الجنرال منتفخ بالخوف . هل فعل بعفاف ما كان يريد . اقتحام الزهرة البيضاء .. تهشيم نضارة البكارة .. عفاف الزهرة الغاربة فى الرابعة عشرة .. العيون ليل وسط سماء بيضاء . الشعر ليل آخر ينهمر ويلمع بالشوق للضوء .. لمزيد من الضوء .. الأصل تركى والهدوء يرقص فى العيون . والحزن يبتسم على الشفاه . عفاف التى تجعل أقدامك تضطرب وأنفاسك تتلاحق . أنت غريب من غيرها فى العالم . أنت تخاصم من أجلها الشجرة والشارع .. وتحب من أجلها الترعة والزرع . عيناها بيت عيونك عيناها حمامتان حاول أن يسرقهما سيد الجنرال .

عفاف تعيد اليه رحلة الالم .. تحكيها ..

عوت الزغاريد . والفستان الأبيض جاء . هل كان يمكن أن يأتى الرجل المريض بالصرع ليقتلها وتموت وتذهب أنت الى القبر وتبكى عليها أو تصعد معها الى السماء وتتزوجها بين صفوف الملائكة .

كانت الشمس فى غروب يوم الزفاف والدنيا عصر . وكان سيد الجنرال مطمئنا لأنه دفع الثمن أموالا كثيرة للأهل .. هذا الضخم المتكور .. العجين المعبأ فى ملابس وأصابعه مليئة بالذهب .. متعهد انجليزى .. حقير بين السماء والأرض . الشمس فى غروب وأنت تدخل يا سيف .. هادىء .. والوجه أصفر .. وابتسامتك حديدية . الصمغ فى فمك .. وفيه مرارة العجز .. هل يأكل معها هذا العجين تفاح الجنة ؟ . أين جهنم ؟ ان لم تكن هى اللحظة التى ضاعت فيها العيون الهادئة . العصر يتحرك

ولا يتحرك . الزمن واقف فى منطقة حزنك . لكن الليل جاء على سيد الجنرال وهو مصاب بالاسهال تركز فيه الخوف من كمين لرجل المصاب بالصرع . هل اعترفت عفاف بهذا الخوف . هل قالت لسيد الجنرال انها لا تحبه . الحب عام ١٩١٩ أغنية من « الفونوغراف » أم عفاف كذبت على نفسها ـ بالسرور . فهل تكذب على نفسها الآن ـ بالحزن ؟ كانت سعيدة يوم الزفاف فهل هى سعيدة بعد الطلاق ؟ . سبعة أيام بين الكذب الأول والثانى لن يهتم أحد بما فى أعماقك يا سيف .

أنت غريب ووحيد واحصر ذهنك فى رؤية الرجل الذى معه اللوحة والألوان .. استرالى .. هكذا قال .. طويل عريض .. ولم يمت حتى الآن وموجود فى الاسكندرية مع الجيش الانجليزى.. أصابع الفحم فى يدك .. وورق الخريطة يصلح لأن ترسم عليه ما تريده .. لكن عفاف تطل من الشباك .. الشجرة والترعة والحقول هى عفاف . أنابيب الألوان لا تهمك .. لا .. انها تهمك .. الألوان أم عفاف ؟

لماذا لا تحصل على الاثنين معا وتحصل أيضا على قماش مشدود على خشب ؟ .. متى تتنفس كما تهوى وتملك العالم كله ؟ الشارع مترب .. التراب الأصفر يهب على وجهك . الهواء مخنوق رغم أنه يهب .. هذا شتاء أم صيف ؟ .. الشمس تؤذى شعر عفاف . فى جيب سيف خصلة من الشعر .. المغامرة يوم الزفاف.. لست خياليا يا سيف .. انت لا تريد أن تحلم بشعرها .. تريد أن تتحسسه دائما بيديك .. نزلت الى الحياطة مع أمها .. ألقت اليك بالمنديل والشعر . لا أحد يعرف . لو أعلنت هذا ياسيف ؟ لكنك طفل . ليس من حقك أن تقول « أنا أحب » . النقود لاتدخل جيبك بصفة منتظمة . من تدخل جيبه النقود يستطيع أن يحب . لكن بين النقود وبين الجيب يقف الموت .. أبوك يحكى عن القرش

لصعب . الانحنـاء أولا ثم المكسب ثانيا .. اللص خلف الكلمات .. أبوك يكره ذلك . والنقود هى التى تشترى الألوان . الشمس فى عينيك .. لكنك تصر على أن ترسم . ترسم ماذا ؟

« مبروك فستانك رائع » .. قلت الكلمة لهـا وهى فى « الكوشة » وبجانبها سيد الجنرال . كنت كاذبا . لو كان معك سكين لضربته فى عنقه .

« ربنا يتمم بخير » .. ولماذا يتم الله هذا الشر بالخير ؟ .. « الخير والشر » ها هى عفاف قد عادت بعد أسبوع . تم الطلاق . قالوا انها لم تكن عذراء . اكفهر وجه الوالد وأقسم أنه شاهد بنفسه دم البنت .. لم يصـدق أحد سـيد الجنرال . الضجة كانت فى المنزل .. عصر الزفاف شهد زحاما غريبا فى الشارع . تسللت الى حجرة عفاف . تناولت السر المقدس .. وماء الآلهة من الشفتين الطازجتين .. البكارة الأولى أخذتهـا أنت من الشفتين .. السحر والموت والحـزن والفرح . وأتى سـيد الجنرال بعدك ليأخذ ما هو قديم . انت لم تأخذ غير ماء الآلهة فى الشفتين . أخذ سيد الجنرال ما هو مرفوض وما هو سلعة . سرق غشاء البكارة وأنكر . عفاف معك هى اختيارك .. ومعه هى صندوق نسائى يلد الأطفال . سدت أنفها حتى لا تشم رائحة سيد . لم يقبلها فى عنقها . أنت القادر الوحيد على ذلك رغم أنك طفل فى أنظار الجميع . عيناها حمامتان بلا بيت . عيناك بيت عيونها . سيد الجنرال رجل كالعجين .. كان يوم الزفاف عذابا . هل تعطيك عفـاف طفلا ؟ لا تجعليه يا عفـاف يقبلك فى عنقك . أنت القادر الوحيـد على ذلك . لا تعطيه طفلا يا عفاف . كانت الأم تصلى العصر ولا أحد يعرف أن شفتيك تقيمان صلاة أخرى . ابتهالا طفوليا . صلاة الى اله طيب يمنح البهجة . البهجة والحزن .. أقفاص الزهور مصلوبة على أسلاك سوداء . هناك

من غنى للزفاف • لماذا لم يغن أحـــد للطلاق •• اغتالوا الزهور وفرحوا • واستأذنت عفاف من سيد الجنرال حتى تدخل دورة المياه «فكرت أن أقتـــل نفسى حتى لا يلمسنى هذا الوحش » أمام العجز يصفر وجه انسان ويعلو صديد الصمغ فى اللسان وتأتى المرارة من كل اتجاه • المرارة احتضان قاتل بطىء •• لو انفجر الدم فى الرأس لانتهى الأمر •• الموت أحيانا بهجـة •• ولا تأتى بهجة الموت •• وتسخر الحياة من الفأل الطيب • وعادة تقرص البنات العروس فى ركبتيها حتى يتزوجن • لا تقرصن يا بنات • فوجه الحبيب ليس هو وجه الزوج المنتفخ • سيد الجنرال أصابعه مليئة بالذهب •• فى أول لقاء بين سيف وعفاف كان أدهم يلعب فى الشارع مع أختها • أدهم قال لسيف « ارسم أنت عفاف وأرسم أنا أختها » كان الصمت يحمل الموافقة على أن ترسمها • لكن قلبك نحت نفسه على شكلها • أصبحت عفاف هى قلبك وجاء سيد الجنرال ليشتريه • لا يهم • يتم الطلاق •• ولا داعى لأن تصطاد من أيام الماضى عذابا • عليك أن تتابع الرجل الأسترالى وهو يرسم •• أنت فى حاجة الى أن تعرف كل شىء عن الرسم • أدهم يرسم بسرعة وأنت سارح • الق بالورق والفحم واصعد اليها • لا • أنت تفسد الخرائط لترسم عليها •• والرجل الاسترالى يجب أن يصبح صديقا لك • ومسيو بتشاروللى قد يحضر هو أو مدام ايدول أو الدكتور «أحمد بخشى» ومعه مجلات ورســومات •

لماذا يحضر العالم كله الآن فى رأسك ؟ •• كل من تذكرهم أصدقاؤك •• وأنت تحبهم لكن ما بينك وما بين عفاف أكبر من كل هؤلاء •• شىء خاص •• لحظة تشتعل فيها الروح بالحاجة اليها • غربة وسط عالم كله يتكلم وأعماقك صامتة تنتظر احتضانا• عمرك اثنا عشر عاما •• ثلاثة عشر •• خمسة عشر •• جسدك أقوى من هرقل الذى حكى لك جدك عنه • آه لو تضرب سيد الجنرال « علقة »

.. لكن سـيد له فتوة يحميه .. يسـير خلفه رجل ضخم مفتول الشاربين . والدك يقول ان سيد خادم الانجليز والرجل الضخم هو كلب حراسة . وكلب الحراسة الذى يسير خلف سيد يضحك لأى سبب . وينتصر على أى رجل . انه لا يضرب .. انه يتمنى أن يموت وهو يضرب . موته اشتراه منه سيد الجنرال . وموت سيد اشتراه منه الانجليز .. والحياة ليست موجودة .. أين هى الحياة وأين هو الموت ؟ كلب الحراسة الفتوة يتعالى على الكل بجرأته وهو يطلب الموت أو الهزيمة . ويذعن لسيد الجنرال .. وسيد الجنرال يتعالى عليه.. وهو يطلب منه الحماية والانجليز يتعالون على سيد وهم يطلبون منه ما يريدون .. كلام الحرية فى المنزل لا يشرح تلك اللعبة .. الموت أم الحياة .. كلام الحرية فى منزلكم يتعالى على الأحزاب . والجميع يذعن لكلمة المسـتقبل . أنت وأصـدقاء أبيك وأصـدقاؤك وادهم وعفاف . ماذا فى تلك الكلمة ؟ . المستقبل ؟ . هل يأتى حادث يهز الجميع غير صوت الفلاح أو ضربات سكين المريض بالصرع ؟ .. لا أحد يعرف .. كل واحد يمسك فى خياله أنبوبة اختبار ويعطى نفسه فيها ثقة أكبر فى المستقبل .. وينقص من الآخرين فضائلهم . الوقوف فى الهواء هو موقف الجميع .. هو الشارع ... لو تطير يا سيف الى المستقبل لتحضره الى الجميع .. لكن لا أحد يطير .. لن يأتى حزب أغلبية يرضى عنه والدك . ولن يموت سيد الجنرال ولن تتزوجك عفاف لأنك تلميذ ... وكل العالم هو سلعة تباع فى دكان المستقبل . أمك تقول « اللى يبص لفوق يتعب » وأنت تقف فى الشارع وتنظر كثيرا الى فوق .. الى شباك عفاف .. لا يهم تقدم الآن من الرجل الاسترالى :

ـ صباح الخير .

ـ صباح النور .

ـ هل ترسم بالألوان ؟

ـ نعم · ماذا يهمك ؟

ـ أنا أرسم لكن بالفحم ·

ـ صحيح ·· هل هناك مصرى يرسم ؟

ـ نعم ·· لأن الرسم ليس « للخواجات » فقط ·

ـ انه للجميع ولكنك طفل والكبار مشغولون فى المظاهرات · أرنى ·· ماذا ترسم ؟

ـ أستطيع أن أرسمك ·

ويجرى الخط على الورق · تعبر الخطوط عن الوجه ·· ينحنى الخط ·· تتحدد الملامح ·· وينتهى الكروكى المبدئى لوجه الرجل ·

ـ أنت فنان ·· لكنى لست قاسيا بهذه الدرجة كما تتصورنى ·· خطوطك ·

ـ ألست فى الجيش الانجليزى ؟ ·· كلكم قساة لهم ملابس بنى آدم ·

وامتقع لون الإسترالى · كل شىء هنا فى هذه المدينة يستطيع أن يكره لماذا جاء به الجيش الى شجرة تكره وشمس تكره وطفل يكره ·

ـ لا ·· أنا لست قاسيا ·· أنا مجند وآخذ نقودا ·

ـ هل يمكن أن تأخذ نقودا لتقتل ؟

ـ أنا لم أقتل ·

ـ ستعرف ذلك يوم القيامة ·

— هل تصـــدق أن هناك يوم القيـــامة · هل تستطيع أن ترسمه ؟

— بشرط أن أرسمه بالألوان وأنا ليس معى ألوان ·

وابتهل سـيف للفرشـاة وعلى ورق الأطلس · الخـريطة · اشتعلت الخريطة باللون الأسود تخلل الأسود درجات رمادية · هذا الجحيم ·· الرّجل ينبهر ·· هذا رسام كبير ·

— هل تريد أن تقوم القيامة ؟

— لن أتعب يومها سأحصل على كل الألوان ·

لو صرخ سيف طالبا قيام القيامة · لكن الصراخ لا يفيد · الصمت · الحياة عسيرة شاقة · اختزان لنار من الثلج · هذا ثلج ساخن يحتضن شوارع من المرارة الباكية الضاحكة · الصارخة · نصفها حياة للانجليز · ونصفها موت لعفاف والجميع ·· دوار الفهم ينفجر فى طفولة سيف وأدهم ·· والكلمات لها معنى آخر ولون آخر ·· الوالد يطلب كلمة الاستقلال ··· لكن فى القاهرة هناك ناس لا تهمهم الكلمة ·· لأنهم يفـكرون فى الاستفادة من التجارة بها · رجال كالقش لا يحبهم والد سيف · يشترون الأرض ويكنزون المال · والعقول كسلانة ·· عقول تفتح محلات وتشترى كل ماهو من الخارج وتقيم دعاية للصـــناعة الوطنيـــة · كذب كامل ·· « أرجوزات » تقلد « الخواجات » · عفاف عيونها تجعلك تنسى كل ذلك ·· عيونها لحظة يتجمع فيها خريف وحزن وربيع وشجرة · لابد أن تعترف لها بألف حب لا بحب واحد · ها هو أدهم يلعب مع أختها فى الشارع ·

اصعد أنت ·· لا أحد يشك فيك ·

لماذا يقترن الحب بالشك ؟ ·· أنت لا تعرف ·

أنفاسك تفقد الانتظام

اصعد ..

احساسك يمتلىء بلحظة مشحونة .

اصعد ..

عناصر الموسيقى..الايقاع الذى نهتز له واللحن المناسب خلال الايقاع..اللحن هو النزعة التى تعوم فيها دقات الايقاع . توصل الانسان الى معرفة الايقاع واللحن .. كما توصل الى معرفة أن له أنفا وعيونا .. يا عفاف .. يبقى من عناصر الموسيقى ثلاثة .... الهارمونى والطابع الصوتى والنسيج الموسيقى .. الهارمونى هو تدخل العقل . هو طريقة ترتيب الأنغام .. الهارمونى هو رفض أن نقول .. « اللى يتجوز أمى أقول له يا عمى » .. انه أن تقول « اللى يتجوز أمى أقول له يا عدوى » .. انت أمى يا عفاف وسيد الجنرال عدوى .. الهارمونى هو طريقة ترتيب الحب .. همسة حارة فى الأذن . يتسلسل الى لمسة بين الأيدى .. تولد القبلة خجولة حارة .. تلهث الأيدى باحثة عن خلاص .

هذا سحر أم سكر يا سيف ؟ ..

العنصر الرابع فى الموسيقى هو الطابع الصوتى..الانسان . لا يعبر عن السرور بالبكاء أو عن الحزن بالضحك . والطابع الصوتى للموسيقى هو آهات الحب غير المفهومة الحروف . لكنها اكتناز للعالم. هو صوت دهشتك لاقتحام هذه الحرارة التى تولد منها همس تجربة عفاف . يتراجع الطفل فى أعماقك أمام رجولتك الجديدة .. أنت فى سحر أم حلم أم سكر ؟ قل لى يا بتشارولى ماذا حدث من كهربا ؟ ماذا نسمى هذا التلامس فى أوتار الانسان ؟

«سوناتا» كلمة يعرفها بتشارولى . الحركة الأولى والثانية

والثالثة بين آلتين موسيقيتين··خلف لعبة الحب تدور موسيقى عذاب هائل حلو··لحن وايقاع وهارمونى وطابع صوتى··كل هذا يعيش فى لعبة الحب··ثم نسيج حى لانعرف سره نلهث وراء سره ولا نعرف· اخيرا هى لحظة الخلق التى نهرب فيها لنمتد · الحب كالســــياسة يا والدى · الحرية امرأة والاســــتقلال · رجل ·· الحرية تتزوج الاســـتقلال ليولد هذا الاحساس بالتنفس المنتظم ·· الحـــركة دون رقابة الا من عيون المسئولية التى ترى الانسان فى أعماقه ·· فى الأعماق عيون يملكها كل انسان ·· عيون فى الداخل والخارج ·· الرجل الاسترالى مازال واقفا وأنت بين أحضان عفاف··أنت تراه من الشباك ·· قميصها حرير ·· شعرها حرير ·· الاحتضان يجرى ·· الرجل ينقل الطبيعة ·· عفاف بين يديك ·· انحناء ·· ارواء حياة ·· ميلاد ·· طفولة ·· رجولة ·· عالم جديد ·· اغســـل نفسك فى المرارة تجد العالم جديدا حيا ·· الرجل الضخم يلتقط بعيونه الشجر وعيونه تهمس لأصابعه بالألوان ·· وأصابعه تتحرك بالفرشاة وتلتقط من الكف الخشبية اللون ·· واللون يمتزج بلون ويعود على المساحة البيضاء · هذا ايمان ·· هذا عناق وصلاة ·· قبل أن تكون الحياة ·· كانت الدنيا لوحة · فى البدء كان اللون الأبيض · فى اليوم الأول خلق الله الألوان · فى اليوم الثانى خلق الله اللون الأسود والحزن · فى اليوم الثالث خلق العيون لترى ·· فى اليوم الرابع خلق الله الانسجام بين الألوان والفرح والعيون· فى اليوم الخامس خلق الله الأيدى حتى تلمس جمال ما تراه العين · فى اليوم السادس خلق الله المرأة · وفى اليوم السابع استراح الرب فقد كان الرجل والمرأة كفيلين بأن يفهما العالم من الشجرة والحصان والترعة والعرى والشفاة · هناك احساس بالعـــالم يملؤه الانسان باللون ·· بالظل · والحركة والنـــور والاستدارة ·· وكيف يرى انســـان العالم ويقلد الرب ويعيد خلق العالم ·· ها هى المسافات تمتد فى

أحضان عفاف والمسافات تمتد أمام عيون الرجل الاسترالى المسافات تتناقص · تتناقص · تتباعد · ابتعاد · اقتراب · حرارة ·· حركة ·· نمو ·· آه لو أنجب عناقك لعفاف لوحة ـ لكن ·· من أين الألوان ؟ متى تنفجر بين يديك الألوان السائلة على طرف الشعر الناعم لتجسد كل الحزن والفرح على مساحة بيضاء · خلق الاحساس بالمسافة والحركة والملمس والشكل · امتداد التربة والنخيل وتموج القارب وكهولة عم محمد الطمبارى ونعومة بشرة عفاف · الرمز والدين والتاريخ والموسيقى تكهرب الأصابع تبحث عن تعبير · منذ متى بدأ انسان يعبر يا مدام ايدول عن نفسه بالألوان ؟ ويدق الباب ·· حضرت مدام ايدول ··· أنت يا سيف تراها من جديد ·· انثى ·· شيء ناضج تفاح فاق الاستواء ·· وشرب من نهر الحياة وما زال يمكنه أن يعيش ليشرب ·· انسياب اللغة الفرنسية ناعم ·· توتر سيف ·· صوت مدام ايدول يتموج أيضا ·· في آخر الصوت ألوان قوس قزح ·· لماذا لا ترتبط الألوان بالتاريخ يا سيف ؟·· في الكهف عاش الانسان الأول · وعبر عن نفسه بالألوان ·· في المقابر المصرية القديمة ازدهرت ألوان الحياة من عناق الموتى ·· البحث عن الخلود الدائم فى الانجيل والقرآن له ملمس وألوان ·؛ « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » ·· « يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار · نور على نور » · داود دعا فى التوراة ·· امرأة اسمها بيتزابيه · داود نبى ودعا المرأة الى ليلة في أحضانه ·· فجلست شاردة عارية يتهدل الحنان والفكر في ثناياها · في موسيقى جسدها تجيب بالشرود على رسالة داود · لنبدأ يا سيف من « رمبرانت » هذا الذى عاش ليخرج من الدين اطار الألوان وأمسك بالنور ليلعب به ويكون سيده · « رمبرانت » هولندى ١٦٠٦ · أسرة متوسطة الحال ليس بينها وبين الفن صلة ما · انساب فى

عروق الفتى فيضان رؤية العـالم .. سار فى الطرقات وشواطىء الأنهار . الشريد الضائع الباحث عن امتداد من لون السـماء وهى تتكسر ساقطة فى النهر . الوالد وافق « رمبرانت » على أن يحترف التصوير .. أن يمسك بالفرشاة واللون . مدينته هولاندية تسقط تحت مياه البحر لكنها تصنع حياة ولا يستطيع الماء أن يغمرها .. أمستردام تتحدث عن السيد الجديد الذى يمزج المسيح بالخلود ويخلط من الضوء واللون حكاية ظهور المسيح لاثنين من أحبائه .. أحب رمبرانت « ساسكيا » ساسكيا ربة الربيع . الطفولة تتزوج النضج والعام ١٦٣٤ ـ يرسمها .. يرسم كل شىء حتى أصابع أصدقاء رمبرانت كانت تستحق منه أن يرسمها وحدها .. رسـم أصابع صديقه فى لوحة . وأمه العجوز صارت اجهادا يحلم بالأمان خلال ألوان ابنها رمبرانت . المجتمع يأخذ رمبرانت .. ها هو ذا سيد . يمنحه المجتمع الود . يرســـم له الحركة والانفعال ويجسدهما . ويجسد له الأحلام . لكن هناك شىء ناقص. شىء ناقص . «ساسكيا» تلد الأولاد له . لـكن الأولاد تمـوت . المنزل يمتلىء باللوحات والتحف . والنـاس تدفع . ما الذى ينقصـك يا رمبرانت ؟ وجاء تيتوس ابنه . جاء ليكون هو الوحيد الذى يعيش من أولاده لكن ربة الربيع . الزوجة تموت . جاءت مربية للابن اسمها « هندريكا » .. فى عيونها الشىء النـاقص .. الحب الذى يبـدأ من عطاء .. المربية تعطى الابن الحنان وهى البديل للأم . رمبرانت يعبد الضوء . يملك الضـــوء . الشعاع ودرجات المساحة والانسياب والحركة . والناس تدفع النقود . كل ما يرسمه رمبرانت يحوى ماهو غارق فى تأمل سر مالا يعرفه أحد . جميع العيون تبحث عنهذا الشىء الناقص الغارق تحت سماء الضوء « الباروك » هى المدرسة الشائعة فى ذلك العصر حيث تبدو الحركة فى الصورة هى أساس الجمال مع التفاصيل الواضحة . لكن ماذا بعد ذلك ؟ السؤال عندما أجاب عليه رمبرانت ..هجره الجميع وأفلس ولم يعد أحد يشترى لوحاته..طار رمبرانت

الى المستقبل ليحصل للمجتمع على أعماق الانسان ·· البحث عن المجهول ·· الجسم لا يتحرك وحده فى اللون · الروح يجب أن تتحرك للأعماق · الضوء يتركز فى لوحاته فى زاوية معينة وتبقى مساحة من اللوحة فى الظلام · الانسان لا يظهر منه للخارج سوى ملامحه أما أعماقه فهو يعيش بها ويعرفها وحده · أدرك رمبرانت ذلك ·· ونقل الى اللوحات اللون الغزير يملأ معظم اللوحات بالظلام ·· لكنه ليس الظلام تماما · ليس هناك ما ينطبق عليه كلمة « تماما » سوى « الموت » الاستمرار يعنى أن هناك مسافة ما فى الحياة يجب أن تستكمل · اللون ليس لونا واحدا فى أية لوحة ·· انه يتغطى بلون آخر وثالث ·· وتتشابك الألوان فى نسيج ·· وتتصارع ·· وينتج من الصراع ملمس خشن يرتفع فى أخاديد ومنحنيات وتضاريس · وبين كل ذلك ·· ينعكس الضوء نابضا خفاقا ·· انسان مزهو بحياته هذا الفنان رمبرانت ·· اعتداد كامل بالنفس ·· تقبل ارتقاء سلم المجتمع حتى يتحداه · وتحداه أيضا وهو يسقط · استطاع المجتمع أن يقدم الفقر لرامبرانت لكنه لم يقدم له هزيمة ·· خسر المال ·· ماتت المربية قبل أن يتزوجها ·· مات الابن · بقى لرمبرانت الخلود · بعد رمبرانت أخذت الألوان يا سيف تصور اليوم انفعاله · تجارب مستمرة على المساحة والاحساس · العين ترى · التضاد هو ميراث الرؤية كل لحظة ·· الأصغر حجما هو الذى يرسم بعيدا ·· الأكبر حجما هو الذى يرسم قريبا ·· القدم عندما تنثنى فى اللوحة فهى أصغر من القدم المفرودة · الايهام بالحركة والعمق وتأثير الضوء · المسافة فى اللوحة أمر واقع رغم أنه غير موجود · « فمايكل أنجلو » رسم آدم مندفعا الى الأمام ومسنودا على الأرض · ويعانق قدرا متدفقا فى شكل الحكمة أو التاريخ ·· الألوان تخف كلما ابتعدت العين عن استيعاب كل ما تراه بعيدا ·· السماء دائما تضع نهاية لحدود الرؤية ·

« وزرقاء اليمامة » لا يمكن أن توجد فى كل عصر حتى ترى العالم كله قريبا وتحكيه · زرقاء اليمامة كانت موجودة أيام حكى الناس عن الأرض المسطحة ·· أما الآن فالناس تعرف كلها أن الأرض كروية ·· وأن عيون زرقاء اليمامة كانت ترى أيضا فى حدود ملمس السماء على الأرض ·· المساحة البيضاء فى كل لوحة تحكى شكلا · الشكل هو طريقة ملء الفراغ · التحكم فى لحظات الزمن وهى تخطو كحركة الى العين · كلمة « فجأة » تترجم فى الشكل الى ضوء ·· لون واضح وشديد وسط ظلال كثيفة أو رقيقة · النور والظل هو الذى يحدد الشكل ·· الملمس هو أن تعطى العين الى اليد احساسا ·· دون أن تتحرك اليد الى اللوحة ·· وميض يلمع على سطح الألوان نتيجة لانخفاض درجة اللون أو تعدده أو ارتفاعه · آه يا مدام ايدول كلماتك تحكى ليد لاتملك ألوانا ·· اسماعيل وانلى يرى شوق الأطفال الى الألوان ·· انهما مازالا أطفالا ·· استثناء كبير واستثناء صغير · ويشترى اسماعيل للأولاد ألوانا مائية · لون يذاب فى الماء يوضع على الورق ويتبخر الماء ويبقى اللون · الشىء الخالد · سيرسم للأطفال ·· سيف فى الخامسة عشرة وما زال طفلا ·· « لم أعد طفلا ·· أنا ·· أنا أحب عفاف يا أدهم » ··

هل يتعارض الحب مع الطفولة ؟ هل يتعارض الرسم مع النضج ؟

لماذا يقوم التعارض بين شىء وشىء يا مسيو بتشاروللى ؟

لكن بتشاروللى اختفى ··انه مريض··سيزوره سيف وأدهم ··منزل بتشاروللى تحفة··معمار كامل··هل العين ترى فى كل شىء شكلا ما ·· خطوط وتفاصيل وألوان المبانى اخترعها الانسان حتى حميه من الشمس والبرد ·· لكن الجمال هو سر الانسان الدائم سيف ويا أدهم ·· سأزوركم وأشرح كيف بنى الانسان العالم ؟

رحلة طويلة يا مسيو بتشارولي تحكيها لنا نشكرك . آنت في عالمنا انسان طيب .. لماذا اذن الشر موجود في كل مكان .. الأسئلة عديدة .. الأيام تتلاحق .. الألوان المائية تملأ الورق الأبيض .. هذا يوم محمد الطمباري .. هذه عفاف .. لكن الزوج يعود مرة أخرى يطلب الصلح .. سيد الجنرال يحن الى الحبيبة » السلعة تعود الى مكانها في دكان سيد الجنرال يا سيف .. والأحلام الملونة تبكي في أصابع سيف وأدهم .. والمظاهرات في الشوارع .. الاستقلال التام بالوسائل السلمية في كلمات سعد زغلول. الاستقلال التام أو الموت الزؤام في كلمات الشارع . المستقبل سلعة تباع في كلمات سعد . المستقبل لا يخاف منه الشارع .. الموت هو البديل للحرية ليس هناك ربع أقة استقلال يا سعد باشا .. هناك حبيبة .. تباع لمندوب الانجليز يا معالي الباشا .. ها هو التراب .. مارس يهب .. شيء ما مجهول سبق .. شيء مثل الذي دق في قلب رمبرانت فاحتقر الارتقاء عن طريق الرضوخ وبدأ الشيء يصفي قلب الناس من الهموم وتجمعت سحب هذا الشيء في أعماق الجميع .. حركة توقيعات .. « نحن الأمة المصرية فوضنا سعد زغلول ليتفاوض مع .. «الكلمات» التوقيعات.. القطار يتحرك بين قرى مصر . الأختام تخرج من الجلاليب الزرق . لكن هل سعد باشا هو الذي يستطيع ؟ .. أين محمد فريد ؟ .. محمد فريد في الخارج ؟ أصدقاء الوالد اسماعيل يشكون في مقدرة سعد على اخضاع الانجليز . كان محمد فريد قادرا .. كان يملك في السر مع آخرين رصاصا يمكن أن يوجه الى الانجليز .. الكلمات دون رصاص .. عرجاء .

« يا رب .. اذا كنت أشركت الانجليز في ملكك وجبروتك لماذا لم تقل لمصر ذلك ؟ » لكن الحزن في قلب سيف على عفاف . ان الزوج هو أحدهم .. ليس مصريا .. وطنه ليست المساحات

الخضراء ٠٠ وطنـــه نقوده ٠٠ انه وطن يذهب ويجيء وبلا مكان ثابت ٠ من أين جاء ماله ؟ متعهد تغذية المعسكرات ٠ خائن يحول الحب الى صندوق انجاب أطفال ٠ نحن الأمة المصرية فوضنا سعدا « السيرونجت يكتب في الصحف » ٠٠ هؤلاء المفوضـــون هم أبناء حزب الأمة القديم ٠٠ «أليس هؤلاء هم الكلاب يا اسماعيل وانلى» ؟ لا يجيب اسماعيل وانلى ٠٠ لا يجب أن يكشف أحد ازدواج هؤلاء الآن ٠ انهم يتعرضون للاعتقال ٠٠ الأسى يتجمهر كتجاعيد فى وجه اسماعيل وانلى ٠٠ التوقيعات تجرى للحصول على مثل أعلى حتى وهى تعى سقوطه وأخطاءه وتتغاضى عنها٠٠ مجرد اختفاء المثل الأعلى يضع الناس فى تفاعل كمواد الكيمياء ٠٠ وسقوط المثل الأعلى يتبعه على الفور انحلال شامل ٠ عندما سقط عرابى امتلأ الشارع بالكذب وامتلأ البعض بالنقود ٠٠ عندما جاء مصطفى كامل ٠ كان أغنيـــة الصباح الجديد لكن الاشراق لم يستمر « لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا ٠٠ بلادى بلادى لك حبى وفؤادى » هاهو حـــزب الأمة يسلب بالذكاء توقيع الناس على أوراق حرية لن تجيء ٠٠ المطالب متواضعة ٠٠ مطالب بعدالة بريطانيا ٠٠ الوجه الأحمـــر لا يعرف العدل ٠٠ يجيب على برقية يرســـلها سعد « اننا نطلب الاستقلال التام ونرى الحماية غير مشروعة ٠٠ هذا الحزب من قبل كان يرسل واحدا منه الى الخارج ليأخذ جنسية أجنبية ليصـــدر جريدة يقول فيها رأى الحزب تحت جنسية أخرى ٠٠ ألعاب كالحواة لماذا لا تقول رأيك وتموت ٠٠ جاء الاعتقال لسعد ٠٠ تحرك الشارع ٢ مارس قام الطلبة بالاضراب ٠٠ ١١ مارس أضرب عمال الترام ٠٠ كان الفلاحون يخرجون لتقطيع خطوط السكك الحديدية ٠٠ وأسلاك التلغراف والتليفون ٠٠ وتدمير كل شيء ٠٠ المثل الأعلى يخرج من السجن ٠٠ مات ثلاثة آلاف ٠٠ أعلنت الجمهورية فى المنصـــورة والصعيد والمنيا ٠٠ تكون بوليس ٠٠ الدم يجرى مرة أخــرى

لكن المثل الأعلى ساقط من البداية ٠٠ الاستقلال التام لا يتأتى بالوسائل السلمية ٠٠ الاستقلال التام ثمنه الموت الزؤام ٠٠ واحد ينهى وجود الآخر ، أما أن يرضخ المصريون للوجوه الحمراء المعبأة فى ملابس كاكية ٠٠ أو أن تركب الوجوه الحمراء على السفن الى أوربا ٠٠ المثل الأعلى صاحب وجود ناقص ٠٠ ويحدث الانحلال ٠٠ تتفتت الثورة فى شكل المعبود الذى يعلب بالكلمات ٠٠ سعد زغلول قمة القاهرة ٠٠ امكانية الحياة بالجماهير وضد الجماهير ٠٠ سيد الجنرال مازال متعهدا لمعسكرات الخائن٠٠ يشترى الحب٠٠ الهموم التى رسمها رمبرانيت يامدام ايدول موجودة فى كل العيون ٠٠ أين أنت يا صاحب الصرع لتقتل سيد الجنرال ٠٠ مات الرجل فى المظاهرات ٠٠ لم يبق سوى صوت العار ٠ « يارب اذا كنت أشركت الانجليز فى ملكك وجبروتك » ليه ما قلتش ؟ ٠٠ نواية تسند الزير تسند البحر الكبير وفين نوايتك يا بلدى ٠٠ (تعال أقبل يدك ياحاج منصور يامن تعوى بنداء العار ٠ ها أنا أعرفك ٠ منصور شحاتة٠٠ هذا أسمك ٠٠ لماذا ترفض أن أقبل يدك ٠٠ الرجل يتمتم ٠٠ الشفاه للكلام وللطعام ٠٠ ويجر أدهم سيف ٠

ـ تعال نخطف عفاف يا سيف ونهرب ٠

ـ ومن أين نأكل يا أدهم ؟

ـ نرسم كالرجل الذى يحضر هنا ونبيع اللوحات ٠

وفى بقعة الحزن السوداء يضىء ضحك خافت ٠ عفاف ليست سندريللا ٠٠ ليس هناك عفريت الجد الطيب حتى ينقذها ٠٠ مات الجد ٠٠ والواقع يحكى انكسار الشارع ٠٠ والد عفاف يعود كل مساء سكران ٠٠ الشارع يحتقر الرجل ٠٠ انه نصف جائع وباع البنت ٠٠ ويحكى أنه أشعل سيجارة لامرأة فى « البار » بعشرة جنيهات حتى يقلد الأغنياء ٠٠ المثل الأعلى صاحب وجود ناقص ٠٠

الرجل يصرخ وهو سكران يطلب من احدى الراقصات أن تبصق في فمه دليل الحب ٠٠ اسماعيل وانلي يستنكر صراخ الجار السكران والد عفاف ٠٠ المسخ البشرى لا يملك شمول الفهم ٠٠ أمر الرجل دون أن يدرى باعدام عفاف باستمرارها في أحضان الرجل العجين ٠٠ أعلن من نفسه القانون ٠٠ وكان هو الجلاد ٠٠

لا تحزن يا سيف الخريف قادم قبل الربيع ٠٠ والشتاء مستمر بلا صيف ٠٠

ويكون عزيز عيد فرقة مسرحية تقول حكاية سيف مع عفاف ٠

الخريف يتسلل الى عظام عمدة ما ٠٠ العمدة سلطة مطلقة له واجباته الطاعة واجبة على الجميع الخفير يعمل عند العمدة وله ابنة جميلة ٠٠ ربيع يتحرك أمام خريف ٠٠ العمدة يستحلب الشوق للربيع ٠٠ احتقار الشيخوخة تحت اللسان والكبرياء المزيفة في الوجه ٠٠ والربيع يهجر ويصد ٠٠ والخريف يتعذب ويتأوه ٠٠ التماسك مظهر خارجي متزمت والانهيار الشديد في الأعماق ٠٠ تعالى يا ابنة الخفير الى أحضان العمدة ٠ وينزف الدم ٠ تفقد الفتاة وثيقة البقاء كفتاة عذراء ٠٠ ليس الأمر زواجا انما اغتصاب وتثور ثورة الخفير ٠٠ العمدة هو السيد وكان يجب أن تمنع الفتاة العمدة من اغتصابها ٠٠ ولكن كيف ٠٠ لم يستطع أحد الاجابة على السؤال ٠ المخرج ٠ عزيز عيد هذا العظيم الضئيل المتوتر المكتشف المفلس ٠٠ لا أحد يعرف ٠٠ العمدة هو الغباء وقصور الأفق ٠٠ لكن الكل يذعن ٠٠ خريف يغتصب الربيع ٠٠ الخفير محاصر ٠ المرأة عار شامل ظاهر ٠٠ الابنة لم تصن نفسها ٠٠ كيف تصون الهزيمة نفسها ؟٠٠ لاحول ولا قوة الا بالله٠٠عفاف تموت على مسرح عزيز عيد ٠ وعفاف تموت بين أحضان سيد الجنرال ٠٠ وأصابع سيف تنفجر بالرسم ٠٠ ويعود الجندى الاسترالى أمام منزل سيف

معه اللوحة التى لا تنتهى ٠ اللوحة الكبيرة والألوان ٠ الاسترالى يجلس تحت شجرة الجميز ٠٠ ويرسم طول اليوم ٠ كان عملاقا يقف أمام الألوان ويتحول الى طفل ملامحه تنبسط ٠٠ تتقلص ٠٠ انه ليس جنديا ٠٠ انه طفل كبير ٠٠ شفتاه هى عيونه ٠٠ يرضع بعيونه الطبيعية ٠٠ ويعبر عن سعادته باللهو اللونى على اللوحة ٠ سيف وأدهم يقدمان له الماء ويدعوانه الى الغداء ٠٠ الألوان هى موضوع الحديث ٠٠ ألوان الزيت تختلف عن الألوان المائية ٠ والألوان المائية تختلف عن ألوان الجواش ٠ الزيت الهام قوى ثابت ٠٠ يلعب بالضوء فى الأساس ويمتص من العين اهتماما حركيا بالأعماق وهكذا أراد رمبرانت ٠٠ جاء « سيزان » ليقول : ان التبسيط فى الألوان وتلخيص عظام الطبيعة فى خطوط يعطى احساسا أكثر ٠٠ انفجر « فان جوخ » باحثا عن شمس أخرى غير الشمس التى تظهر كل يوم ٠٠ الألوان وسيلة رائعة بالألوان المائية تستطيع أن ترسم تلقائيا ٠ تفكر فيما تريد ٠ ثم تقدم على المغامرة ٠ فى الزيت أنت تستطيع أن تتردد ٠٠ فى ألوان الماء أنت حاسم ٠٠ فى ألوان الجواش ٠٠ أنت تصنع من اللون الأبيض حاجزا تمنع به الضوء من الثبات على أرض اللوحة ٠ وتخفى البريق عن الألوان وتعطى ملمسا جافا ٠ أما « جوجان » فقد جاء الى العالم ليرفضه كله ويبحث عن حركة وشمس ورقص وقصة حب مشتعلة ٠ سافر الى بلاد الرقص ٠٠ كلمات الاسترالى عن الفن تسرق من سيف الألم ٠٠ العيون تقول الشعر وتستطيع أن تغنى ٠٠ والأصابع تستطيع أن تعزف صخب الحياة وتلخصها ٠٠ الخط فى الرسم هو تقسيم اللوحة ٠ أما الطباشير الباستيل ٠ فهو صبغة نقية تسمح بالتعبير عن امكانية استمرار اللحظة وهى تخلد ٠٠ رغم تعرضها للموت ٠٠ انه أداة غير ثابتة ولكنه رائع ٠٠ انفجار « ديجا » الاسبانى بالطباشير حقق لوحات مازالت ترقص فى عيون العالم ٠

يتوقف الحديث عن « فان جوخ » ٠ هذا الفنان أراد أن يوقف العالم ليصطاد لحظة واحدة من النهار يرى العالم فى خلال الشمس ٠ نحن كبشر نرى الأشياء كما هى ولانهتم بحركة النهـار ٠ العظيم « فان جوخ » ارتدى نظارة من الشمس وجعلها عيونه ٠ يحكى أن « فان جوخ » جاء بعد « سيزان » ٠ وجاء معه « جوجان » ٠٠ وظهر فى العالم لوحات من مضطهد ومعذب ومتجاهل ٠٠ وأعرض عنه الجميع ٠٠ لأنه جديد ٠ الجديد يغير عادات الناس ويلقى بهم فى حضـن المستقبل ٠ الناس تخاف المستقبل لأنها ترى الماضى أحلى ٠ الماضى لظة احتضان تعرفوا عليها وعاشوا تفاصيلها والحاضر مرهق ينتقل الانسان من لحظة سرور الى لحظة شقاء ٠٠ والمستقبل هو المبهم ٠ لمجهول الذى نسير اليه وفى قلب كـل منا رعبه الخاص ٠ وعندما تتجمع الرعب فى قلوب الأفراد يصبح رعبا عاما وتتجمع سحابات لرعب لترفض استمرار الحاضر ٠٠ لتغيره ٠٠ فتجد نفسها فى قلب لمستقبل ويسأل سيف أدهم ٠٠ ماذا كان شكل « فان جوخ » ؟ ٠٠ ويسأل أدهم سيف :

كيف كانت ملامح « فان جوخ » ٠

ــ رجل طويل عريض ٠٠ يمسـك بفرشاة عنده جبال ألوان وعيونه تلمع ٠٠ ولو رسمته لرسمت بدلا من عيونه الشمس ٠

ــ لا انه نحيل وأشقر ويمسك فرشاة وعنده جبل ألوان لكنه يرتعش لأنه لا يريد أن يمسـك جبل الألوان ٠ انه يريد أن ينقله بالفرشاة على القماش ٠

ــ سنسأل مدام ايدول عنه ٠

وتردد أدهم يخفى عن سيف خبرا صغيرا ٠ لقد سافرت مدام ايدول الى فرنسا ٠٠ ليعلن له الخبر الآن ٠٠

ت الى باريس ٠٠

ـ باريس ·· باريس ·· شرق كل من نحب

ينفـــجر حزن آخر فى قلب سيف · الصـــديقة التى تشرح الألوان ســـافرت ·· يبقى بتشـــارولل ·· عنـــده حكاية عن بناء العالم · هل يعرف شيئا عن « فان جوخ » ؟ ولماذا القلق ؟ سيأتى الاسترالى مرة أخرى ·

كيف يحصل الانســـان على كل تاريخ الفن مرة واحـــدة ؟ لا يمكن ·· اللحظة دائما أقل من حجم الكلمات · والتفكير أصـــغر من الشوق · ولا أحد يمكن أن يعطى العـــالم لحظة واحدة تحكى تاريخا · والاسترالى لا يحضر ومسيو بتشارولل مواعيده بعيدة · وأحمد بخشى الطبيب الهندى سافر أيضا ·· وعم محمد الطمباوى لا يفهم فى الألوان · انه يحتفظ فقط للاسترالى بالألوان واللوحة · الاسترالى لا يحضر ·

ـ هل تبيع الألوان لنا يا عم محمد ؟

ـ بـــكم ؟

ـ بخمسة قروش ·

ـ لا بخمسة وعشرين ·

وتأتى الألوان الزيتية الى أيدى سيف وأدهم · اختفى الطفل الضخم صاحبها الذى كان يرضع بعيونه الطبيعة · ويلهو فى أجازته بالألوان ·· تلهث الألوان فى أيدى سيف وأدهم · هناك من يملى عليهم اللوحات ·· زحام الألـــوان يختلط بالموسيقى ·· والموسيقى تختلط بالحب والحب يختلط بالسياسة · هناك سر ما ينفـــجر فى الاثنين لا يعرفان له اسما · يقول عنه العلم ان اسمه التاريخ الذى يرسم حياة الانسان ·· يقول عنه الدين انه الهـــدر المكتوب قبل أن تولد · كتب لكل منا ميلاده وموته وما بينهما من

ألم وسعادة · سيف لا يعرف له اسما ·· يراه كل لحظة · يتحدث عنه ·· هو عجوز له قلب طفل وعقل اله · صديق لكل انسان · صداقته تجعل موقف المستقبل حبيبا · انه يضع لكل واحد ظروفا واختيارا ·الاختيار يلد مزيدا من الظروف ·· الظروف تلد مزيدا من الاختيار ·· هذا هو الاحساس بالحرية ·· مزيدا من الاختيارات في ضوء امكانيات · ايها الصديق للجميع عندما جئت اليك لم أختر اسمي وأعطاني والدى اسمى سيف ·· لم أقبل ·· لم أرفض · أرنى نفسك في الألوان · اسمك القدر أو التاريخ لكنك عجوز لك قلب طفل وعقل اله وصديق للانسان · لماذا ترتدى فى رأس سيف ملابس سوداء · بجلال غير حزين ·· وذقنك خضراء بالتفاؤل وعيونك تلمع بلون خاص يراه سيف ولا يعرف له اسما ·· وتجبره على الانفجار بالألوان على اللوحات وتتمهل به عند الضوء ·

لماذا تفعل كل ذلك دون أن تنتظر أن يقول لك سيف « أنا أريد كل ما تعطى » فى لقائك أنت عطشان تسقى ·· وفى يدك أنت جائع تملك الطعام ·· وفى خطواتك أنت تملك العالم ولا تملك شيئا ·· قل لنا من أنت · أو قل لسيف من هو ؟

الفصل الرابع

الشارع.. هذا الأسود الممتلىء بالبناء
الاغريقى ..
البحر .. هذا الأبيض بحافة الموج..
الأزرق ببطن الموج .. الفضى بوجه
الشمس .. الأخضر بلون الصفاء ..
البرنزى بطعم الصخر ..
المتبتل بقاعه الرب زيوس عند قمة
قايتباى .
المؤمن بحلقة النور فوق أبى العباس.
كيف نشرب كل ذلك بالعيون ؟..

العذراء دائما تلك المدينة ٠٠ الاسكندرية ٠٠ ضاحكة بالالوان ٠٠ الصاخبة بالدلال ٠٠ المرحة بالهدوء ٠ الاسكندرية لا تعرف الشيخوخة رغم كل الحكمة التى تطل من مبانيها ٠٠٠

عمرها أربعة وعشرون عاما ٠٠ دائما ٠٠ مزدهرة بالحياة ٠٠ والحنان ٠٠ تلعب دور القوى ودور الضعيف ٠

العمر ياسيف يصل الى سنوات الشباب ٠ الجسد انتعش بشمس طرية قوية ، وارتوى بمياه الترعة ٠ والعقل يستوعب مظاهرات الشارع فى النهار ٠٠ واليد تبحثعن ألوان ٠ فرشة الرسم تجيد عزف التعبير عن حبها على تلك المساحة المربعة أو المستطيلة من الفراغ ٠ وما أحلى أن تبدأ الالوان عزفها كل مساء عندما يسقط الغروب على الارض وتتكسر الشمس فى البحر ٠٠ ويولد منها لون رمادى أزرق ٠ نقى نقاء أسطورة قديمة ٠ جديد كأنه الاصرار ٠ يحكون عن مدرسة للرسم فى القاهرة ٠ الكلمات عن تلك المدرسة قليلة والنقود قليلة والحياة فى القاهرة يمكن أن تغتال كل دخل الاسرة ٠٠ يوسف كامل ٠ راغب عياد ٠٠ مختار ٠ محمود سعيد ٠ أسماء بعيدة وقريبة ٠٠ بناء عتيد فى قلب القاهرة ٠ يوسف كامل يرسم الاحياء القديمة ٠٠ تنبض أحلامه فى رسم هذه الالوان ٠٠ والمبانى والحيوانات ٠٠ الأشياء صديقة العالم أيضا٠٠ دفء الشمس فى القاهرة عار ٠٠ ملىء بالتراب ٠٠ ويوسف كامل ينقى المدينة من التراب ٠٠ حيوانات وطيور وأسواق وأحياء قديمة ٠٠ ومن العين

الى اليد مرورا بالاحساس ٠٠ وانعكاس النور على الاعماق والظلال على الضوء ٠٠ ضربة الفرشة تمتلىء بالانفعال ٠

راغب عياد يخرج من عالم البيـــوت الى صـــمت النيل ٠٠ والغروب ٠٠ البقر والجاموس والباعة والمقهى والشارع ٠٠ هذا هو الأهم ٠٠ الخيل والمولد والفرح ٠٠ والانسان يتساوى مع الاشياء٠٠ لا ٠٠ الاشياء تتساوى مع الانسان ٠ ان العالم المصرى هياكل لكنها رغم الانسحاق تضىء ٠ القدم التى ترهق أنفاس القاهرة تنسى أن الدم يبرق بلون أحمر ٠ وأن اللون الاحمر لا يتجمد بل يتـــحرك ويضيف ويمتزج بألوان الشمس ثم لون النبـــات ٠ الخط المصرى القديم الذى غنت به طيبه عذابها يعود الى مختار الهارب من هنا الى باريس ٠ محمود سعيد ٠٠ الاسكندرانى عشق البحر وبنت البلد٠٠ راوى «الحدوته» بالالوان القادرة قدرة كلمات الجد الطيب ٠٠ حيث كل شىء واضـــح وطبيعى ٠٠ شـــوارع الاســـكندرية مغسولة بالمطر ونظيفة الهواء ٠

كيف يمكن أن يشرب الانسان بعيونه كل شىء ؟ ٠٠

الشارع ٠٠ هذا الاسود الممتلىء بالبناء الاغريقى ٠٠ البحر٠٠ هذا الابيض بحـــافة الموج ٠٠ الازرق ببطن الموج ٠٠ الفضى اللامع بوجه الشمس ٠ البرنزى يطعم الصخر ٠٠ الأخضر بنور الصفاء ٠٠ المتبتل بقـــاعه الرب زيوس القديم عند قمة قلعة قايتباى ٠ المؤمن بحلقة النور فوق أبى العباس ٠٠

كيف يشرب الانسان كل ذلك ؟

ما حكاية الحجر والمبانى يابتشارولل ؟٠٠ وعدتنا فى الطفولة أن تحكى ٠٠ لكنك ذهبت ٠٠ أنت أيضا ذهبت ٠٠ القوة الهائلة فى عيونك غادرت مصر ٠٠ الى أين ؟٠٠ على سطح مركب ٠٠

كنت الانسان القديم الذى لمس فى أعماق الاطفال ماهو موجود وناقص ويرغب فى أن يستمر وأن يسيطر على العالم .. ليس أحدهم مقلدا .. كلاهما يحاول أن يملك العالم . هكذا قلت يابتشارولى كيف نملكه ؟ .. ليس سيف « تيمورلنك » كاسح الممالك .. أدهم لا يحب خوفو بانى الهرم الكبير بدماء عشرين ألف انسان .. الاحلام والرؤيا .. حياة .. كيف يمكن التعبير عن ذلك ؟.. ما الاسلوب ؟.. كيف تنقطع الصلة بين ظروف اليوم وبين انفجار لحظة واحدة تمتد خلال ألوان ؟ الجمال فى كل ما هو عادى يمتلىء بالعنف والصمت . كل ماهو موجود باحث عن وجود آخر قادم فى زمن قادم . ياأدهم ما الحكاية ؟.. ماهذا العالم ؟.. الجماهير تصرخ فى الشارع «يحيا اتحاد الطلبة» .. ما هو الاتحاد وسط هذه الجنازة التى تسير لطالب مات .. الجنازة تسير . وسط لون الشجر الاخضر والبنى .. يا أدهم .. كيف تبدو المبانى أعظم وأشمخ من هؤلاء الجموع .. الكتلة المفككة .. عصر النهضة والمبانى الاغريقية .. كيف يتمتع الناس فى هذه المدينة بالجمال دون أن ينظروا الى كل شيء كما تريد عيونهم بل كما تريد العيون الكاكية .. المبانى حوائط .. والحائط حاجز .. والحواجز تتكاثر .. الاحجار تتزاوج وتنقسم .. وتترك فتحات للهواء .. نوافذ وأبوابا حتى يدخل الضوء والهواء .. الضجيج يمتلىء فى الشوارع. يعبىء الشوارع .. المبانى فى الشوارع تطل . المبانى أكثر حياة من البشر .. لماذا يحدث ذلك يا أدهم ؟.. البواكى تحمى الرصيف. وحى الأنفوشى يمتلىء بسوق «العوالم» .. شارع اسماعيل صبرى يطل على الميناء ..

متى تتوقف أنت وادهم عن السير فى الشوارع ؟.. الى هذا الحد يأخذكم حب تلك المدينة فتطبعون بالاقدام قبلات على شوارعها بالمشى فيها .

القبة فوق الجامع ·· والجامع فى أكثر من ميدان · نصف كرة تضع الاحساس بالايمـــان فى القلب ·· العالم يا أدهم ·· مستقيمات ودوائر ·· رجل وامرأة في البـــداية ·· مدينة تتلوى وتحضن البحر ·· البحر حامل عجوز عصبية تمتلىء بالهدوء ··

الطفلة في جوفه هى المدينة الاسكندرية ·· الاسكندرية كتلة جمال تعيش أكثر مما يعيش فيها البشر · حجم الفراغ من عقول النـــاس نتيجة للحذاء الكبير الواقع على الجميع ·· جمال المدينة لا يتناسب مع الصدأ المتحرك ·· كيف يزول هذا الواقع يا أدهم ؟

هل أنت رجل أم سؤال ياسيف ؟·· حياتك سؤال صامت·· شبابك سؤال صامت ·· أنت شموخ سؤال شاب صامت ·

أنت ياسيف ومعك أدهم كلاكما موجود في الواقع وخارج عنه فى نفس الوقت ·· أشقى وأتعس موجودان فى العالم ·

أين نذهب ؟

سؤال كل مساء ·· وتولد كل يوم على الشفاه كلمات مرحة عن رؤيا العالم · عن هذا الحادث العارض القادم مع الشروق الساقط في بحر الغروب · مساحة الاثنتى عشرة ساعة فى النهار · المساحة التى مثلها فى الليل · ارادة الصباح تختلف عن ارادة المساء عازف ربابة فى الصباح يمشى فى الشوارع ·· يعيش تحت شجرة أيوب المصرى وعند أقدام ناعسة · لكن الربابة ليست ربابة · يكتشف فى المساء انها «جيتار» عند شباك «جوليت» ·· أوتارها ضلوع روميو·· وفى منتصف الليل يولد من الجيتار حصان دون كيوشوت يجرى الى الاحـــلام · الارادة ارادتين ·· التضاد واضح وصريح · ويلقى بالفتى ســـيف الى الضياع · ويلقى بالفتى أدهم الى ألف قلق ·· الرحيل الى الامام · كم يمكن أن يكسب الفتى الاول والثانى ؟ ·· كيف يشارك الاثنان فى شراء الالوان ·· فالعـــالم ألوان رغم قلة النقود ·

ـ « أين نذهب ؟ »

سؤال كل مساء .. وتأتى الاجابة على شفاه أدهم .. « الى شارع البير » ..

شارع البير ليس شارعا . انه ألم ضاحك يرقد فى المنشية.. يتلوى بالضحك العنيف فى محـلات تقـــدم الغناء والبيرة والخمر الرخيص . شارع يعانى من اجهاد الاحتلال ويرفع الصخب عاليا كل ليلة ليقول للملابس الكاكية .. نحن موجودون .. مازلنا بشر نملك حق الضحك والرقص ونذوب من اللذة .. شارع البير .. الرقص الشرقى يملأ الناس بالانفعال .. يطير بالأخوين الى مساحات لونية .. واضحة .. ماذا فى الخيال ؟.. هارون الرشيد تركوازى اللون .. جوهرة حمراء تزين عمامته البيضاء وجارية تطعمه وتهتز بطنه بالتخمة ويتـــلوى طربا . جسد الراقصة السمراء يذوب فى هفهفة حرير أصفر نقى والجسد الاسمر يتثنى والجسد له مقدرة موسيقية .. هذا الجسد «سوناتا» .. تكوين حى آلته ليونته .. انه أجـــزاء منفصلة متصلة .. انه فـــجر المرأة .. وليس المرأة نفسها .. نضج معطى قبل أن يولد نهار .. آخر .. حركته الاولى قوية ومسموعة .. حركته الثانية تتباين وتبطىء .. حركة الجسد الثالثة قوية الايقاع والعمق وتعطى راحة . حركته الرابعة سريعة لها عمق الحركة الاولى .. الترابط فى هذا الجسد الراقص حى.. « سوناتا » ..

شارع البير ملىء بهذه الملاهى التى تعطى ليلا خاصا وعاما . القوى فى الشارع يلعب مع الضعيف . كل ألوان الاضطهاد.. القوى هو السيد .. والضعيف هارون الرشيد .. وهارون الرشيد فى شـــارع البير يفرغ الخمر من البراميل الى البطون ومن البطون الى العقول . فى هذا الشارع يونانى يصرخ «المسيح ينزل من على صليبه الملوث بالدم» .. ويرصف الطريق حتى يأتى يهوذا .. حتى يرى

صعود يهوذا على عرش مرصع بالماس له وسائد من نعومة النسوة ويقف المسيح ضعيفا يبتهل الى يهوذا يقول له «أنا المسيح وأنا الذى خنتك لأنى تركتك قلقا وجاهلا • أما خيانتك لى فهى ليست جرحا فى قلبى •• لأنها ابنة جهلك •• وها هو صديقنا بطرس الرسول ينكرنى قبل صياح الديك ثلاث مرات • قال للحراس انه لايعرفنى• صديقنا بطرس الرسول قال للجواسيس أنه لم يعد يؤمن بى • وأنا يونانى أتساءل هل سعد زغلول •• هو بطرس الرسول أم يهوذا؟»

وينهال الصفع على اليونانى •• انه ممتلىء بالوعى والخمر •• يصرخ «الصفع والضرب ليس هو الاجابة •• دمى عندما ينزل يعنى أنكم حيوانات • ادهنوا الشوارع بكلمات العدل والاستقلال والحرية والدستور •• لكنى يونانى لا أفهم الكلمات •• أفهم بالاشارة •• والاشارة حركة •• ويجب أن تتحركوا •• العدل حركة • لا أحد يسمعنى •• الرجال خصيت هنا بمطالب النساء وافيون سعد باشا وجون بول •• ملك انجلترا قبل اســــتقالة الآلهة ويوزع عليكم الجحيم •

ما هذا يا أدهم ؟ هل الذى يقـــوله الرجل اليونانى جزء من فقدان العقــــل أم هو اعتراف وجدان •• ويصر أدهم على ســـماع الرجل •• حتى النهاية •• « الرجل اليونانى يحكى » •• « جون بول » وقف يتفرج ذات لحظة على تمثال موسى الذى لمايكل انجلو وتساءل لماذا ينصرف موسى الى مراقبة ثعابين العالم ؟•• ويحـاول اقناعها بأن تكون خيرزانا ضاحكا ؟•• لكن الثعابين البشرية التى تشاهد هذا التمثال •• تظل ثعابين •• والصراع بينها وبين موسى ما زال دائرا ، سؤال « جون بول » يطلب من النبى موسى أن يكف عن حياته كتمثال • وأن ينصرف الى معاشرة حبيبته • ابنة أشعب الرسول • يجب أن يحـــدث ذلك قبل أن يلتفت أشعب الى موسى ائلا ان الاتفاق الذى تم بينهما ليس عادلا •• انه اغتصاب •• لان

الثماني سنوات التي عملها موسى في رعى الاغنام لقاء زواجه بتلك الابنة الجميلة غير كافية • فابنة أشـــعب جميلة •• جميلة جعلن الرب من فرط جمالها يحول زوجهـا من رجل الى رسول •• كانن شجرة خصب يتثنى •• ويكفى أن شفتيها كانتا هما الطريق الذى قابل فيه موسى الرب •• من المؤكد أن أشـــعب غاضب لأن جمال ابنته كان يساوى أكثر من ثمانية أعوام من التأمل فيهـا •• أثنا رعى الأغنام وحتى يقول موسى كلمات الايمان • » •

الرجل اليـــونانى هو نغمة الشارع الرائعة •• هو انكسار الحزن فى الكلام غير المفهوم لأول وهلة •• والعميق بلا حدود عن هذا العالم الثقيل غير المتحرك رغم أنه ملىء بالضجيج•• الزمان ليس له بداية ولا نهاية • والايام هى خيـال وليست واقعا • والاحداث جاهلة بأنها تمر ببشر • واللحظات الواقفة تنسى سيادة الانسان للعالم • كأن الانسان شدو طارىء عليه أن يبكى حتى يطرب كائنا آخر غير موجود فى العالم غيره •

الالوان ضئيلة فى يد سيف وأدهم • ولا بد من البـحث عن عمل ••

أدهم يقلد «شارلى شابلن» حتى يضحك سيف••هذا الصخرى النـاعم •• الممتلىء بالمرارة والثقة والصمت •• وأدهم يتولى ادارة شئون الحياة •• الطعام • النوم • النقود •• السهر •• يهزأ بكل شىء من هدوء • صرخة احتجاج هى سخرية أدهم •• سيف وأدهم يقدمان اعجابا للرجل اليونانى فى شارع البير •• انه احتجاج آخر يقدمه عقله ضد التخلف بشرط الا يفهمه البوليس •

« تأكدوا أن أشعب حاول أن يطلق ابنته من موسى •• الحرية التى قابل بها موسى الله كانت تتطلب قدرا من الشجاعة لا يتوفر الا لانسان مشـبع بالراحة الدافئة •• تأكدوا أن أشعب تجسس على

موسى وزوجه وحاول أن يعرف ويقيس كمية السعادة التي يحصل عليها موسى من لحظة واحدة .

وتأكدوا أن محمدا النبي كان يفكر في قتل زوجة أبي سفيان بعد أن أكلت كبد عمه حمزة .

وأنتم تجلسون مع آكلة اكبادكم وتضحكون .

تأكدوا أن مريم المجدلية كانت حاملا .. بحب المسيح .. واحترفت الدعارة لان المسيح رفض أن يمنحها الحب الخالص لها وحدها .. أحبها من خلال الناس ولم يحب الناس من خلالها .. وعادت الى التوبة لعلها تحصل على ميلاد حبها من المسيح .

تأكدوا أن الله لن يتوقف عند بحث تفاصيل سعادتكم كل لحظة . انه خلق لكم العقول لتصنعوا بها التفاصيل .

وعلى المقهى مع الرجل جلس الشقيقان .

ماذا يصنع اثنان يعيشان الفن أيها اليوناني الغريب ؟ لا شيء سوى الاستسلام له .. هذا اكتناز غامض تولد فيه غريبا وتعيش به غريبا وتموت من أجله غريبا .. هناك مكتبة في شارع البير .. ومكتبات أخرى في شارع العطارين .. هل تجيدان الفرنسية ؟ . الفن فيه ألف كتاب بتلك اللغة .. يرحمكما الله .. لعنة الاحساس تفجر الرؤى .. خلفكم كثيرون .. الجريكو .. أحبهم الى قلبي .. هاجر من بلاد اليونان الى اسبانيا .. وهناك رسم العذراء ترضع المسيح طفلا ويطل يوسف النجار عاشق الحياة .. المنفى لأنه شارك الرب في حب مريم . في طليطلة عاش «الجريكو» يطلب مايريد . أراد قصرا . أعطته المدينة قصرا .. وحدائق .. يطلب من فينسيا موسيقى .. يأتيه العازفون ليسمع الموسيقى وهو يتناول طعامه . يطلب الكتب فيهتز القرن السادس عشر ليقدم له كل ما سبق من مؤلفات العصر .. عاش مع أجمل النساء يتعبد فيها كراهيته لكل

ما هو مألوف ‥ هارب من كل ما يحيطه الى عالم آخر ‥ الوان ٠ الوانه كانت ترقص بتصوير شيء آخر غير المسيح ورجال الدين ٠ انه « دومينيكوس تيوتوكوبولوس » ٠ احتضن في طفولته صناعة التعاويذ ‥ هرب الى ايطاليا ٠ خرجت الوانه كالامواج فيفينسيا ‥ ومن هناك الى روما ‥ روحه تطارده ‥ وحيد كل أيام الحياة ‥ الشمس تطفيء نور القلب والقرن السادس عشر باحث عن شمس خاصة ٠ يملك مفاتيحها الفاتيكان ٠ ومايكل انجلو فى نظر الجريكو جاهل طيب القلب ٠ هكذا يرى الجريكو ‥ انه غارق فى جمال أعماقه فلا يرى غيرها ‥ والفاتيكان يملك مفاتيح الليل والنهار ٠ العباءة البيضاء للبابا تملك الحياة أو الموت ٠ ومن روما الى مدريد ‥ ومن مدريد الى طليطلة ‥ الجريكو باحث عن خلاص فى جمال أعماقه ٠ يعيش فوق مدينة ترقد فوق صخرة عالية ٠ يرى العالم وهو قريب من الرب ٠ وفى الجمجمة والكأس رسم الجريكو مريم المجدلية تعاتب المسيح لأنه لم يحتضنها ٠ لم يعطها نفسه واختار العالم بدلا منها ‥ وظلت بالايمان تنظر الى أعلى وتعانق أصابعها فى انتظار أن يعود المسيح اليها ولكنها تعانق الفراغ ‥ وطليطلة تعوم تحت أقدام الجريكو تطلب من عقله أن يفيق ليسجل روابيها ٠ ان في ضوء شوارعها وشمسها الخافية لقلق حاد ‥ وهو غارق فى أحضان حبيبته «جيرونيما» الخصبة ٠ انه بشربها ‥ وأنوثتها لاتفرغ ‥ انه تائه فيها ‥ مشدود اليها ‥ رسم وجهها بدلا من العذراء ٠ انها عذراء خبيرة بطفولة الليل ‥ تشعل روح الليل ‥ انه يقوم من أحضانها ليرى العالم مثلثات ودوائر منبعجة ‥ ان العالم هو جسدها ‥ النهد بيضاوى وباب الحب فى شفتيها مثلث ودائرة ‥ وعيناها ضوء مركز لامع ‥ « جيرونيما » هى هندسة العالم ‥ اشتعاله النامى ‥ بين أحضانها يصبح الرجل رجالا ‥ رغم أنه واحد ‥ يطول الرجل وتلتف عضلاته يصبح الها ٠ وتخلق له عرشا سماويا يرى من خلاله الأرض وينعكس ذلك على اللوحات ٠ تطول

الأجساد وتحطم قواليبها العادية . وانتهى العمر بالجريكوومات فى الغموض .

وتكرمش وجه اليونانى السكير .. بقيت على لسانه كلمات .. هل تعلمان أن الجريكو هو أول من حطم هندسة اللوحة ليحولها الى شيء انسـانى .. نابع من العين الى اليد .. وأنه أول من حـول الموسيقى الى ألوان .. وتنبه له رجل عاقل جاء بعد ذلك اسـمه سيزان .

وتنتهى الليلة بعـد أن يرهق الشراب هذا اليونانى الغريب الكاشف عن صديق قديم لسـيف وأدهم . سـيف يلاحظ ارهاق البحث عن نهاية الليل أو بداية النهار .. لا ينتهى الزمن رغم أنه يتحرك .. كأن الزمن محاصر بشيء آخـر ضده .. يتلقف الليل سيف وأدهم .. هاهو صديق آخر .. ممصوص من ارهاق آخر .. غارق فى النساء .. « صالح » اسم الرجل لكنه يصلح لكل شيء الا أن ينطبق عليه اسمه .. شـارع توفيق هو حياة صالح .. هـذا الطويل العريض الذى تخرج الـكلمات حادة من لسـانه .. آخر الحروف يلهث خاشعا أمام كبرياء صالح فيركع على طرف لسانه . كأن الحروف تنحنى فى هذا الصوت .. لا بد أن يغيب الانسان . أن يحتضن النساء .. أن يقول لأولاد الكلاب لن تحولوا رجالنا الى خصيان .. شارع توفيق فيه أكثر من واحدة .. ويضحك صالح وفى ضـحكته دعوة الى شارع توفيق .. الشـارع سنجابى .. حزين .. جدران اغريقية ورصيف ضيق وليل مذعور يفر أمام الخطو الذى يدق الأسفلت .. الثلاثة هاربون الى الامام .. فما فى الخلف داكن واللحظة كابية .. والقادم لابد أن يكون أفضل .. انه تصور . حلم . الثلاثة يفرون الى الامام .. ليس الامام سـوى فرار .. هرب .. لم تكن الاحاسيس جبـانة .. كانت الاحاسيس تمتلىء بالشجاعة .. لكن بلا ممارسة شجاعة مع وقف التنفيذ .. عندما

انهمر ضحك صالح سائلا «هل هي التجربة الاولى مع نساء شارع
توفيق ؟..» لم يجبه أحد .. ضحك أدهم ضحكة قصيرة مبتورة..
وهمس سيف «الجنون هو احدى الوسائل التي يستهلك بها الانسان
الوقت أو يعثر به على الحرية » .. وعاد صمت الليل .. سيشتعل
الكذب بعد قليل بين أجساد لم تعرف بعضها من قبل .. انتحار
مؤقت .. حاضر .. لحظة ساخنة تعودها صالح .. يتشتت فيها..
ينتحر .. يموت .. يولد .

أدهم يحمل في يده كراس « اسكتشات » وأصابع فحم ..
سيف وأدهم يهزقان صمت الاوراق .. سيتفوقان على روبنز في
اشتهاء الحياة .. روبنزليس سوى عيون تمتد الى كل النساء حيث
لا تكون المرأة امرأة .. وحيث تكون كل النســـاء ســيقانا ونهودا
وأردافا وبطونا .. كل شيء في العالم ريان .. طرى .. دسم ..
وكل ما في العالم يعلوه صحة ليست له .. كل ذلك لأنه احتضن
واحدة فقط .. ايزابيلا صاحبة الخمسة عشر عاما .. اعطته كل
النســاء .. ثم ماتت .. ثم صمت سنوات أربع لروبنز ثم زواج
آخر .. هو فوق الخمسين والعروس في السادسة عشرة .. روبنز
البلجيـــكي .. الذى تحبه كل كراسي العرش الاوربية .. تمنحه
ثقة الدبلوماسي في عصر عثر على حقيقة تقلب هدوءه وتلح على كل
شيء أن يصحو .. أن يستيقظ . الارض تدور حول الشمس وليس
العكس .. تلك هي الحقيقة .. أطلقها كوبرنيكس فتمزقت سيادة
الانسان على الكون وبدأ يصارع كل شيء حتى يبدو قويا .. يصطاد
الاسود من اللوحات .. يسبح في السحاب والاشجار والاحلام ..
أما صـــالح فهو الصديق الذى يحتقر من أعمـاقه كل الحياة ..
ويحبها .. انه روبنز شارع توفيق .. نوراني .. طلاقة الكلمات
تخفي صلافته .. والصلافة تخفي الحزن .. حيث تبدو المرأة مائدة
غريبة بمـا عليهـــا من خمر ولحم وضجيج .. الثلاثة هاربون الى
الامام .. سيدقون باب المنزل .

ويدق صالح باب المنزل ·· يبدو الباب القديم صديقا ·· ماذا في داخل تلك الحجرات ·· نساء ·· النساء هم نوع البشر الذى تكون منه عفاف ·· هل كل النساء عفاف بشكل أو بآخر ؟··

هل سيد الجنرال هو صالح ؟ هل هو أدهم ؟ هل هو سيف؟ لا يمكن · صالح هارب من سـيد الجنرال ·· أدهم كاره لسيد الجنرال ·· سيف يراه رجـلا من العجين سارق عفاف ·· هـل سيسرق أحد الآن احداهن ؟·· ويفتح الباب الطريق ملء بمن يسير دون أن يفكر ·· أن تفكر قبل أن تعيش مسألة صعبة ·· ما هو السهل في هذا العالم يا سيف ؟ · لا اجابة ··

فقط ·· لا يصل الى العين والاذن الا نسـاء تضحك ·· الضحك يعلو ·· الضحك يخفت ·· الضحك يتأوه ·· جدران منزل الوقت السـعيد ذات ألوان داكنة وعارية ·· ألوان حادة تقليدية مرصوصة بضجيج · مارسيل تضحك لأدهم ·· يقدمها له صالح·· صالح هو سيد المكان ·· يحفظ كافة تفاصيله·· أكل كل موائده·· معدته متخمة بالراحة والنساء ·· لـكن القـلق يهضم كل مافى المعـدة ·· الهرب الى الأمام ·· « مارسيل » دقيقة ·· ممتلئة ·· هابطة من مكان ما فى السـماء ·· هاربة من الصـمت الى صمت أعنف ·· ضجيج جدران منزل الوقت السعيد فيها صمت كبير ·· لعله صمت سيف ·· «ليليان» تضحك يقدمها الصديق صالح ها هى مائدة انثوية أخرى ·· لكن صالح يقسم أنه لم يلمسها ·· لماذا تقسم ؟ ·· لا داعى ·· ليس هناك ما هو خاص فى هذا العالم ·· عفاف كانت تخص سيف ·· لكن سيد الجنرال أخذها ·· العجين يتبول أطفالا فى أعظم من أحببت ·· هل يمكن أن تذوب فى ليليان وتنسى كل شيء ؟ لكنك بارد الاعصاب ·· هادىء ·· مصقول بثلج المكان رغم امتلاء كل شيء بما ترغب ·

ما يرغبه سيف ليس هو الوجود هنا ·· لكن الوجود هناك·· عيونهـا بيت عيونه · لا فائدة ·· عينـاك بـلا بيت ·· لن تأخذ

الاحساس بأن العـالم فيه مكان خاص ·· ما يخصك يسرقه غيرك ولا يلقى لك الا بما لا يخصك ·· «ليليان» لا تخص أحدا ·· ليست حتى مِلكا لنفسها · كل ما تملكه فيها هو هذا القدر من الجوع الى الحنان · والحنان آخر احساس يمكن أن يوجد فى هذا المنزل ·· الجوع خلف كل ضحكة ·· شاهد حزين الالوان يقـف خلف كل الأصوات لكنه بلا دموع · دموعه ضاعت فى ضجيج الضحك ·· انه ليس جسدا ·· ما تريده من ليليان · ماتراه الآن سمعته فى أوبرا · «لاترافينا» ·· هل تكون «الفريد» هذا الصوت الذى يحاول أن يرى شرفا ما فى العالم ، فيحب «فيولتا» هذه المسجونة فى جسدها الذى ينحنى له الرجال · لمـــاذا ينحنى الرجل على أى امرأة ·· ما دامت المرأة التى يقع فى حبها ليست موجودة ؟ ·· أيصلح هذا بداية لحوار مع «ليليان» ؛ الايطالية ليست بطلة أوبرا «لاترافيانا» وليست هى الغانية «فيوليتا» ·· هذه الاوبرا تتمتع بمقدمة موسيقية للفصل الرابع وهذه الموسيقى تملأ الكرة الارضية بالدموع · والتصفيق · ألسنا بلهاء ؟ نصفق لدموعنا · نصفق لضحكاتنا ؟ نصفق لسعد زغلول ؟ لماذا نصفق للنتائج · دون أن نصفق للأسباب ؟ ·

آه أنت صامت جدا ·· لماذا الصمت ·· لماذا أصـــابع الفحم التى فى يدك ؟ ولماذا أوراق الرسم ؟ » ·

هذا صوت ليليان ·· جدران الحجرة تضم اثنين ·· لـــكن صوت فيوليتا يرتديه صوت ليليان ·· ترافيانا ·· الغانية شخصية عامة · الغـــانية ليليان أو فيوليتا هى موت بشكل متفق عليه منذ قديم الزمان · موت محروم من الحياة ·· رغم الحياة وسط الضوء الشامل للمجتمع · أى مجتمع ؟·· ويغرق سيف فى الحزن والضياع ·· ليليان تقبض الريح ثمنا لجسدها المقدم الآن اليك يا سيف حتى تسعد · لا داعى أن تغرق فى الافكار ·

« قال لى صالح أن صناعتك الرسم وليس الصمت . أنا أحب الرسامين بلدى ايطاليا » .. صوتها خصب متدفق الى نهـــاية لن تأتى .. لأنه بنفسجى . لون الحياة عندما تشرق أو تغرب . لون صعب يخافه الرسامون .. لـكنك ستضىء به لوحات .. فقط أن تأتى الى يدك الالوان .

« ياه .. مادمت صامتا .... سأقبلك » .

وجاءت قبلتها الىشفتيه همسة مدربة. بيضاء وناعمة.. عارية كصيف غارب تلمس الشوق البارد . شوق الى المجهول .. لكن لا فائدة .. حتى يمكن أن تأخذ منها ما تريد هى أن تعطيـــه لك لا بد أن تكون سيد الجنرال .

« لست سيد الجنرال » ينطقها سيف لنفسه .. وبصـــوت مرتفـــع .. بوضوح محدد . هادىء لكن « ليليان » لن تعرف ماذا يقصد .

« آن أن تعرف مسيو ســـيد .. اننى أعرفه .. انه .. انه تزوج الآن .. يدعى أن كل النساء تعبده .. لكنه ما زال يحضر الى هنا » . سيد الجنرال وراءك .. هو عفن العالم . هو هواء العالم .. هو سارق عفاف .. ماذا يمكن أن تفعل ياسيف ؟ هل تجرى الآن من تلك الحجرة .. ولكن الى أين ؟.. الباب مغلق .. والهواء مغلق والشوارع مغلقة وأنت مغلق .. وســـيد الجنرال هو عصير العفن المنتشر فى الهواء .. وليس هناك هرب سوى « ليليان » عليك أن تهاجر اليها .. انها ضياع مركز وحنون .. لن تلعب معها لعبتها تســـتطيع ان تأخذ منها مالا يستطيعه أحد .. الاحساس يشـــل القدرة .. الكلمات ترتفع عن السلوك .. الصمت كهف يحتويك ويحتـــويها .. خلف الكلمات ينـــام الصمت .. يتسرسب الشىء الخـــاص .. ليس عجزا ولا رفضا للتجربة . لـــكن الحب ليس استنزافا ..

حدثيني عن « فان جوخ »

ضحكت « ليليان » . ملأ الحجرة لون صوتها . من الصوت يخرج الأنثى المسحوقه بأجساد تدفع أجرا .. الرجال ضحايا أيها اليوناني النازف بالحقيقة في شارع « البير » .. استيراد فقراء من أوربا للترفيه عن فقراء من مصر لا يحل المشكلة .. الفن عند « فان جوخ » كان يحاول أن ينسج من الشمس عيونا للفقراء .. بيوتا للدفء .. حيث لا رجال بلا نساء وحيث لا نساء بلا رجال . وحيث تكون كل امرأة للرجل الذي يحبها وتحبه .

« فان جوخ » أكثر حياة من «مايكل أنجلو» .. رغم أن المقارنة صعبة .. مايكل أنجلو يفتت الخيال على القماش .. خيال محصور في تجسيد الأشياء .. تجسيد الكبار .. الكبار هم المسيح.. مريم .. العذاب .. الصليب .. موسى .. لكن الكبار الذين يستمتعون بالمسيح ومريم ويأخذون ثمن ذلك من تزييف اللعبة . «فان جوخ» قسيس لكنه يخلع رداء تجارة الايمان .. في عصر جاء فيه التصوير الفوتوجرافي لتنتهي مهمة مايكل انجلو .. حيث تنقل الآلة في جزء من الثانية مايعجز عنه الفنان .. تلغي ما يضيفه الفنان .. الكبار يحنطون أنفسهم في التوقير .. الكبار القدامى كانوا يملكون كل شيء .. رجل يملك مدينة أو بلدا .. ملك يحكم نصف العالم ويموت من أجله أي انسان . لم يكن الانسان انسانا « يا ليليان » .. ورث الكبار الذين يملكون . أنصاف كبار يتطلعون الى أن يكونوا كل شيء .. لكنهم تجار .. يبيعون كل شيء لأي شيء .. ورغم ذلك فالتجار يبحثون عن الاحترام .. عن التوقير وعن اضافة تاريخ غير حقيقي الى تاريخهم . « سيزان » رأى الباحثين عن أصول وتاريخ يزيفون أنفسهم .. يضعون الاعجاب محدودا بما هو ماض . «سيزان» هادىء ويلعب بالألوان لكنه غير خاضع يا « ليليان » الى ضرورة التوقير المطلوبة لعصر التجار . لا بد من حدوث تغيير ما في الألوان .. التغيير الهادىء هو « سيزان » .. التغيير هو أن نمسك

بعظام الاحساس .. بكل ما فى الحياة . نلخصه من أجلنا . الانسان يريد أن يسترد نفسه . بطريقة تختلف عن زمان بين مايكل أنجلو .. كان الانسان يسترد نفســـه عن طريق أن يمــوت وهو راض عن موته من أجـــل آخر قـوى . سيد . قسيس قديس . ملك .. لا أحد الآن يمــــوت من أجـــل سيد أو قسيس . أو قديس . أو ملك . الذى يموت يموت وهو خائف حتى ولو كان الموت من أجل فكرة .. لا بد من أن يكون الموت أيضـــا متغيرا . «سيزان» هو الذى يتحدث الناس عنه فى تلك الأيام الصعبة .. الصعب هو أن ترى دون أن تبتهل . أن تضع الايمان فى قدميك وترتدى احســـاسك كقبعة . فى عقلك . وتعـانق الأشـــياء مع الوضوح .. الوضوح شىء صعب .. الوضوح يختفى كل لحظة فى أقنعة التجار الباحثين عن الأبدية لهم . لكن الأبدية والخلود تحتاج الى صدق وهم يبحثون عنها فى الكتب .

« ليليان » تعرف الكثير . تعلم من الفن ما تحتاجه أنت ياسيف .. لــماذا هى فى هذا المنزل .. العالم كجحا يمسك أذنه اليسرى بيده اليمنى بعد أن يمر على أذنه اليمنى .. وذراعه تلتف حول رقبته .. العالم مخنوق ببهلوانية كل من فيه .. «ليليان» تحكى وتحكى عاهرة هى .. سيدة ضاعت منها سيطرتها على وجودها من أعلى المجتمع . ليليان تضحك .

ـ « أخذت أكثر من وقتك وأعطيتنى أكثر مما استحق » .

ـ ميلاد احســـــاس خاص وســـــط عفن عام . ليس حبا . لكنه تحديد . الدهشة بامكانها أن ترسم نفسها على ملامح سيف .. ليليان تتكلم :

ـ « فان جوخ » قطع أذنه ليثبت لحبيبته أن الحيـــاة أرخص من لمسة حنان . هل ستقطع أذنك من أجلى ؟

فى هذا الصوت عالم لا تخفت صداقتك له يا سيف .. انه

المحارة التى تختص الحرية التى تحلم بها . صداقة ليس لها وقت وغير مدفوعة الأجر . جسدك يطل على ترعة المحمودية . فرع من النيل .. جسدك رضع شموخ أمواج البحر .. المظاهرات التى تسير فى الشوارع تهمك .. لا تهمك .. أنت فيها .. أنت لست منها ..

الغروب كل يوم أحمر .. يولد منه لون رمادى فور سقوط قرص الشمس فى البحر .. لم تتخذ قرارا للمستقبل .. ماذا تكون فى هذا العالم ؟ .. القرار وصل دون أن تدرى..وأنت وأدهم من أهل الفن..همسة المستقبل وصلت الى الفعل وأصبح النهار هو سقوط لون أبيض من فجر رمادى وأصبح الليل هو سقوط لون الغرب فى البحر الأزرق .. لتأخذ السماء لون البحر وتخلطه بالسحاب ليكون آخر الأمر لونا أزرق داكنا .. نقيا .. الفن هو الطريق الوحيد أمام سيف وأدهم .. رحلة الألم العام .. امتصاص ألم الآخرين .. بصمت تغسله الألوان .. الحياة تطلب نقودا .. لابد من البحث عن عمل .. الفن ليس عملا .. « كرومر » كان يعرف أن العين المصرية يجب أن تنظر الى المعدة وحدها .. لو نظرت الى الطبيعة .. لكان هناك رصاص لكن النظر الى المعدة قد يضع العين على السماء تطلب منها اللطف . ولطف السماء متهور . أنانى .. محكوم برضاء سيد الجنرال أولا .. وسيد الجنرال رجل من العجين . والعجين لا يمكن أن يرى ألوانا .. انه يعى أنه فراغ يشتاق الى أن يمتلىء والامتلاء لا يأتى . اذن لا بد من الجرى وراء مزيد من الامتلاء .. عفاف ليست سوى المستحيل البعيد يا سيف.. دخلت عفاف فى جوف الفراغ .. العفن سيد الجنرال .. ليليان خصب مشروخ .. دليل وحيد على أن العالم لا يمسك أذنه اليمنى بشكل مباشر .. الجميع يصرخ .. ثم تدفعه الحالة خلال الصراخ الى أن يحافظ على الوجود . ومن خلال المحافظة على الوجود تكون العيون

مشغولة وبعيدة عن الألوان ·· لو توقف الناس عند الألوان ؟··
لا أحد يتوقف ··· قليل جدا من الناس من يتوقف عند الألوان··
الشبح الذى يخاف منه الانجليز هو أن يستمتع الناس بالفن ؟··
أليس هذا هو الأمر يا ليليان ؟ ليليان صمت مشروخ بحنان مشروخ
·· بتاريخ مشروخ ·· بخصب ينزف ·· الطعام · النوم ·
النقود · أدهم يتعامل مع الحياة بسخرية ·· دهاليز الحياة تطلب
تقليد شارلى شابلن ··· اشتهر أدهم بذلك وهو فى المدرسة ··
شابلن شاب يلعن العالم بسخرية ·· يهزأ بكل شيء ·· شابلن هو
جحا الغرب ·· ينقد كل شيء ·· لابد أن نعمل ·· دستور ٢٣ يرى
نهارا · يتنهد به المصريون ·· هل هو أمل ؟ تهدأ المظاهرات ·
بعض مواد الدستور تثير الملك ·· لعبة تخاف الكلمات ·· هذا
الملك ·· اللعبة جاءت عن طريق الحذاء الانجليزى ·· هو الآن ترعبه
الكلمات · لأن حدود المربع الذى يلهو به تضيق ·· الشارع يهدأ
من المظاهرات · يفاجأ سيف بأنه أصبح موظفا فى مصلحة الموانى
·· يفاجأ أدهم بأنه أمين مخزن فى وزارة المعارف ·· كلمة «المفاجأة»
ليست غريبة عن هذا الحادث لأن الذى سعى للحصول على الوظيفة
أصدقاء الوالد ·· العمل الحكومى غريب ·· هناك أحد موجود فى
حجرة بعيدة عن المكاتب ·· لكنه الظل والشبح · انه موجود فى
خشب المكتب وفى أوراق المكتب · هذا الظل يحول الحياة سجنا·
انه انجليزى · يتكلم ·· يتكلم · يحاول أن يحصر جهود سيف وأدهم
فى أشكال الاستمارات الحكومية · دفاتر القيد · الوارد ··
الصادر ·· هذا الظل ينفى عن الاثنين حق الأحلام ·· يلغى اعتراف
العقل بأن كل ما هو موجود فى ملابس انسان · يتخيل أن الذين
يتنفسون ليسوا سوى تراب · يتبعثر جهود أى انسان فى اليمين
واليسار ·· يوقظ كل من يجيد القراءة والكتابة كل صباح ليدفعه
الى حجرات بلا ضوء ·· هى ملخص للاحتقار وتلخيص للتعذيب ·
وجود بلا ضوء ·· رذاذ أسود ·· اللون الأسود هنا يفقد الانسان فيه

جوهره · انه مخلوط بالتراب يصنع من كل البشر أشكالا كريهة·· هل يموت سيف ؟ هل يتلاشى أدهم ؟·· هل يقبل أحد قرار الغاء الوجود ؟

العجوز الذى يسمى قدرا أو تاريخا يملى الاجابة ··

« ــ لا ·· »

الوظيفة من أجل النقود ·· والنقود من أجـــل الألوان ·· واليأس ليس مقـــابل الأجر · هنا تتم لعبة الخداع · يرتد خداع الظل الموجود فى حجرة أخرى بعيدة اليه · ستلد الألوان يوما تعيش فيه وحدها ·· الالوان كامبراطورة حياة المستقبل ·· كيف ؟

شماع الرجاء لا ينطفىء وشمعة اليأس لا تشتعل ·

أن تعرف أنك لن تستســــلم ويكون هذا اقتنــــاع كالهـــواء الذى تتنفســــه ·· لن يســـتطيع أحد أن يجعلك تستســــلم · ليليــــان احتضـــان يغســـل الأمل ليبرق · ليضىء ·· جوف الليل يحوى ألوانا ·· ليليان تعطى كل ما عندها ·· وما عندها فى رأسها أكثر مما فى جسدها ·· جسدها بركان مستهلك أصبحت تخاف عليه من مزيد من الاستهـلاك ·· ليليــان عيونها تبرق وهى ترى سيف منهكا ·· انه الطفل الذى يجب أن يحتضنه العالم ·· الطفل الضخم براءة الثالثة فى العمر ·· وخبرة آلاف الرجال وخجل الانسان ·· الانسان ·· سيف يحاول مقاومة العنف الذى يعيشه فى الصباح ·· الرذاذ الأسود المخنوق بالتراب ·· الملاكمة لعبة يمكن أن تصفى الأعماق قبل أن يبدأ الفنـــان فى الرسم · الرسم فى الليــل ·· الرسم لا يعطى نفسه بسهولة ·· يرهق حتى يمنح سره · يلتفت سيف الى نفسه ·· انه يمر بمدارس الفن المختلفة ·· دون أن يعرف ·· هناك صوت يملى على الـــكرة الأرضية كلها احساسا واحدا يعبر عنه الفنانون فى كل العالم فى

وقت واحد ٠٠ المهم أن تجرى يا سيف أنت وأدهم ٠٠ أن يكتشف كل منكما الطبيعة ٠٠ والآخرين ٠٠ أن تضع عيونك فى أنياب البحر وأنياب السماء وأن تكسر كل الأنياب حتى يكون العالم بلا أنياب ٠٠ « ليليان » تحكى عن رودان ٠٠ برومشيوس بطل الأسطورة الذى حلت عليـــه اللعنة لأنه يتقدم فى فهم العالم دون أن يفهمه العالم ٠٠ المجلات تتحدث عن متحفه الذى يقام ٠٠ الرسم يعانق الأدب٠٠ والتـــاريخ يتزوج الواقـــع ٠ والفقر يعانق الجيب ٠٠ والفرنكات لا توجد والحياة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر تأكل كل ما فى الانسان ٠٠ لا تعطى للانسان فرصة أن يعبر عن نفسه ٠٠ التعبير عن النفس كمن يدفع الجوع كثمن لحياة المستقبل ٠٠ لست وحدك يا سيف ٠٠ لست وحدك يا أدهم ٠٠ « رودان » الذى يذوب الطين فى يده ليصبح جمالا ٠٠ « رودان » أيضا عاش فى الجوع ٠٠ « رودان » لم يقدم لحبيبته « روزبيريه » سوى أنها عار ٠٠ رغم أنها أعطته ٠ كان يرضع بعيونه منها كل حياته ٠ عيونه أنياب تتغرس فيها وتخرج الى الطين تماثيل ٠٠ سخط الفقر يرتد الى فقيرة لا تهتز ٠٠ لأن حبيبها هو حبيبها ٠٠ رودان فقير ٠٠ والفقـــير ليس كلمـــة يا سيف ٠٠ انه ألا توجد نقود لطعـــام فى مدينة باردة ٠ لن نقدم لليليان الاحســـاس بالعـــار ٠٠ انها النبع ٠ الأم الشابة ٠ رودان نحت النبع والأم الشـــابة « روزبيريه » كسرت حياتها من أجله ٠ الأعوام خشب فى أعمـــاق المرأة ٠ تتكسر الأخشاب عندما يذيبها الرجل بالقبلات ٠٠ يولد الطفل ٠٠ كسروا أنف رودان عندما لم يقبلوا تمثاله « الرجل ذو الأنف المكسور » ٠٠ الفن يعطى « رودان » سره ويعطيك السر ويغلف كلاكما فى الانكسار ٠٠ الليل هو غناء سيد درويش ٠٠ حفلة كبيرة ٠ ليليان فى الحفل ٠٠ الرجل يغنى « أنا هويت وانتهيت وليه بقى لوم العزول » الرجل يغنى ٠ الغناء فيه شىء يخز ٠٠ حبل ضيق يلتف حول رقبة الاحساس ٠٠ الغناء يدفع المشاعر الى أن تصحو ٠٠ أن تنتصب دفاعا ضد الاختناق لترى

العالم رحيبا .. لماذا يغني الشيخ سيد بهذا القدر من الوداع .. آخر أيام العمر . الجماهير تغنيه . تحييه . تناجيه . تقول لنكهة الصوت الواثقة ان جيلا ما سيولد « لا تخف نحن نسمعك .. وأولادنا ستعطيك .. نحن نعلق على صدرك الآن وسام الحرية .. انها من نكهة صوتك » .. يتسرب الليل الى الصباح ليموت الشيخ سيد .. نبض حي آخر يموت .. الجميع صفق .. لكن التصفيق لم يكن هو الحرية .. لم يكن انقاذا للهتاف .. « بلادى بلادى لك حبى وفؤادى .. الدموع تتحجر فى صوت ليليان وتختنق بها مصر .. وشارع البير يرفض قرار الموت الصادر على جسد سيد درويش . شارع البير يغنى فيه أكثر من واحد لصوت الشيخ سيد .. الشارع لا يغسل الحزن بالرقص وأغانى سيد درويش .. الحزن فوق الجميع طائر مذبوح يضحك.. المحلات تقدم موسيقى «كلاسيك» .. صديقة جديدة تخرج الآن مع سيف وأدهم هى ليليان . بيتهوفن يحكى عن بشرتها ألف حكاية فى سيمفونيته الريفية . بشرة ليليان ريف طرى لا ينتهى .. خصب مهمته أن يعطى .. العازفات فى فرق الموسيقى « الكلاسيك » من البنات .. كل واحدة تنحنى على الآلة وتطيع مسيو بتشارولل .. مسيو بتشارولل موجود فى الموسيقى .. لأنه أصبح الأذن التى يسمع بها سيف أو أدهم .. الليل صديق لا يمل .. صداقته تتجدد .. جدران منزل الوقت السعيد تغادرها ليليان .. تذهب الى منزل آخر .

من السذاجة أن أقول له اننى أعلن توبتى بين يديك يا سيف .. لكن من البله أن أكون لأى انسان آخر سواك .. لست أقوى الرجال .. لكنك الأكثر صدقا . البرىء من أيام متهمة باغتصاب عذرية النقاء .. هذه ليليان تعطيك التحديد الأكثر . لم تعد غانية .. تترك امتهان الليل لتعيش ليلا من نوع آخر .. الضحكات ليس فيها بكاء ولكن فيها احساس بأن الانسان انسان مهما حاول الآخرون عكس ذلك .

اختفى الشاهد الحزين من خلف صوت ليليان • صوت ليليان مشروخ بالخصب • مشروخ بالوجود الشديد فى أعماق سيف •• ليليان تهتم بكل ما له علاقة بالرسم • تقرأه بصوت عال • سيزان• فان جوخ • جوجان • أسماء تتسرب فى الليل الى أدهم •• وسيف• الانسان يرث التجارب •• ويحدد الاحساس •

لو رأى أحدكم عقلا يغنى سيكون لوحة لسيزان •

لو رأى أحدكم أصفر يضطرم بأخضر فى توتر لا يهدأ •• نهذا قلب فان جوخ ••

لو لمس أحدكم لذة عارمة خلف جسد امرأة هادئة الملامح فاعلموا ن روح جوجان قد زارت هذه المرأة •

الاسكندرية ضاجعها جوجان عندما منعته حماته من عناق ;وجته حتى لا ينجب طفلا لا يدفع مصاريف طعامه •

الاسكندرية احتضنت « فان جوخ » عندما أراد الشمس بيونا لكل الناس •

الاسكندرية تعطى « سيزان » سرا •• كان يبحث عنه ••

الاسكندرية تولد من الوضوح • الى الوضوح ••

صيف الاسكندرية قطع حذاء الايمان فى قدمى سيزان وتهدى الاحساس كقبعة الوضوح •

الاسكندرية صديقة عذراء •• ضحكتها لهم طعم ضحكة ليليان لمتلئة بالميلاد والموت •• اللون البنفسجى • المشروخ بخصب لمشروخ بجوع لحنان لا يأتى •

الفصل الخامس

العالم ٠٠ «حدوتة» ناقصة
٠٠ ينام فيها الانسان
فلا يسمع نهايتها ٠٠
انه يموت دائما قبل أن
تتم « الحدوتة » ٠ ؟

ديسمبر شيخوخة أى عام . الثلاثون هو رقم موت أى شهر . والغروب هو نهاية النهار . والليل يولد طفلا . لا بد من التقاط لحظة صفو وسط الليل . وليل شارع البير هوتمزيق الساعات . الدمار يضحك وسط عفن الشارع . والضحك لم يعد ملونا بالصـــخب . والصخب لا تطفو فيه قوارب الحياة . القوارب الوحيدة التى تطفو فى الصخب هى أحلام بعيدة . أحلام منتفخة . كل الشوارع منتفخة .. كل شارع يبدو كامرأة حامل . والحمل كاذب .. ولن يوجـد طفل . وأيام ملعونة من فرط تخمة الاحلام الكاذبة .. والاحلامالكاذبة لها ضجيج . والضجيج طعامه فراغ . والفراغ يلتهم كل أعماق . وكل أعماق لها سماء . . وسماء الجميع يطل منها سيد الجنرال .. اللعنة .. هو الانجليزى المغزول بجثة مصرى .. وليليـان مصرية مغزولة بجثة ايطالية .. أين مكان الروح من الجسد بالضبط ؟ .. سؤال حائر صامت فى عقل سيف .. ولا بد أن يصمت على أسئلته .. الاسئلة تدخل به الى جحيم هادىء النيران يعطيها نكهة النضج ، والنضج هو محاولة سيف وأدهم لملء الفراغ . والفراغ فى أى لوحة يوحى بأن أعماق الانسان تتناثر ألوانا .. تندثر روح الفنان فى تلك الالوان . تولد الروح من جديد . الاسئلة التى بلا اجـــابة تمزق الاعماق . و « سوراه » اسم جديد تكتشفه ليليان .. تحكى عنه .

كان يرسم الوجه والطبيعة والحياة من نقط بعضها بجانب البعض .. اكتشف هذا الشاب القديم «سوراه» أزمة الحياة وسط الدمار . رأى الهواء وهو يدق مسامير من الفراغ فى كل الدنيا .. مسامير من

الفراغ تفتت الانسان والاشياء • رأى « سوراه » الصليب الجديد القديم الغامض المتعدد الاشكال•• «سوراه» رأى الفراغ الهائل الذى نعوم فيه • أدهم يتوتر ضحكا وهو يسمع عن « سوراه » • يندهش سيف وأدهم وهما يشاهدان النقاط الدقيقة التى يبنى منها « سوراه » عالما• يتوتر أدهم حبا لسوراه • تتوتر ليليان بفرحتها بهذا الاكتشاف الذى تقدمه لسيف وأدهم • يتوتر الجميع احتقارا لشىء غير محدد بالضبط •• هل هو احتقار للفراغ ؟•• يرى سيف فيه الهرب •• يرى أدهم فيه المواجهة • يمتص كلاهما من الفراغ صـوت ليليان الذى يحمل اسم سيزان •• الذى كان يقف أمام الفراغ بلا خوف • بهـدوء • بتـوتر خافت فى الأعمـاق فقـط •• بعيون تسـبح فى أعمـاق كل شىء تبحث عن تلخيصها • سيزان • هذا الشيخ الذى جاء الى الدنيـا فارتفع فى أعمـاقه صـوت الصمت••كان هذا الصوت يدق باب العالم الملآن بالضجيج•كان صوت الصمت يبحث عن جوهر الاشياء • الجوهر دائما •• مستطيل ودائرة وخط • ومثلث • يواجه سيزان فنا يحاول أن يجعل من الاحساس مجرد هندسة لونية تنقل نفس الطبيعة • بموتها • بحياتها • بهذا الاعتداد الردىء لأن يكون للانسان مجرد شىء • مجرد صدى للطبيعة وليس سيدا لها • ان « التكوين » الذى جعل الآخرين يهتزون طربا لقدرة الانسان على تقليد الطبيعة •• هذا التكوين أصبح محل شك • أعلن سيزان أن قدرة الانسان قد زادت عن هذا التقليد الاعمى • أصبح الانسان يريد أن يصعد على سلم الاكتمال •• انه لم يعـد راغبا فى أن يبنى الطبيعة مرة أخرى كما يراها • لقد تعود عليها • انفضح أمامه سرها •• أصبح فى يديه وأصابعه كل ما تحتويه من ألوان ، وتشريح وجبال وعواصف وبحار • انه الآن يريد أن « يصمم» طبيعة جديدة •• أن يبنى طبيعة أخرى غير التى يراها •• ينفـذ بعيونه فى داخل الطبيعة التى ماتت من فرط عاديتها ليخلق فيهـا

روحا .. أصبح سيزان يعيد خلق الطبيعة .. لم يعد يرغب فى أن يترجم ما حوله الى ألوان ولوحات .. انه يريد أن يستغنى عن بعض ما فيها .. ويخلــق لها روحه . ويركز مقادير الجمال فى كأس الاحساس .. لينتشى الانسان الى أبعد مدى . ينتشى الى الحد الذى يجعله يقف فوق رماد الطبيعة القديمة ليطل على طبيعة أخرى من خلقه .. من صنع يديه . من نبع عيونه التى تلخص العالم القديم وتدفع بعالم جديد الى الفراغ . الفراغ الموجود على القماش الابيض . مضى سيزان يسمع صوت الصمت .. عاش فى حافة الهدوء .. حياته الهادئة عرفت الرفض من الآخرين .. عرفت رغبة الآخرين من أن يستعبدهم القديم . الاحساس المكذوب فى ألوان . الاحساس الذى مات لأنه لا يدفع بمستقبل سوى التكرار . الانسان ينسى نفسه فى التكرار .. لكن هناك من ينتظم فى السباق مع عقارب الساعة . يقفز باحساسه الى الأمام . سيزان ينقل « الواقعية » الى انقاذها الجديد « التأثيرية » . كان يداعب حرية المستقبل بالوانـه وخطوطه .. و «فان جوخ» على الحرف الآخر من صوت الصمت .. يصرخ هناك . يرفض فى كل مكان . بالكلمة التى على لسانه . بالشمعة التى تحرق يده . باللون المتوتر جنب اللون . يتدفق كنهر لا يعرف فيضانـه النهاية . وأذن العالم لا تسمع سيزان ولا فان جوخ . وعيون العالم صدأ مطموس بلمعة كاذبة .. عيون لاترى سيزان ولاتفهم فان جوخ .. الاثنان يكرهان الوساطة .. لكن العالم الذى يعيش فيه فانجوخ وسيزان عالم من السماسرة .. كل شيء سمسار .. الهواء يباع .. والبشر يباع .. كل شيء معلق فى فاترينة نهاية القرن التاســـع عشر .. وله سعر محدد .. عادات تلك الآلات التى دقت أوراق النقود لتلخص العرق ورقا . الدم ورقا .. الفن ورقا .. اللعنــة الباقية فى نهاية القرن التاسع عشر هى لعنة سيزان . فان جوخ . جوجان . أسماء . ملابس . ألوان . شخصيات . جوهر . خطوط . هـــدم

لتكوين العالم . اعادة تصميم العالم . اللهث وراء الشمس .. اللهث
وراء الظل .. الانطلاق الى الحرية الغائبة عن الجميع.. خلط الألوان.
رسم حساسية الاشياء .. الألحان الغامضة . البسيطة .. الالحـــان
الحارة .. للعالم « حدوتة » ناقصة ينام فيها الانسان فلا يسمعها .
والنوم موت . والموت هو احتضان الطبيعة القاسي للانسان . يجب
أن يكشف الانسان قناع الموت . أن يكسره . وسط الم الصمت
ترتجف عيـــون العالم قليلا . ترتجف أذن العـــالم . سمع العالم
صـوت سيزان .. رأى العالم احساس فان جوخ . تعلمت العيون
القديمة كيف تعتذر لأصحاب الحياة .. الزمن يندفع الى الأمام .
الانسان يريد أن يصل الى لقاء الله . يحاول أن يخلق لنفسه أقداما
أسرع من تلك التى خلقهـــا له الله . خلق الانسان العجلة . تفوق
الانسان فى السرعة . قابل فى السرعة هذا الموت المؤقت المسمى العجز
الدائرة . العجلة . التوازن بالاندفاع الى الامام . تحكم العقل . انفجار
القلب بالعـــاطفة .. تتفسخ العجلة . يقع الانسان . يأتى الموت
المؤقت .. العجز المتدفق .. لأن الصحو يستمر .. لأن الصحو يأتى .
كاندفاع نحو صوت القادم . لا يهم أن يكون الموت من الامام أو من
الخلف . المهم أن تكتمل الدائرة . أن يعزف الجوهر لحنه الكامل .
أن تموت من الطبيعة محاولاتها الدائمة لأن تكون مطبعة للبشر .
سيكون البشر يوما ما هم الذين يطبعون الطبيعة فى مطبعة أفكارهم
.. سيملك كل انسان مطبعة خاصة تصنع له كرة أرضية خاصة..
ليليان .. هل تفهمين معنى أن يكون كل انسان هو سيد الكون ؟
ليليان تفهم .. ليليان هابطة من عالم كله عيون تبحث عن الفهم..
أحضانها تعطى الفراغ القادم معنى الميلاد والميلاد هو تحطيم الصمت
وشفتاها عطر اللون القادم . وعناق رموشها يحكى اللون القادم .
وسيف ضخم محاط بعزلة من الاسئلة . يعبر بعيونه الى المستقبـــل
ليرى الحاضر . يجب انتداب المستقبل الى الحاضر . ستحتضن العيون

هذا الحاضر القديم ·· فى الايام القادمة ·· سيفرض سيف وادهم على الاخرين ان يطلبوا الغفران ·· ستستغفر العيون هذا الانكـــار الصامت الذى لم يعط بعد مايحتويه · وحصار الأسئلة لاينتهى · وشوارع الاسكندرية تملك مزيدا من الأسئلة · الشوارع هستيرية ·· مدينة تضع نفسها فى الصخب والضـحك · وشارع البير هو برميل الخمر والرقص ·· كل ليلة ·· لكن لكل ليل فجر · ولكل فجر من تلك الاعوام صباح ·· ولكل صباح فى تلك الايام مظاهرات المظاهرات هى أنفاس الصباح · والاسكندرية الســـــنجابية تعيش خريفا غريبا · خريف فيه روح « فان جوخ » · المدينة تنحنى على نفسها بضحك متألم · تلخص روحا تتحرك بعنف · ترفض الحيـاة مع لصوص كرههم « فان جوخ » · لصوص يسرقون نور الشـمس من عيون الفقراء · اللصوص الذين قال لهم فان جوخ «لا »· كيف يمكن أن يقول سيف وأدهم للصوص « لا » ·· كل منا يقولها بالطريقة التى يريد · بالاحســاس الذى يعيد بنـاء العالم · لكن اللصوص يستمرون فى سرقة النور من عيون الدنيا · ويجب أن يظل الفنـان موجودا ·· حتى يضع حدا لهذه السرقة ·· حتى يضىء عيونا لهـا قدرة على اختراق الحواجز · تلك الحواجز الملعونة التى تمنع الضوء · وشوارع الاسكندرية ليس لها عيون· شوارع مغمضة الضوء · باهتة اللون · عالية الصمت · حزينة الضحك · والنور ليس ضوءا ·· انه ظلام باهت ·· عتمة ليست نورا · وسيف وأدهم ينتظران الشمس على رصيف شارع البير · والشارع مبتل بتلك العتمة ·· وليس هناك وسيلة سوى أن تولد لوحات نظيفة · نقية · تحمل مستقبلا · هذا الذى ليس واضحا · وصوت ليليان وراء الاثنين· صوت هـــو نسيج من الضوء الذى يصنع اللون على قماش اللوحة · نور خاص· نور يحمل فجرا · ينتظر شمسا · نسيج من الحلم بالضوء وسط عفن الضحك بعد أن تحكى «ليليان» وبعد أن تقتبس العيون مايمكن أن تراه من الشوارع ·· بعد ذلك تأتى الرغبة فى أن يغسل الانسان

وجهه من تاريخه. «ليليان» ابنة وقت سعيد.. احتضان مأجور وسط الليل أو النهار. لكنها تعلم فوق ما يعلم أصحاب الأقدام المتحركة هنا أو هناك التاريخ على شفتيها لحن غامض من فرط ما فيه من غفران. اللحن بسيط ويغفر كل الاخطاء. والخطايا هي تاريخ الانســـان والانســـان في أحضانها لو ســمع كلماتها فعليه أن يغسل بقبلاته لها وجهه ووجهها. غسيل مشترك للتاريخ الخاص.

التاريخ عارنا جميعا.. كيف نجرى منه؟

ليس هناك سوى صناعة تاريخ جديد. والشوارع هي طارسيف وأدهم وليليان. من ليليان والشوارع يتنفس سيف براءة الهرب لكن الهرب نفسه ليس بريئا. انه المذنب الأول في سجن الحاضر. تحنيط الحياة لايتم. الكرة الأرضية موجودة بتلخيص كامل حي على رصيف أي شارع.. الكرة الأرضية موجودة كتلخيص كامل على شفاه «ليليان». عمر «ليليان» هو عمر الكرة الأرضية. عمر الشوارع هو عمر «ليليان». وفي ثنايا هذا العمر يعيش الطفل الحالم العجوز. الفن. الفن عمر عمر ليليان. كل الدنيا أعمارها متساوية. ليليان. سيف. أدهم. سيزان. فان جوخ. آدم. حواء. مريم المجدلية القديمة. يهوذا. اليوناني الغارق في غيبوبة الرؤيا.. سيد الجنرال.. الدنيا كلها فرقة كشافة تسير الى معسكر يحلم كل من فيه بالسيادة.. لكن سيادة على من؟ كن شجاعا. أمينا. حسن التصرف. لا تكذب. لا تقتل.. قوانين الكشافة المضـــحكة. « بادن باول » انجليزى اكتشف حكاية الكشافة. وفرقة الكشافة هي ذكريات طفولة سيف وأدهم. « بادن باول » زعيم الكشافة لم يعلم أن في طفولة سيف وأدهم طابورا طويلا.. كان كلاهمـــا يســير في مقدمته.. فرقة المدرسة من الطفولة.. يتقدمها عازف الطبول.. والشوارع تهتز وهي ترى أطفالا في ملابس كاكية. والحكمدار الانجليزى «انجرام» ابن عم « بادن باول » يهتز ويحدد الشوارع التي تسير منها فرقة الكشافة. لا يجب أن تسير ملابس كاكية مصرية الا وفوقها فوهات

بنادق انجليزية · قادة فرقة الكشافة كل منهم يحلم بمسدس فوق الملابس · تصل الفرقة القديمة الى كوم الدكة ··· تلك الهضبة المرتفعة وسط المدينة · تشهد تلك الهضبة هبوط علم انجلترا · اشعال النار فيه · أبناء « بادن باول » الانجليز احتاروا « لا تحرقه » ·· لم تكن ضمن وصايا « بادن باول » ·· وها هى الكشافة تحرق العلم الانجليزى فى الشارع ·· الكشافة تنزل كل علم انجليزى ·· كوم الدكة ·· مكان مرتفع يسكن فيه سيد درويش ·· البيت هو البيت ·· الرجل كان يغني هنا · مصر امرأة حلوة مكسورة الجناح ·· «انا هويت وانتهيت وليه بقى لوم العذول» ·· «بلادى بلادى ·· بلادى ·· لك حبى وفؤادى» ·· « مصر يا أرض النعيم » ·· النعيم كلمة غامضة وسط هذا الحشد الكاكى الطفل ·· الحشد الكاكى الطفل يشعل النار فى علم انجلترا أمام منزل الشيخ سيد · الرصاص يزحف فوق الملابس الكاكية · الرصاص انجليزى· الجموع الكاكية الصغيرة تتفرق ·· سيف وأدهم يجدان أنفسهما أمام حدائق الشلالات · الاشجار التى فى تلك الحدائق غريبة · الاشجار هنا تبدو وسط المدينة ·· على مرمى منها البحر · بجانبها مدافن الأرمن · هنا تماثيل · الموت مقدس عند هؤلاء الناس· يرفعون من مات على أيدى ملائكة من البرونز·· فرقة الكشافة لم تكن موتا·· لم تكن أجسادا مرفوعة على البرونز ·· صوت سيد درويش لم يكن قد مات ··صوت له طعم الانسان ·· ليس له علاقة بالبرونز· الطفولة ابتعدت الآن عن سيف ·· العام الآن خمسة وعشرون ·· كان كل شيء قد مات وكل شيء قد عاش ·· الذى يعيش هو اللون الاخضر والممتد وسط أشجار حدائق الشلالات · « ليليان » تقول ان هذه الحدائق تشبه حدائق « الكسمبرج » الباريسية « هل تذهب الى باريس يا أدهم؟» ·· من أين ·· الى أين ؟·· بحيرة البجع الموجودة وسط حدائق الشلالات ·· تنادى « تشياكوفسكى » الى الخيال ·· هناك ترقص بجعة قابلت شيطانا ·· صعد بها الشيطان على الانغام

·· جاء الامير الصغير الحالم الى البجعة ·· احتضنها ·· لكن احتضان امير الحب للبجعة يقف أمام حديقة الشلالات ·· يجد ملاك الموت البرونزى ·· ملاك قديم من البرونز يرفع قبرا على يد واحدة ··· ويمسك بيده الاخرى جناحه ·· تمثال معلق فى الهواء ·· من هذا الذى رفع جناح الملاك ؟ انسان ·· ماذا يحمل الملاك فى يده ؟ ··· جثة انسان ·· رهبة النحت تقف أمام عيون سيف وأدهم · ليس نحتا عظيما····هذا صوت ليليان·· انه تقليد·· تقليد لمن؟··تقليد جاء من القديم ليرفع صندوق رجل ميت ·· لكن وجه الملاك ينطق بالرحمة ·· الرجل الغنى صاحب الصندوق ·· الرجل الموجود في الصندوق ·· اشترى بعد الموت الرحمة ·· قبل أن يموت صمم لنفسه القبر ·· دفع ثمن الملاك البرونزى ·· أوصى أن يدفن فى أعلى يد الملاك · كل شيء مدفوع الاجر فى هذا العالم ·· كل شيء له ثمن · حتى الرحمة بعد الموت يشتريها رجل·· الشوارع لم تعد صديقة ·· الشوارع تطارد سيف وأدهم بالثمن ·· يقف سيف أمام كشك صغير ·· الكشك يبدو مائلا على أرض رخوة · الارض الرخوة تحتل المسافة بين حدائق الشلالات وكوم الدكة · يسكن الكشك رجل انجليزى · وجه الرجل غريب يتدلى من فمه «البايب» · يضع أمامه لوحات الرسم· تبدو يداه وأصابعه كأنها تملك القدرة على أشياء · يرسم على الورق بسرعة · يندهش أدهم · يقف سيف وراء الدهشة· اسم الرجل « رايت » معنى الكلمة « الصواب » ·· هل هذا هو « صواب » الشوارع ، تبدو الفكرة سخيفة ·· تندفع أحيانا سخافات الافكار على سطح العقل · لا يهم · الرجل يرسم ·· يلصق رسمه على باب الكشك · تقف أمامه عربة·· العربة فيها احدى السيدات·· خادم خلف السيدة · الخادم يحمل صورة كبيرة ·· يدور الحوار · صوت السيدة يتكلم من أعلى · تملك كبرياء العربة · يتدلى الثراء من عنقها عقدا من الماس · يتدلى الثراء من أذنها قرطا من الماس · تحتل أيديها أساور الذهب · الأساور فى ذراع السيدة ثعابين ··

تعابين كثيرة تلتف بلا مناسبة حول يد السيدة ٠٠ هذه السيدة تنطق كلمات بالانجليزية الى الرجل صاحب الكشك ٠ الرجل يرد عليها بالعربية ٠ ما الذى حدث فى هذا الكون المقلوب ٠٠ انجليزى ٠٠ اللغة العربية على لسانه ٠٠ احتقارا ٠٠٠ امرأة مصرية على لسانها اللغة الانجليزية ترفعا ٠٠ من الذي أعطى الحق فى الاحتقار والحق فى الترفع ؟ ٠٠ آه ٠٠ هذه السيدة تريد من الرجل أن ينقل لها صورة ٠٠ اسمه رايت ٠٠ ترجمة اسمه الصواب ٠ هـــذا هو « صواب اللحظة الباهتة » ٠٠ اللحظة التى تعيشها هذه السيدة ٠٠ الرجــل الانجليزى يفسد ذوق الحياة ٠٠ ينقـــل هذه اللوحات ٠٠ أدهم يتكلم :

ـ لو طلبوا منى ذلك عندما أكون فنانا كبيرا فلن أفعل ٠٠

سيف يرد :

ـ لو طلبوا ذلك بآلاف الجنيهات ٠٠ لا يمكن ٠

افساد الذوق هى مهمة الصواب الانجليزى ٠٠ ليست المسألة حماسا وطنيا ٠٠ المسألة هى أن الذوق المصرى تتراكم عليه التقاليع المتأخرة فى أوربا ٠٠ يتدلى بها صعودا الى أعلى ٠ وليس هناك صعود ٠ الهبوط عن طريق النظر الى أعلى ٠٠ قالها سيف وهو يضحك ٠٠ كان الأعلى هو علم الانجليز ٠٠ الصواب الانجليزى يسكن كشكا على أرض رخوة ٠ قـــد تسقط هذه الارض فجأة من اذن يرسم للشراء لوحات منقولة ؟ أى أحد ٠٠ أى شىء ٠٠ كل ما هو فى الهواء ملعون ٠ لأن كل ما فى الهواء فاسد ٠

أقدام سيف وأدهم تبتهج بالانهاك ٠٠ والانهاك هو قبـــلات للأقدام لكل شارع ٠٠ والشوارع فى المدينة السنجابية يصول فيها صوت الفلاح الصارخ ٠٠ « يارب اذا كنت أشركت الانجليز فى ملكك وجبروتك فلماذا لم تقل ؟ كون الارض يملكها الانجليز وانت ساكت يارب ٠٠ » الرب ساكن لايتحرك ٠٠ الشتاء يمطر على المدينة ٠٠ يناير

يستعد للهجوم ·· حرب غير مرئية تدور ·· والفلاح ما زال يسأل والرب ما زال ساكنا ·· ولا شيء يتحرك ·· والشروط التي يفرضها سؤال الفلاح صعبة ·· تطلب موتا ·· والاحياء يتأرجحون على لعبة التنفس كل لحظة ·· يتمسكون بأنفاسهم فقط · كان الاكسوجين هو الحياة ·· هذا ليس صحيحا ·· قد يكون الأوكسوجين صالحا لحياة الحيوانات ·· هكذا يؤكد سؤال الرجل ·· الحياة شيء آخر ·· ليليان ·· ترصد نفسها لأسلوب واحد من الفهم ·· أن يقف سيف وأدهم أمام الورق والفحم ·· أو الورق والالوان ·· المستقبل في كل الشوارع سلعة غير رائجة ·· أعطني الحاضر وخذ عمرى ·· اعطنى قبلة وخذى عمرى ·· اعطنى ضحكة وخذ عمرى · العمر عزيز ورخيص كراهية العمر كراهية المستقبل · سيدة تضحك في البار · السيدة تقول « اللهم اجعله خيرا » ·· ما هو الخير ؟ شارع البير هو الخير · الانتحار الصامت في وجه كل جديد · رجل يصرخ ·· الخمر بدعة ·· وكل بدعة ضلالة ·· وكل ضلالة في النار ·· الخمر أكلت عقل الجميع ·· والارهاق تسلق كجيوش النحل تلسع بألسنتها كل لحظة تفكير · مات التفكير وأصبح التدبير أمرا متروكا للصراخ والصراخ مظاهرات ·· المال هو اللعبة التي جاءت من أوربا لتغزو عقل البعض ·· سيف يغرق مع الصمت والصمت يلد الكلمات والشوارع لا تنتهي تحت الأقدام واعلان عن عزيز عيد · مسرحية القرية الحمراء مرة أخرى في شارع البير ·· عزيز عيد نفسه من جديد ·· شيء غير مصدق ·· انه يعرض نفس المسرحية في اخراج جديد ·· انه موجود دائما هناك ·· القاهرة · المدينة البعيدة ·· اليوناني الأعوج المنسابة على فمه الحقيقة · اليوناني يقف على باب المسرح ·· عزيز عيد هنا ·· « الخريف أكل الشتاء والشتاء أكل الصيف ولم يبق الا الربيع » ·· ماذا يقصد اليوناني بهذه الكلمات ؟ وهو واقف أمام المسرح ·· يشاهد القرية الحمراء ·· سيف وأدهم يشاهدان الرواية للمرة

الثانية .. الستارة ترفع .. السكارى يملئون المسرح .. يقف المكتشف المفلس العظيم الضئيل يحكى عن العمدة والخفير وابنة الخفير جميلة . الابنة تغمر أنوثتها فى الثوب الأسود.. بياض الابنة ما زال يلمع من فوق السواد .. نفس اللمعان القديم .. عيونها أقمار سمراء تطل .. العمدة ينظر الى الابنة .. العمدة رجل ما زال مصابا بالورم من فرط الرغبة .. عيونه ما زالت تتحسس الجسد الابيض المغمور بالسواد . والجسد الابيض لا يزال يعلن لونا غريبا من التمرد . تمرد يبحث عن صعود الى الاعلى . والأعلى هو العمدة . لكنه أعلى من نوع غريب .. «أعلى» عجوز ومتورم .. ويتملى بصديد الرغبة .. والرغبة أبدا شابة .. الرغبة تندفع نحو شروط أخرى غير الشروط الموجودة فيها ابنة الخفير .. تلك الشروط التى تلتف بالسواد .. والنضج الممتلىء بأنوثة جائعة بالفعل .. جائعة الى نوع الاشياء التى يملكها العمدة .. يندفع الربيع فى صدر ابنة الخفير الى الخريف العمدة .. الربيع يريد أن يهرب الى شروط الارتياح .. يندفع الخريف العجوز ناحية الابنة .. تنضج فى بطن ابنة الخفير ثمار الخطيئة .. تصبح الابنة مسخا غريبا جميلا هزيلا له بطن منتفخة بزهرة الخطيئة .. الخفير يملك السلاح .. لكن ضد من هذا السلاح ؟ العين لا تعلو على الحاجب.. السلاح ينظر فى ذلك العام الى أسفل .. وأسفل عين الخفير ابنته .. تلقى الابنة الموت .. تقطع زهور الخطيئة .. تفوح الخطيئة فى عقل الخفير .. يضحك العمدة .. يدور الخفير لاهثا وراء الجنون .. بقعة الشمس التى تضنى عقله وتحرقه ولا يبقى له الا الصراخ . ولم يكن هناك سوى أن يكره الخفير المستقبل ويلقى بالسلاح الماضى .. ويختنق بطعنات الحاضر . يدور .. يدور .. تعلقه القرية من لون دم ابنته الأحمر .. ولم تكن هناك رغبة من الشارع فى تلك المسرحية .. كان المسرح خواء . وعزيز عيد يرى الخريف قادما الى مفاصل انجلترا .. لكنه خريف لا يمنع من أن شارع البير يكره مثل هذا الرجل .. عزيز عيد ..

لأن عزيز عيد سؤال يحتاج الى اجابة ·· وكافة الاجابات مسخ ·· عزيز عيد السؤال الذى يمتص اجاباته من نفسه ·· عيونه تقفز فوق المستقبل لترى ·· والرؤية عذاب ·· والحاج منصور شحاته ·· الفلاح مازال يصرخ ·· كل شيء متوقف فى شارع البير ·· العالم يدور حول نفسه ·· الأعوام تقف أيامها متراصة كأنها حلقة ذكر سكرانة تذكر الشيطان بدلا من الله ·· تتراقص فوقها الشياطين·· فتسكر أكثر ·

– سنخاصم هذا الشارع شهرا ··

قالها أدهم لسيف ··

وكانت الموافقة ·· لكن الى أين ؟ ··

الى شارع جديد ·· شارع شريف · هناك تسكن ليليان ·· فى البيت الجديد ·· دكان صغير ·· صاحبه زنايبرى ·· فنان غريب هذا الرجل ·· يرسم فى محل يعرض كل أسبوع لوحة ·· تعبث الأيدى فى الجيب ·· يجب أن يتعلم سيف وأدهم الرسم على يد أحد ·· ألوان الزيت ليست احساسا فقط ·· انها دراسة ·· هناك أسرار فى الكف الخشبية التى بلا أصابع الكف الملقاة عليها الألوان ·· المسألة هى أن تشد القماش بالتيل على الخشب ·· ثم يرفع القماش على الحامل ·· ثم نسيج الألوان ·· وراء تلك الأشياء تاريخ · هذا التاريخ تشربه أصابع الفنان ·· من هنا تتحول الأصابع الى جهاز هضمى ·· العيون تلتهم ماترى ·· والأصابع تتوه فى هذا القماش ·· تريد ضوءا آخر غير الضوء المخلوق ·· ترتفع عيون لفنان الى السماء ·· ترتفع عيون سيف وأدهم الى لوحات زنايبرى ·· هذا الرجل الذى يملك سر الكف الخشبية ·· اللوحة التى عرضها الرجل تبدو الألوان فيها حكاية ·· الأسود لون واضح غامض وفيه أكثر من لون واحد ·· رمادى امتزج بالأزرق ·· جاء ليه الأبيض ·· تسرب من كل ذلك لون أزرق آخر ·· كان اللون

الأسود هو السيد الواضح .. بحر .. وسماء وعاصفة .. الأحمر الذى يرقد فى الشفق .. يقف بعيدا .. يكاد يختفى .. كيف يمسك الرجل بالفرشاة فى أصابعه .. تبدو الألوان متشابكة .. كأنها منبع ضفائر الاحساس .. الشمس الموجودة فى القلب .. تضطرم فى صدر سيف آهة.. الآهة تحكى رذاذ المكتب.. فى مصلحة الموانى والمنائر ترتد الآهة صمتا مكتوما فى عيون أدهم .. صمت مخازن وزارة المعارف . تتراص فى الصباح مقاعد التلاميذ فى الشارع . يحسب أدهم الصادر والوارد . يعد سيف أوراق الاستيفاء . استمارات التراخيص . لا شىء . عالم من النفى الغريب فى صناديق غريبة . صناديق من الأحجار هى هذه المبانى . هناك من يقف بعيداً عن مكان العمل ويحبس الاثنين .. الألوان هو ما خلق له الاثنان . هو القرار الصادر من القلب الى العقل . خرجت ضفائر الاحساس من الشمس .. التفت الضفائر حول عقل الاثنين .. لا بد من معرفة السر وراء كمية الشعر المعلقة فى قطعة طويلة من الخشب . اسمها فرشاة .. زنايبرى هو أستاذ محمود سعيد .

ـ أهلا ..

ـ أهلا ..

ـ الدرس بكم ؟

ـ بخمسين قرشا فى الحصة .

خمسون قرشا رقم مذهل . من يتعلم الفن اذن عند زنايبرى يجب أن يجلس فوق مطبعة نقود . النقود ليست سهلة . انها أجر للسجن الصباحى حتى الظهر كل يوم .. يكتفى سيف وأدهم بالوقوف أمام الواجهة الزجاجية لهذا الدكان .. الوقوف يعطى الاثنين فهما ما بما يدور .. الذى يدور هو الحادث فى كل مصر ..

رواية عزيز عيد ملقاة الآن في ورقة صحف ٠٠ اعلان عن « كشكش بك » ٠٠ نجيب الريحاني أخذ القرية الحمراء وجعل من العمدة شخصية ضاحكة ٠٠ مسخ المسألة ٠٠ جعلها تضحك الجميع ٠٠ حولها من مأساة ٠٠ الى شيء مضحك ٠٠ لا أحد يستطيع أن يقول ان نجيب الريحاني صاحب مسرح ٠٠ انه المسافة بين الكباريه والشيء الآخر ٠٠ الشيء البعيد ٠٠ انه السقوط في قهقهة عالية الصوت بدعوى السخرية ٠٠ زنايبرى هو نجيب ريحاني من نوع آخر ٠٠ انه يمسخ المسألة ٠٠ لوحات فخمة ٠٠ محاطة باطارات ضخمة ٠٠ والرجل يحاول خلال ذلك أن يسقط في نفس المسافة ٠٠ انه ماهر ٠٠ يجيد صنعة الرسم ٠٠ لكن التصوير نفسه ٠٠ التصوير الذى تحكى عنه ليليان شيء آخر ٠٠ شيء غير موجود في هذه الواجهة ٠٠ انه أوربا التي تعلم المصريين رذاذ الفن ٠٠ كيف تعلم منه محمود سعيد ؟ ٠٠ سؤال يجب أن يجيب عليه محمود سعيد شخصيا ٠٠ ومحمود سعيد ليس هنا ٠٠ انه هناك ٠٠ اسكندرانى ٠٠ لكنه بعيد ٠٠ ركب البحر الى أوربا ٠

ـ ليليان ٠٠ لا توجد نقود للفن ٠٠ يجب أن تتعلم ٠

ـ التلقائية تستطيع أن تعطى بشجاعة ٠٠ والتجربة تحيط باسرار القديم ٠٠ امسك الفرشاة والألوان وابدأ ٠٠ ستتعلم كل الأسرار ٠

هذه المرأة تملك ما هو ضد كلمة المسيح ٠٠ « أبانا الذى في السماوات والأرض ٠٠ ارزقنا خبزنا كفافنا ٠٠ ولا تدخلنا في تجربة وقنا من الشرير » ٠ « ليليان » لا تطلب من الرزق الكفاف ٠٠ انها تريد من الرزق الاحتضان الوفير ٠٠ احتضانا يمنحها الطعام والسماء والجدار والراحة . تتناغم بالحزن والفرح والعطاء ٠٠ « ليليان » تدفع سيف وأدهم الى التجربة ٠٠ وتجربة الألوان تستطيع أن تكشف عن نفسها بالمحاولة ٠٠ الألوان رخيصة ٠٠

والقماش رخيص.. ويستطيع أن يشترى سيف وادهم المسامير..
يشد الانسان بها التيل على الخشب .. ونجد أمامنا الفراغ ..
الرحابة .. وعلى رصيف شارع شريف يمكن أن نرى لوحات زنايبرى
.. والفحم مازال أسهل بالنسبة للاثنين .. الفحم ينساب على
الورق .. يعدل التفاصيل .. يريد أن يحقق ما فى الأعماق من
رؤية . ادهم خطوطه تنبع من رؤية مايرسم . يقفز بعيونه فى
بطن الأشياء .. عيون سيف مشرط حان حاد .. يبقر بالحنان
غشاء الحياة . يفقد الحياة بكارتها ويحتفظ ببكارته .. ها هى أول
امرأة عارية .. الجسد المصرى الناعم . لمهدل . المتماسك ..
الجسد هو ملحمة ناعسة .. التى تنتصب بالجمال .. ليطل من
ثديها النداء لأيوب . لو رضع أيوب من ثدى ناعسة الحنان لذهب
عنه البلاء . ناعسة المصرية تعرف أن أيوب على أبواب الشفاء ..
الفحم مازال فى الأصابع . «ليليان» مازالت تمتلىء بغضب غريب .

ـ قلت لك يجب أن تستعمل الألوان .

لكن الألوان خوف صامت فى الأعماق .. لون أخضر يعانق
دائرة حمراء .. ويقف فى البعد مثلث رمادى .. كيف يمكن أن
تتوازن هذه الأشكال كلها على القماش بالألوان ؟ هذا شىء صعب .
التوقيع هو سيف وليس اسما أجنبيا .. الاسم هو أدهم وليس
اسما أجنبيا .. الذين يشترون الفن يسألون عن التوقيع ..
والتوقيع بالحروف الانجليزية . ولا بد أن تعلق ابتسامة فخر
ومناقشة تائهة خائفة عن صاحب التوقيع .. لابد أن تكون وراء
الحروف حكاية . الفن ليس ترفا . انه ادعاء يزين جدران البيوت
المصرية .. والبيوت العادية لا تعرف الفرق بين الرسم وبين صورة
عظيمة لاحد الجدود أو الأقارب له شارب وواقف وسط طلبة المدرسة
الابتدائية .. ويمسك بعصا رأسها من سن الفيل .. ويتمخطر
فى حفل الحصول على الشهادة الابتدائية .. العيون المصرية تحصر

نفسها فى الداخل ·· لا تستطيع أن ترفع ستار القهر ·· لترى اللون الأخضر الذى يعانق دائرة حمراء ·· حيث يقف على البعد شلث رمادى ·

كيف يمسك الانسان الفرشاة ويلقى باللون على القماش ·· التيل المشدود على الخشب · اللون الموجود الآن هو مساحة اللون الغريب ·· ليس الأبيض ·· وليس الا لونا باهتا ·· غاربا ·· قماش عريان يطلب أن يتدفأ ·· يطلب أن يسيل عليه شىء آخر حتى يبدأ فى القدرة على أن يمتص الألوان · تأتى كلمة «الفرسك» الى الأذن ·· يقولها أدهم ·· قرأ عنها فى تاريخ حياة « مايكل أنجلو » ·· هذا الرجل الغريب القديم الذى يقف حتى الآن فى سماء ايطاليا يعلن عن نفسه بالنحت وبالألوان ·· أدهم يتعجب قليلا ويصمت كثيرا ·· ويقول أن هذا الرجل القديم كان يرسم على الحوائط والجدران بعد أن يقوم بطلاء الجدار بالجير المبلل · والبعض من بعد «مايكل الجلو» كانوا يضعون صفار البيض .. «الفرسك» يصلح للرسم على الحوائط ·· لكن ما الذى يصلح لتغطية اللون الأبيض ·· لون التيل · أخيرا تضحك ليليان ·· زيت بذر الكتان ·· سوق العطارة فى المنشية ·· « زنقة الستات » ·· ياعم ياعطار أقة زيت كتان من فضلك ·· « العطار يشير الى تاجر البوية » ·· تاجر الطلاء فى العطارين ·· العطارين حى يزدحم باليونانيين ·· اليونانى سكران بالحقيقة ·· مجنون بالواقع ·· يسكن فى العطارين ·· البداية هو شارع ·· والشارع تولد منه حارات ·· تطل من النوافذ بيوت يونانية ·· واليونانى هنا يبيع أشياء غريبة ·· الأجساد ·· الأنفاس ·· الخمور ·· الكتب ·· الأشياء القديمة ·· التاجر اليونانى يعطى زيت بذر الكتان ·· فرشة طلاء القماش عريضة ··هذا الفن فيه شىء غريب ·· فيه عالم لايراه أحد سوى الفنان ·· بعد الليلة تبدأ اللوحة ·· الرجل العجوز ·· صاحب

القارب المطل على ترعة المحمودية ·· هناك أكثر من رسم بالفحم ·· ليليان أيضا ·· هناك أكثر من رسم لها بالفحم ·· الآن على الفحم أن يرسم بعد أن يجف زيت بذر الكتان اللوحة ·· لم يكن هناك شيء مجهز ·· اجتماع صامت بين القماش والزيت والعنف في الأعماق وحاجة غريبة تقوم وتندفع في الأصابع والعيون لا تستطيع أن تنقل الى الأصابع ما يمكن أن يكون في الأعماق ·· الرجل العجوز ·· هذا الشراع الغريب الواقف على فرع من النيل ·· «اذن لنبدأ يا سيف» ·· والبداية ليست من الخوف ·· لكن الخوف موجود · الدروس وحدها لن نملك ثمنها · الرجل الذى امتلك ثمن الملاك البرونزى ·· استطاع أن يرفع قبره على جناح الملاك فى مواجهة حديقة الشلالات ··وعندما مات استطاع أن يلفت العيون الى خلوده ·· الخلود مطبعة أوراق مالية ·· الخلود بالألوان يحتاج الى تجربة ·· والمسيح يخاف التجربة لأنه أحد الفقراء ·· والرجل العجوز الواقف على ترعة المحمودية هو أول من باع الألوان الى سيف وأدهم ·· هذه الألوان لم تكن سوى اللهو المبدئى ·· لم تكن هى العذاب الصامت ·· لم تكن فى الأعماق قضبان الرغبة المتحرقة شوقا الى قطار الحرية ليدوس عليها ·· ليحتضنها ·· ليوقف الألم وينقل منبع اللذة من الأعماق الى فراغ اللوحة ·· هذا العذاب فى الرسم بالألوان هو عناق جسد لجسد ·· الذى قال ان اللقاء بالمرأة هو الميلاد لم يكن يعرف أن هناك انجابا آخر ·· هناك لذة أخرى ·· هذا اللون البعيد فى الأعماق ·· وجه الرجل العجوز يبدو على اللوحة الزيتية ·· دخل أدهم التجربة ·· استطاع أن يرسم ليليان ·· وسيف مازال يخطو بعيونه خلال عناق الرموش ·· يحاول أن يلتقط أنهار التجاعيد فى وجه الرجل ·· هذا الوجه يشبه وجوه رمبرانت ·· رمبرانت الهولندى الذى استطاع أن يقيس الضوء على اللوحة ·· أضاء باللون الأبيض وبخفوت امتزاج

الألوان .. اســـتطاع أن يذيب اللون فى اللون .. من يرسـم يستطيع أن ينجب ألف طفل فى عناق واحد .. أدوات الحب هنا تبدو غريبة .. أنهار الهزيمة تروى سطح القماش .. اللون البنى هنا يصطك بضباب الدم القـاتم .. ما الذى يحكيه هذا الوجـه ؟ عم ابراهيم أو عم محمد ؟ .. أو الحاج منصور الفلاح الصارخ فى وجه السماء ؟ .. لماذا تقف يا سيف عند وجه رجل واحد ؟ .. أنت تهرب من كل الرجال فى وجه هذا الرجل .. انتهت التجربة الأولى دون أن تثق أن مارستمته يا سيف هو وجه رجل .. الأخضر طحالب تطفو فوق أمواج التجاعيد . الحياة هنا تلعن نفسها .. التجربة الاولى فى الرسم بالزيت على أسـاس الخبرة الخاصة .. وجه رجل .. ليليـان .. الحنان المشروخ بلون بنفسـجى .. الضحكة المبحوحة بالم صغير .. الألم الصغير لا يفترق عن الألم الكبير .. والفرشاة تغسل لون الفراغ من على التيـل .. وزيت الكتان يعطى الملمس العطشان للتيل .. والفرشة الصغيرة تبحث عن توازن كامل فى أنهار الهزيمة المرسومة .. الراحة المولودة فى أعماق سيف هى راحة الوقوف بالحلم على عتبة الواقع .. سـلم الواقع من زبد الموج .. والذى سار على الموج ولم يغرق هو عيسى المسيح .. الأسماك طفت ميتة تحت أقدامه تطلب منها الحياة .. أو تجمدت الميـاه .. وكان يكره التجربة لأنه فقير .. وخاض كل التجربة لأنه فقير .. والخبز هو الكفاف .. وأجر الرذاذ الأسود فى المكتب كل يوم يوحى بهذا الواقف بعيدا الذى يحبس الجميع .. آه لو بقر أحد بطن الليل بلوحة .. ضربة الفرشاة على القماش تحكى أولى التجارب .. والتجربة الجديدة سجن آخر .. سـجن ملون يمنع حرية .. واحضان ليليان تشهد دموعا واقفة فى حنجرة سيف .. الدموع واقفة لا تسيل ولا تتجمد .. تعطى الاختناق .. والاختناق يسأل .. هل ما رسمه سيف له علاقة بالفن ؟ .. ولم يكن أدهم يملك الاجابة .

الفصل السادس

ان لنومى قيمة رائعة .. والأروع من ذلك اننى مصنوع من الحجر .. وعندما يتولى الحكم .. العار الأسود أو يصيب الآخرين الأسى العميق .. عندما يحدث ذلك فان لى مكسبا واحدا هو اننى لا اسمع .. لا احس .. وارجوك لا تتمن لى الحياة .. حتى لا توقظنى .. تكلم امامى بصوت منخفض .

« تمثال الليل .. للفنان

مايكل انجلو »

المربع الفارغ من التيل . والتيل يرتوى من قطرات العطش والعطش هو زيت الكتان . ولذة الارتواء لا تأتى .. اللذة عالم سرى .. يبوح بألم خافت وعار عالى الصوت . اللذة عام ١٩٢٧ تبدو كالوقوف بين يد الله بملابس الخطيئة . لا أحد يستطيع أن يصلى وعلى ملابسه مياه الزنا . والزانى هو اليوم المولود من نتيجة حائط . لأن اليوم المولود ترك الشمس تولد دون أن تموت قضبان النفى . والنفى هو الوجود فى وظيفة حكومية . أصوات الموظفين لا تعرف الفرق بين الطعام وبين الفن . الطعام فوق كل شىء . والأرغفة لا تشبع .. لأن الجوع جوع الى ضوء آخر .. ضوء بعيد .. والخمر لا تروى .. والصلاة لا تطمئن ولا شىء يقنع الانسان بأن هناك أملا خاصا . الأمل مكسور الوجه .. مقلوب الملامح .. والحياة ادمان على اليقظة الهاربة فى الصباح .. وارتماء على مكتب مدة ساعات العمل .. وحصار فى قضبان الوارد والصادر .. والصباح هو الزانى بالجميع .. والشمس حبلى بالضوء اللقيط ، وكان الحلم على قماش التيل أن تأتى شمس عذراء لم تفقد بكارتها بعد .. لكن اللون الكاكى .. المعبأ باجساد أجنبية يمنع ميلاد البكارة .. العام ١٩٢٧ والكلمات فى أفواه الجميع بلا معنى .. ليس للكلمة معنى واحد .. انها مجرد اشكال من الصراخ .. أنواع من الخروج من بئر عفن الى هواء مسموم .. الكلمات واسعة على الأفواه .. والأفواه تلتقط من الحروف النوم من جديد فى أعماق البئر العفن .. الرجل يصرف على

الأسرة .. المرأة تجلس فى المنزل .. الأولاد لا يخرجون بعد المدرسة .. الصمت يعلو بلاط المنزل لو دخل الزوج . المرأة تنحنى للرجل . كل شىء يبدو آليا .. والاحتياج الحقيقى بعيد .. تبدو الحياة كورقة نقود مزورة .. لكن الجميع قبلوا التعامل بها ..

«ليليان» وحدها فى هذا العالم تلمع بغضب العطاء والصمت.. ليليان تمتد أحضانها تطلب أرواء .. تطلب من سيف أن يكون لها.. لكن سيف ليس لأحد .. انه يملك كرة حزن صغيرة تدور فى الأعماق. تلمع بالأسئلة . تجد أمام الأسئلة الصمت . كافة الاجابات صمت . وليس أمام سيف أن يكون زوجا .. ولا أن يكون هناك أطفال وزغاريد وأولاد يذهبون الى المدرسة . التيل مشدود على اللوحة .. والقماش يشرب زيت الكتان .. والفرشاة تجرى .. ليس فى الحلم هذا البيت المكسور الأجنحة التي تختنق فيه ازهار أحلامه البعيدة .. أن يولد على القماش ألوان .. « مثلث اخضر » ودائرة بنية .. ومساحة من الضوء الخاص .. النقاء المغسول الذى لا يعرفه أحد .. ويجرى وراءه سيف .. وتتراقص فى قلبه أحلام هذا اللقاء .. الاحساس طائر يرفض الجدران الشرعية .. لأن الشرعية ماتت فى قبول التعامل مع الحياة .. الورقة النقدية المزورة .. التي يقبل الجميع التعامل بها . وجه ليليان يتكرمش بأمل المرأة .. بهذا الانفتاح على رحم يتكون فيه طفل .. يخرج ليصرخ .. ليكتم أحد صراخه بحدوتة .. وحكاية تبدأ من فجر ينتحر فى نهار لالون له .. وغروب ذابل الاحمرار .. وليل مقتول السواد .. « الزواج .. لا .. » ليليان تكره انكماش الرحم .. التجاعيد تحيط العيون الزرقاء .. التجاعيد تعلو البشرة المجهدة .. أعطت .. تمنت أن تأخذ .. ان تعطى المرأة حنانها لقاء ألوان على لوحات .. هذا صعب .. حتى

ليليان .. هذه البشرة الناعمة .. المضغوطة .. اللاهفة بالرغبة الخافتة .. ليليان غاضبة .. الغضب ليس من حق ليليان وحدها .. انه من حق الألوان أيضا .. الالوان نفسها تبدو نساء تتناحر على رجولة طفلة .. الرجولة الطفلة هى الفرشاة التى تلتقط اللون لتضعه بجانب الآخر .. هناك ما يمنع يد سيف من الرسم .. من يقول فى صمت « لا » . المعارك تدور فى غضب غريب .. الامتناع عن الرسم حادث يجعل صمت سيف يغلى .. وغليان الصمت انفجار دموع .. والدموع وقعت من عيون سيف تحت أقدامه .. سيف يقف على أرض من دموعه الجافة .. ستهدأ « ليليان » لكن يجب أن يستمر الرسم .. لكن ليليان لا تهدأ .. الوجه الايطالى يخرج من المنزل .. الى المنزل القديم .. بداية تجدد عقد الانتحار . ليليان مرة أخرى فى المنزل القديم . وقت سعيد .. سيصطخب الضحك المزيف .. سيحتضن الجسد الحار رجل لقاء أجر الوهم الصعب .. الدماء تندفع الى الرأس.. العيون ترى . العيون لا ترى .. انها هناك .. فى جدران تصطخب بضحكات أخرى .. امرأة الليل تنحنى الآن . ترفع ذراعيها باحتضان خطيئة . الرجل الآخر . الغريب . الرقم . اللاشىء . لو أن اللاشىء انجبها طفلا .. التيل مشدود على قماش اللوحة.. التيل يشرب زيت الكتان . لا مأذون هناك بين زيت الكتان يسقى التيل العطشان .. ليليان فى المنزل القديم .. يحتضنها آخر . لو تأتى جدران لتخنق هذا الحادث . الجدران الوحيدة التى تتحرك هى ضلوع سيف .. كائنات مشروخة .. مدببة تنغرس فى اللحم الهوائى الموجود فى الصدر .. الجسد الانثوى المبحوح يلين لآخر .. من يدفع يأخذ .. الدفع من أوراق نقدية. الأوراق النقدية قليلة فى بداية الشهر . لا مكان هناك لبيت .. الأوراق الصغيرة لا تتسع لتتحمل وجود ليليان .. لا تتحمل ارواء

العطش فى القلب • الهواء يخز الجسد • القشعريرة • الرغبة فى التخدير .. الخمر لا تحبس ضفائر شمس الاحساس فى القلب . الموت لو جاء بدلا من اختناقات الحيرة .. لا شىء يجىء سوى الصمت ، والصمت عطش جديد • الخيال يتكور حول الحجرة البعيدة التى تنام فيها ليليان مع آخر . واللوحة المولودة على القماش تحكى الجسد المجروح بالرغبة المستمرة .. الرغبة تتقطع الآن بحد الورق النقدى . « ليليان » ابنة وقت سعيد . كان هذا قديما . لقاء سيف كان نوعا من الرغبة فى ميلاد عالم خاص . لكن الأجر هو الزواج .. الزواج أجر الحنان .. المعركة بين انسان وبين أوراق . الأوراق هى التى تضيف الى الانسان نفسه •• بالهدوء والصمت خلع سيف الساعة ووضعها تحت الحذاء .. شىء يتهشم . حديد ونحاس يصطك .. القدم تدوس العقارب .. والعقارب ليست هى الزمن .. قياس الزمن . الهروب الى الشوارع . والشوارع الفارغة تضيق . خطأ ما استولى على الكون . الخمر اجراء يجعل العيون لا تعرف مكان الخطأ الذى استولى على الليل والنهار ، ودفع « ليليان » الى هناك ، الى الجدران التى يستأجرها فيها رجل .. لكن الاجابة فى الخمر هى أن تتسع كرة الحزن • أن ينتفخ الحزن ليورق احمرارا فى الوجه .. وضيقا فى العيون ورغبة فى ان تأتى النهاية على الفور . لكن النهاية لا تأتى .. الشوارع تتحدث عن سقوط حكومة وميلاد حكومة أخرى .. الشوارع والأجساد والعالم انفصل عن سيف .. سكين من الأسئلة التى لا تجد اجابة •• هذه السكين استأصلت « سيف » وألقته فى الصمت • الاستقلال ليس سوى أن توجد « ليليان » فى مكان آخر غير هذه الجدران التى ذهبت اليها ليستاجرها رجل آخر .. نعم .. لا شىء .. الدستور هو أن تأتى أوراق نقدية تكفى أن تعيش ليليان بعيدا عن عرق الخطيئة . الخطيئة هى أن تكون لك امرأة

تعطيك .. ثم لا تعرف كيف تعطيها .. فتذهب الى النقـــاط عطاءات سريعة .. لا أمن هناك . الأمان فكرة ماتت فى «برميل» الخمر . « وبرميل » الخمر يجلس على كرسى رئيس الوزراء . والكل سكران بلعبة غريبة ·· واللعبة الغريبة استسلام للتخدير · والاستسلام للتخدير يسترد أنفاسه من مظاهرات · تتفتت الأنفاس من اللعنة · وكل شىء مخنوق برذاذ أسود · والتراب يعلو الصادر والوارد . والزمن لا يتوقف رغم أن سيف داس الســـاعة . والحياة لا تريد أن تكون بلا ساعات . لاليل فيها ولا نهـــار . الحياة ترفض أن يكون لونها أخضر وأصفر .. والشمس لا تريد أن تكون زرقاء . والقمر يتدلل على اللون البنفسجى الواقف على حافته . وليس هناك سوى التيل الذى يشرب زيت الكتان والفرشاة التى تنقـل اللون الى اللوحة ·· واللوحة القادمة لجذع امرأة · ليحرس الفن امرأة سيف التى تذهب بعيدا ·· لتكون المرأة هى هذا الجذع الذى ينتمى للكبرياء ويرفض أن ترتفع السـاقان لتشرب أطفالا ميتة يبصقها رجـل مرهق ·· لتكن المرأة هى لحظة الصحو لا لحظة الغيبوبة . الفرشاة تجرى على اللوحة . المرأة التى يرسمها سيف كانت غريبة .. تبدو البطن شمسا .. والحلمة قمرا أســـود مضغوطا يحلم بشفاه طفل ناضج · الألوان تستعيد بهجتها من الحزن . واللون الأسود هو اطار اللوحة .. «الاسفلت» أسود .. لكن « الأسفلت » احيانا يكون ممتلئا بحنان .. ويخرج سيف الى الشارع .. رسم ما رآه .. ما تمناه . مات ما رآه عنـدما تمناه · أدهم ينـدفع ناحية سيف · أدهم يعرف حـزن سيف .. لكن ماذا تفعل لانسان معلق بخيوط الاحلام الذهبية.. وشيطان الأيام يمسك بمقص سحرى يقطع خيطا .. فينمـــو الخيط من جديد يرغب فى أن يلتئم ببدايته .. وبداية خيـوط الكمال هى الله .. والله بعيد .. الله هناك حيث لا أرض ولا سماء .. أدهم يبحث مع سيف عن طريق واضح .. طريق يموت منه

الحزن . لكن كل الطرق من « الاسفلت » .. حتى المزارع اختفت من امام المنزل .. ذاب لون سنابل القمح الأصفر الناضج .. ضاع الشجر الاخضر وكل شيء مزدوج وغير محدد . والموت بعيد .. وأصابع الفحم تعود الى الاصابع .. اصابع الفحم هي الاسود في مواجهة الابيض ... الانسان يستطيع أن يقطع بتحديد واضح ما يريد أن يرى . فقط تتعانق الرموش لترى الحركة . ومن الحركة التى تنبع من الخيال .. تمتـــــد روح الله الى الاصابع .. ويأتى الى اللون الأبيض عالم آخر .. عالم جديد .. عالم لا يحتاج فيه الانسان الى البكارة لانه لم يحضن بعـــد .. الأيدى تتحرك على الورق الأبيض بالفحم .. وفجأة يهبط الهرب من الورق والفحم . انه عالم ليس فيه جديد يستطيع الانسان ان يعلنه والجديد الذى يحمله الفحم هو القدرة السريعة على أن يسجل الفنان ذكريات وكأس الألم تفيض بأمطار تطلب عاصــفة ثلجية .. اين يهبط من القلب هذا الثلج المتكور دموعا أو فرحا .. أو قلقا .. لكن التيل السكران بالكتان ما زال عطشان بالحيرة والحيرة تحتل الاصابع .. وكمية الشعر المعلقة فى طرف الفرشاة لا تنقل كل الخيال الى التيل السكران . ويقــول أدهم لسيف «يجب أن تتعلم أصول الرسم بالزيت» .. يبدو سيف صامتا .. كانت « ليليان » تقول ما هو ضد كلمات المسيح .. « ادخلنا فى تجربة .. واعطنا اكثر من خبزنا .. حناننا .. واجعل الشرير رفيق حياتنا لو كان الشرير يحمل خبرة قادمة .. ليليان الآن هي احتضان الخبر الذى ذهب ليؤدب سيف . لكن سيف ليس هو كل الآخرين . نســيت ليليان ذلك .. ظلت تنحنى عليه كأمل .. ينمو الأمل فى القلب الايطالى . يزدهر الأمل . تورق فيه الثمار . الثمار المولودة على فروع شجرة الأمل تصطدم بالخـــريف . والخريف هو يوم واحد فى أى شهر . سيف موظف فى مصلحة الموانى . نقوده لا تكفى . الأجر لا يتحمل أشجار الأمل التى تظلل

بيتا . خرجت أشجار الأمل من قلب ليليان الى الماضى القديم .. ابنة ليل .. تنتحر فيها بقعة الرجاء الصغيرة . لكن بقعة الرجاء تتوهج فى قلب أدهم . ينتقل منها شعاع الى قلب سـيف . لو انتشر الضوء .. الضوء البعيد .. مكان الضوء اللقيط ؟ .. « لو » ليست سوى تهشيم لرغبة يمكن أن تتحقق .. قالوا انها صديقة الشيطان . مهما كان الشيطان رديئا .. فانه يورث التوهج والحكمة معا .. يندفع نحو موت الخوف ليعلن شجاعة أخـرى .

سيف يسير مع أدهم . شـارع شريف . واجهة زنايبرى . الرجل الذى يعلق لوحة جديدة كل أسبوع .. ركام الاضطراب فى قلب سيف .. يتلفت حول الصوت الذى ينادى .. انه صوت محمود سعيد . هذا الفنان الأنيق الذى يتعبد بروحانية غريبة فى لذة الشارع المصرى .. يطل من اعلى الامتلاك الى أسـفل الفقر .. ليرسم بنت البلد .. محمود سعيد شرب هـواء الاسكندرية واختلط بتراب ترعة المحمودية .. وحاول أن ينقى الهـواء .

ـ أنت قلق . وانت غاضب ..

ـ تريد أن تتعلم الرسم بالزيت عند هذا الرجل .

وتنبسط « لا » بلهجة لها قرار الرفض فى صوت محمود سعيد .. يلقى محمود سعيد الخوف فى قلب سيف وأدهم . هذا الرجل صانع فن يطبـع أسلوبه فى أعماق من يتعلم منه حتى يفقد التلميذ شخصيته .. انه يملك الكمال الميت . الدراسـة التى أصـبحت حرفة تلوى رقبة الألوان وتذبح قمـاش التيل وتبيع المهـارة فى سوق الشـطارة ولا يبقى من الفن احساس آخر غير احساس انك أمام هذا الرجل مرفوض .. لانك لست مثله ..

يحبس التلاميذ فى زخرف اللون فيضع التلميــــذ فى سجن من أسلوب الأستاذ . والأستاذ زنايبرى لا احساس له الا حــدود رؤيته . يسرق حرية الاختيار . يبعثر الموهبة الخاصة لزهرة أعماق الفنان الشاب . يقطع أوراقها ليعيـــد تشكيلها بأسلوبه الخاص . « زنايبرى » يمنع العيـــون من أن ترى .. يريد أن يستبدل الانسان بعيونه عيونا أخرى .. محمود ســـعيد عاش ارهاقا حتى يتخلص من حـــدود رؤية زنايبرى .. محمــود سعيد عندما يتكلم يلتقط من الصدق التواضع .. ومن الكبرياء النقاء .. ويلقى فى قلب سيف وادهم الخوف من التعلم على يد زنايبرى.. ويتجهم الاستنكار والرغبة فى آن واحد .. أدهم يريد أن يعرف لماذا يصر هذا الرجل على أن يملك ألف عين عمياء . يوزعها على تلميـــذ له اثنتان .. عيون زنايبرى رغم أنها مفتوحة الا أنها عمياء الاحساس .. تولد فى أعماقه رغبة فى تدمير الجديد .. وتعاليمه دستور موت خاص لكل من يتعلم معه .. ثلاجة للذوق الخاص بأخذ الحاضر ليلقيه من الماضى .. والماضى هو الكمـــال الميت .. وجميع من يملكون القدرة على شراء لوحات يحبون هذا الكمال الميت .. الخلاص المعتقل داخل اطار متخفى وعليــــــه توقيع أجنبى .. « زنايبرى » أصبح رعبا فى قلب سيف وادهم .. انه بارع فى المهارة .. ويبيعها فى سوق الشطارة .. والمشترون هم أصحاب النقود وأصحاب النقود من « البكوات والبشاوات » .. يحلمون هذا الحلم الأبله .. يتنفسون هواء القرن الثامن عشر .. ويقـــولون انه ذوق القـــرن العشرين .. زنايبرى يصـــور أحد الوزراء .. الرجل يقف أمام زنايبرى .. أصبح زنايبرى أحد مصورى الشخصيات .. والشخصيات فى عام ١٩٢٧ مسخ تملك نقودا .. تتبعثر فى التقليد .. والمسخ تلك الشك فى التاريخ .. يلح المسخ المصرى على سؤال رو[illegible] [illegible]ذكرنا التاريخ »؟..

ويحاول كل « بك » أن يؤلف لنفسه ماضيا من خدمة الآخرين..
يتوازن خلال الكذب الخاص ويبيع كذبا عاما .. ويقف أمام
مصور رسام حتى يذكر لنفسه أنه خالد .. ويقف كل « بك »
او « باشا » امام زنايبرى .. ويختار الوضع الذى يتمنى أن يبقى
عليه .. أن يخدر القادمين به .. وزنايبرى يشعر باللذة لأنه
يقترب من أعلى المجتمع .. وأعلى المجتمع لا يهم سيف أو أدهم..
لقد خرج الاثنان من هامش ما يحدث من الأعلى والأسفل
والوسط .. اختار كلاهما أن يطير الى عالم خاص يهتم بأن يكون
هناك أعلى ووسط وأسفل ·· هناك فقط انسان ·· وزنايبرى
ينظر الى الاثنين كسذج ·· لكنه نوع السذاجة الذى يتمناه
زنايبرى ·· انه لا يستطيع أن يرجع الى الوراء ليعود ساذجا ··
أصبح الآن مكبلا بخيوط الارتباط بهذا الأعلى .. وأعلى المجتمع
أشخاص غريبة .. الرجل يقف أمام زنايبرى ليختار الوضع
الذى يريد أن يظهر فيه للآخرين .. الرجل من هؤلاء يشعر بانه
لمجرد أن تكون له صورة بالألوان .. سيضمن الخلود . قال
أدهم « لماذا لا يقف هؤلاء الرجال أمام « الكاميرا » ليأخذوا ما شاءوا
من الصور ؟ » كان السؤال ساذجا .. ان الرجال لا تريد أن
تؤله نفسها فى لحظة .. « الكاميرا » لا تجعلهم يصدقون الخلود.
الكاميرا لحظة ·· والموت لحظة ·· والتاريخ لحظات ·· الألوان
تساوى كل اللحظات .. يقف الكبار الذين فى الأعلى أمام زنايبرى.
يمنحهم العذاب اللذيذ .. يتخيلون أن هذه الصور ستسافر فور
انتهائها الى « اللوفر » لتقف بجانب صور نابليون فى «اللوفر» ..

انهم يريدون أن يكونوا نابوليونات لكن نابليون راح وانتهى ·· وتم
تعليقه على الجدران .. فعل الصدق والكذب والسرقة والتدليس
والبناء والهدم .. كل ذلك باخلاص .. كان ما يفعله يتساوى مع
أيام الزمن التى عاش فيها .. لكن الأعلى .. الرجال .. الكبار .
قمة المجتمع ·· لا تتساوى أفعالهم مع أيام الزمن التى

يمشون فيهـــا ٠٠ متسولون فى ملابس أنيقة ٠٠ تآكل صورهم
الفطريات ٠٠ عنكبوت لوقت سيغزل نفسه فوق هذه اللوحات ٠٠
ن العنكبوت هو زنايبرى .. انه يلوى رقبة الزمن الى الخلف.
الكل يصدق كذب الآخر بأن هنـاك زحاما سيشير الى بطولة ما ٠
لكن لا بطولة هناك .. عنكبوت الوقت سيآكل هذا الحلم أيضا ..
اذن زنايبرى لا يستطيع أن يعلم فنا .. وليس هناك الا أن يقف
سـيف وأدهم أمام التيـل العطشان الى زيت الكتان ٠٠ فيزداد
عطش التيـل الى الألوان ٠٠ وتصبح التلقـائية هى الجراءة ٠٠
ويخرج اللون صداحا على التيل .. وتتماوج الدنيا فى رغبة سيف
وأدهم أن يخلقا عالمـا ٠٠ ان الخـارج أصبح ضجيجا ٠٠ وأصبح
اليأس الأبيض سـتارا بين الاثنين وبين الآخرين ٠٠ وكان ستار
اليأس الأبيض يحتوى الموسيقى والألوان .. والرقص وكل ماله
علاقة بهذا العالم السحرى .. امتلأ الفراغ .. وعثر سيف على
صديق مرعب .. متوحش .. جوجان الموسيقى .. ريتشارد
فاجنر .. هذا المقذوف من رحم أمه عام ١٨١٣ ليرى حصـار
الدنيا له .. ويجد المانيا مسحوقة تحت خذاء فرنسا .. وأقوى
الأصوات هو صوت المدافع .. وأرق الأصوات هو صوت المعدة
عندما تبحث عن زمام والعقل الذى يرى الدنيا مسرحا .. يغنى
الشعر ويرقص الموسيقى ويهفو الى دنيا أخرى غير دنيا الذهب..
اللقاء مع « فاجنر » يصدم أدهم .. أن موسيقاه تلخص الرغبة
فى أن يحضر كل فنان الكرة الأرضية أمامه .. ويعاملها معاملة
مدرس قاسى المظهر ممتلىء بحنان القلب .. ويامرها بأن تدير
وجهها الى الحائط .. وترفع ذراعيها الى اعلى .. لانها لم تقم
بما عليها من واجب .. الكرة الأرضية طفلة مذنبة فى حق نفسـها
وتستحق التأديب .. وأن تجلس على مكتبها لتكتب مـائة مرة
معنى كلمة حب ٠٠ ومعنى كلمة حنان ٠٠ ومعنى كلمة مسئولية ٠٠

هذا ما حاول « فاجنر » أن يقوله بالموسيقى ، انفعل « فاجنر » بكل شيء .. وجعل حياته ضد شيء واحد هو الذهب .. اختنق فى البداية بالرغبات وبالأمل فى أن يعيش كل ما فى الحياة .. كانت ثمار النساء تتساقط فى فراشه .. المرأة نغمة حائرة يمكن أن يعزفها الانسان أكثر من مرة .. لكن النغمة عندما تتكرر يجب ان تحوى فى كل مرة جديدا .. أحيانا تفقد المرأة هذا الاحساس بالجديد يصبح الحب كفرقة موسيقى نحاسية عازفوهـا أغبياء .. تصطك فيها الآلات دون فهم .. دون أن تكون للموسيقى روعة أو بناء .. عندئذ يلقيها « فاجنر » عند عجوز الذهب .. وعجوز الذهب هو من يستطيع أن يدفع وعندما تتكسر البراءة فى قلب المرأة .. يمكنها أن تقبل ذلك .. تقبـل الذهب وسادة ترقد عليها ضجيج الرغبة .. « وفاجنر » شرب من النساء مائة .. مائتين .. وعزف الموسيقى ضد عجوز الذهب .. أى عجـوز يملك الذهب .. كان يجد اللعنة . وغاص القوى فى نهر الماضى ليوقظ حوريات الأنوثة .. ليلعب معها لعبة الهولندى الطائر .. هذا البحار الذى تحولت سفينته الى شبح ملعون .. محكوم عليه وعلى سفينته الا تلمس شاطئا .. ولا ترى أرضا .. يظل حائرا فى أمواج البحار .. لكن « فاجنر » يجد للهولاندى الملعون خلاصا .. الهولندى الطائر يجد الخلاص فى تضحية من تحبه .. أن المرأة هى الشاطىء الذى ترسو عليه السفن الملعـونة ذات الأشرعة المليئة بالهواء الذى لا يتحرك .. وتصبح أنفاس المرأة هى الهواء الدافىء الذى يحمل الخلاص من اللعنة .. لكن الحب هو الموت .. لأن الذهب يقف سيفا فى وجه الحب .. هو الذى يرسم الوسيلة .. سيف غارق حتى اذنيـه فى « فاجنر » .. ان « فاجنر » يحمل هذا التهشيم الدقيق لضفائر الشمس التى احتضنت « ليليان » فى قلب سيف .. ها هى ليليان تدق باب المنزل .. تعود .. لماذا تعود ؟ هل هناك غفران لهـذا الشىء

الخاص الذى تكسر .. سيف يرى فى وجه « ليليان » نســـاء
فاجنر ..انها نغمة تستطيع خلال الانكسار أن تجدد شيئا ..
الاحتضان الباكى .. الزجاج المكسور فى الاحضان .. القبلات
تحمل اعتذاراً لا يبنى الغفران .. تتجمع الاعتذارات الدافئة ..
هناك شىء ما بعيد يقتل الدفء .. يمنحه الموت الجزئى ..
الحدوتة الناقصة لا تتم .. انما تتبعثر .. الاحتضان الموسيقى
يحمل الوعى والأسى .. عيون سيف مفتوحة .. عيون ليليان
باكية .. الجسد الأنثــوى ملىء بالرغبة فى أن ينمــو الأمل مرة
أخرى .. لكن الثمار قد نضجت واكلت منها الذئاب .. وأصبحت
نار الحب بنية من تفاعل الخطيئة والوقار والخوف من عــدم
القدرة على أن تتجمع ضفائر الاحساس فوق القلب لتبنى البيت
الأخضر .. من المثلث الأحمر .. فى الدائرة البيضاء البعيدة .
قماش التيل يرتوى من زيت الكتان .. وزيت الكتان لا يملك
الا مزيدا من العطش .. والحب اليائس يرى الحواجز الواقفة
بين الاثنين .. يصنع الحب من الحــواجز سرير احتضان يرفض
كل ما هو غير دافىء .. القوانين .. العرف .. الآخرين . العيون..
التقاليد .. السرية .. العلنية .. الراى .. الرفض .. الادانة.
الحاكمة . البراءة .. الطفولة . النضج .. كل ما هو متفق عليه
مرفوض فى هذه الأنغام الدافئة التى تلتقط من النجوم بيتا هشا..
رقيقا .. يهفو فــوق روح « فاجنر » .. تحكى للهولندى
الطائر .. كيف يمكن أن يرتاح .. وأن تســقط الدموع التى
لا تصنع الغفران .. فاجنر .. هذا المتوحش الرافض للذهب..
الذى يبنى من الذهب تمثالا يهشمه .. يريد الآن فى أعماق سيف
أن يوجه اللعنة الى المطبعة النقدية .. تلك المطبعة الواقفة فوق
جثة الحب .. انهــا الاتفاق على التزوير .. تسقط خلال القبلات..
الدموع لا تأتى .. لكن ليليان ليست هى ليليان .. موسيقى
فاجنر حصدت قمح الخوف .. لم تترك هذا القمح الفاســد

ينمو .. تحصده فى أعماق سيف .. خرج سيف من الاحتضان بلا خوف .. وخرجت ليليان من منزل الوقت السعيد .. وضاع نصف الشوق ·· ولم يبق أمام سيف الا مزيد من الغرق فى رفض هذا العالم ·· فى رؤية الدنيا فراغا يطلب الامتلاء ·· عـام ١٩٢٧ ما زال يحمل الجديد .. لم يعد أحد يرغب من جديد فى شرخ القلب بانكسـار حلم .. أصبح اليأس هربا لبناء أمل خاص خافت ينضج على اللوحات .. يدق الباب شاب أسمر .. متناسق .. زميل طفولة .. نافخ البوق من فرقة الكشافة التى أشعلت النار فى علم الانجليز ..

ـ أهلا حسن كامل ·

ـ أهلا سيف .. أين أدهم ..

حسن يبدو فارعا يصلح سارية لعلم لا يراه أحد .. علم مغزول من ضياع حلم يبحث عنه صاحبه .. ويظل يمد الانسان يده ليمسك العلم فيمسك الهواء .. لا يهم سيظل دائما من يرفرف فوقه علم ضياع الحلم .. يقبض الهواء كل لحظة .. لكن العلم سيأتى قبل الموت .. أو بعد الموت .. حسن كامل يملك مشروعا.. جماعة للفنون فى تلك المدينة .. الاسكندرية .. « حسن » غرق فى مدرسة فنون القاهرة .. تلك المدرسة التى وقفت فى المحروسة القاهرة ١٩٠٨ · الاسكندرية لا تجد من يرعى فيها زهور الفن ·· الجياد البرية التى تجرى فى فراغ الألوان تحتاج الى ميـــدان تدريب .. الفكرة تجد حماسا .. والحماس يتحول الى اسم « هواة الفنون الجميلة » والاسم يتحول الى حركة .. والحركة تضم اكثر من واحد .. الرسم والموسيقى هما مركز الاهتمام · بقعة الأمل التى تشرق على سيف وأدهم تصبح جزيرة يقف عليها كثيرون .. يظهر فى الأفق .. انسان يملك من الحركة ألف ذراع وألف عين .. « رمزى » .. هذا القصير المليء بحب الفن ..

خبير بالتواءات الحياة .. وحساب الأرباح والخسائر ..
رمزى » يضع همه فى تأجير مكان للاسم • هواة الفنون الجميلة ••
رمزى » يشرف على صناعة حوامل لوحات الرسم .. بدأت
درسة .. الصحافة تصفق .. أصبح للاسكندرية مركز فنى ..
بلوبترا خرجت من القبر •• لتقابل قيصر •• وأنطونيو رأى
شهد الدامى .. حبيبته تعود الى الأول .. والمعركة لا يمكن أن
ور بين قائد جيش الامبراطور والامبراطور .. وضحكة على
زمن الذى يلتف ليدفع الجميع الى الأمام .. والعجوز الذى له
لب طفل وعقل اله •• ويسميه البعض قدرا أو تاريخا •• يحمل
ى جماعة هواة الفنون الجميلة جديدا .. محمود سعيد يراس
جلس ادارة الجمعية .. محمود سعيد يعلم بنفسه هواة الفن..
حمود سعيد عندما يرسم فانه يبدأ فى السيطرة على الفراغ ..
يملأ قماش اللوحة لونا •• يغير من اللون •• محمود سعيد يحب
التعامل مع اللون ويكره التعامل مع الفراغ .. ويده تبدو كأنها
تحيل الحياة •• الى لون •• الى حركة تضيف لها نغمة واحدة ••
يزيل التجاعيد من كل الوجوه •• حتى وهو يرسم التجاعيد ••
يمحو بعدها الاحساس بها .. عيونه تعلمت من « رمبرانت »
خفوت الضوء •• رمبرانت يرسم بنت البلد •• شىء غريب ولذيذ
وضاحك ••• ويرفرف اسم « مختار » •• مختار المثال الذى
يطير الى باريس ليدرس هناك النحت ويعود الى مصر ..
يستغفر لها بأن ينحت لها ما فى أعماقه .. مختار يقف أمام
سيف .. سيف ينحنى على التيل العطشان بزيت الكتان ..
يرسم .. مختار يهمس « يجب ألا يعلم أحد هذا الشاب شيئا ..
انه يشق طريقه خلال التلقائية » .. ويتكرمش وجه سيف
بالحزن •• ويعترض •• « اذا لم يعلمنى أحد •• فلن أتقدم » ••
ويضحك مختار .. ويضحك سيف .. النغم الخاص فى موسيقى
الالوان ينتشر على مساحات الفراغ .. الزهرة .. والدائرة

والمثلث والمرأة .. والرجل .. تتنوع الأنغام فى خوف من البحر..
كمية الضوء الواضحة فى رسم سيف تحكى ان هذه الأعماق بعيدة
عن الجمود .. يبدو سيف كصياد للنقاء .. يغسل فى بحر المدينة
هموم الانسان .. يبدو الانتظار نظيفا .. يبدو الحزن لامعا .
الضوء يعود الى الظل .. واللوحة نسيج واحد .. متماسك .
واللون يعزف نفسه فى اتساع •• العالم أرحب فى عيون كل البشر
•• مختار يرى فى سيف وانلى وأدهم القدرة على النظر فى حدود
التجربة الشخصية •• لكن سيف وأدهم يرفضان ذلك •• لا أحد
فيهما يصدق أنه يملك حقيقة الحلم البعيد •• الفن فى أعماق سيف
يغنى أغنية تمثال الليل « لمايكل انجلو » •• سيف يهمس بالأغنية
لنفسه « ان لنومى قيمة رائعة والأروع من ذلك أننى مصنوع من
الحجر •• وعندما يتولى الحكم العار الأسود •• أو يصيب الآخرين
الأسى العميق •• فان لى مكسبا واحدا هو أننى لا أسمع •• لا أحس
•• وأرجوك لا تتمن لى الحياة •• حتى لا توقظنى •• تكلم أمامى
بصوت منخفض •• » تمثال الليل « لما يكل انجلو » يحكى لنفسه
هذه الأغنية •• تمثال الليل يخوض بحر الزمن ليحفر فى الفراغ
وجوده الخاص •• ومدرسة هواة الفنون الجميلة يأتى اليها المدرسون
الهواة •• « جول بالينت » أمهر من رسم بالفحم •• يعانى من عدم
فهم الآخرين له •• القاهرة مدينة تقدس اللوحات الزيتية القديمة
•• لا يفهمون الحياة خلال أصابع الفحم •• « جول بالينت » يضيف
الى سيف المهارة فى أن ينطق الفحم تلخيص الاحساس•• أدهم يلتقط
من « بالينت » القدرة على الحركة •• يعوم العالم الأبيض فى الخطوط
السوداء •• ويتكور الزمن •• ليسافر الرجل الى الخارج •• وتأتى
اللحظة التى تباع فيها اللوحة الموقعة باسمه بمائتى جنيه •• بعد
أن مات الرجل •• لعبة الخداع التقليدية •• الانكار لصاحب الفكرة
•• يبعثره الموت •• يفهمه الآخرون •• يحصده الآخرون •• كل

الناس تلعب دور « ازيس » فور أن يموت « ازوريس » ·· الذهب والنار والوباء ·· أبو العلاء المعرى ·· يعيش فى حياة الفنان «بالينت» ·· لم يكن يرغب فى الذهب ·· والنار تحرقه شوقا الى الحياة ·· والوباء هو أن أحدا لا يعترف بالوجود الحى للفنان ·· عشق ازيس ينسحب الى الآخرين ليقولوا أن « بالينت » رسام ماهر ·· اللوحة تباع بمائتى جنيه ·· السؤال الصامت المولود فى عقل سيف هل يأتى الزمن الذى تنجد فيه ازيس أوزريس قبل أن يموت ؟ والاجابة على السؤال هى الصمت ·· والصمت هو العمل فى الصباح والرسم فى المساء ·· اللذة والشقاء والارهاق والاطمئنان لابد أن يغسل سيف أعماقه فى هذا الزجاج المكسور ·· ليليان لم تعد سوى أشواك ·· اختنق القمر ·· القمر الذى يغنى بالفرحة عندما يرى سيف ليليان ·· أصبح كل شىء محفوظا ·· نداء بالحلم المقتول ·· بالرحم المتكرمش رغبة فى طفل ·· وليس هناك نقود للطفل ·· وازيس لا تفهم أن أوزريس رسام ·· والرسام يحتاج الى ألوان ·· والألوان فى أى مكان تحتاج الى أجر السجن بين دفاتر الصادر والوارد ·· وتأتى « تحية » الى المرسم ·· « تحية » بنت بلد ·· مصرية ·· الجسد لون البرونز ·· والضوء يلمع فى البشرة والامتلاء فى الجسد يسترخى بضحكة لها ذيل ·· والمشية تتثنى فى ملاءة بلدية ·· واللون الأسود يحيط الضوء بلون البرونز ·· والسواد العارى يبحث عن خلاص ·· لكن البحث عن خلاص فيه خجل العار ·· « تحية » تغنى ·· « أنا هويت وانتهيت وليه بقى لوم العذول » ·· سيف درويش أنغام فى أعماق المرأة ·· تهفهف فى صوتها الحريرى الملمس ·· فى آخر هذا الصوت بحر ·· ولون أزرق وسماء تعانق نهاية مياهه ·· وتستجيب له ·· « تحية » تعرف أن سيف موظف يهوى الرسم ·· تتعجب المرأة من الرجل ·· بداية التعجب ·· هو طريق انفتاح الاندهاش ·· والاندهاش اشراق خاص

للاحتضان ·· والاحتضان خجول وطويل الأجل ويحلم بنفس الحلم· لكن طعم هذه المرأة مختلف عن ليليان · هناك لحن جديد شرقي ·· عود يعزف التقاسيم المتتالية الحزينة ·· وحزن المرأة يبدأ في أنها تتلقى الحب ·· انها تنتظر ·· هذا الانتظار يبدو وراء دفع آدم الى أن يقطف التفاحة ·· كانت حواء تنتظر التفاحة ·· وبعــد التفاحة تنتظر العقاب ·· وبعد العقاب تنتظر أن تصرخ بألم الميلاد ·· ولكن سيف يعرف كيف يهدى التفاحة · اما أن يبنى البيت الذى يعطى ألم الميلاد ·· فهذا مالايعرفه ·· ليليان ترى «تحية» ·· يبدو الصراع صامتا ·· لا يعلن عن نفسه ·· هارون رشيد تركوازى اللون يعربد فى قلبه سيف ·· لا يريد أن تستمر تلك اللعبة ·· خرجت تحية من القلب كما دخلت ·· السرعة هى طابع اللقــاء ·· السرعة هى أسلوب الموت ·· أنغام العود الشرقى لا تكون سمفونية ·· تبقى ليليان ·· وفى صوت ليليان الخصب البنفسجى المشروخ ·· والقبلات لا تغفر الشوق المبعثر ·· وأستاذ الألوان ينحت على الفراغ حيــاة أخرى غير صمت اللون الأبيض ·· وجماعة هواة الفنون الجميلة ·· تندس فيها نباتات فاقدة الموهبة ·· هذه الطفيليات التى تخرج عنها فى الخضم العارم ·· تمنع اعادة خلق الحياة ·· تظن أن الفن لعبة ·· تبدو جماعة الفنون ثقيلة الدم على سيف وأدهم ·· كثافة النباتات الوحشية تضيق الخناق على زهرات البنفسج الباحثة عن ربيع لايحبو·· يلاحظ هذا الاختناق ايطالى يدرس للهواة ·· « أرتيرو بيكى » هذا المولود فى مدينة ريمينى ، أخــذ من تلك المدينة سروال جولف ·· وجوارب طويلة ·· وبجانبه فلاحة ايطالية ·· زوجته ·· شال ملون على كتفيها ·· فى يدها طفل فى الخامسة ·· وابنة فى السابعة ·· والرجل كثير الكلمات ·· مربع الوجه ·· قصير القامة ·· تزدحم عواطفه على لسانه ·· يريد أن يمسك العالم بالطول والعرض عن طريق الكلمات والألوان ·

« لو كنت أقيم هنا لعلمتك يا سيف ويا أدهم الكثير من أسرار الألوان » .

بيكى هارب من نفسه .. يمكث فى كل بلد شهرا .. خريطة الكرة الأرضية بيته .. يقيم معرضا .. ثم يلهث الى بلد آخر .. يريد أن يهضم الدنيا قبل أن يهضمه الزمن .. يبحث عن مدينة تضم كل المدن .. ولم يكن أحد يعرف أن سحر مصر سيسرق هذا الايطالى الهارب من نفسه الى العالم .. يمكث فى مصر ستة شهور فى السنة .. ويقبل من سيف وأدهم ١٢٥ قرشا .. أجر ست من الحصص .. وأحيانا يرفض الأجر .

ومن نهر هذا الرجل الذى يريد أن يهضم العالم بدأ سيف يسكر بالمعرفة .. وبدأ أدهم يشعر بسعادة الرغبة فى أن يستمر موكب عطاء الآخرين ألوانا .

الفصل السابع

من يفضح سر المستقبل ..
ويأتى به الى الحاضر ..
عليه أن يتحمل اللعنة ..
واللعنة هى اندثار الاستقرار ..!

الوجه تاريخ · الصوت موسيقى · العيون الوان · والحيرة تخنق اللحظة ·· واللحظة تموت في اندفاع الزمن ·· الذى يعيش هو الماضى ·· الذى يتنفس هو المستقبل ·· الواقع يفلت من أصابع العمر ·· الواقع لحظة توهج تعيش بين فجوتين ·· الفجوات هى دقات عقارب ·· الفراغ هو ما نعيشه الآن ·· ان الحاضر شرخ بين الماضى والمستقبل · واندفاع الزمن هو تدحرج الروح من الماضى وميلاد الحياة فى المستقبل · يندفع المستقبل الى فراغ الواقع ·· ينتحر الحاضر بميلاد المستقبل · الزمن مهشم الرائحة والطعم · ومدرسة « بيكى » في شارع نبى الله دانيال · ودانيال نبى له شكل الماضى · يبدو كلحظة تجميع الزمن · قدرى الوجود ·· أسود الأقدام · فارع الطول · أخضر الذقن · أبيض الشعر · بنفسجى العيون · نبى الله دانيال ملون كالبحر والسماء والأمل المكسور فى القلب · وأسفلت الشارع السنجابى يولد تحت الأقدام · والأقدام ايقاع موسيقى ·والموسيقى خلقهاالاله عندما رأىالعالم رماديا ·· قررالاله أن يميز بين الإبيض والأسود . وكان الاله وحيدا فى ساحة العالم القديم . صفق الاله .. خرج من التصفيق ايقاع . ومن الايقاع جاءت الأرض تدور · والتفت الشمس حول الأرض · ودار القمر حول الشمس · وتلاعبت النجوم فى محاولة انتظام لرقصة تصفيق الاله ·· وانتشرت السماء حول الجميع ·· ورفرف الهواء فى كل العالم ·· وضحك الاله سبع مرات عندما رأى كل ذلك يخرج من التصفيق ·· ومن ضحكة الاله الأولى خرجت المياه · وعند الضحكة الثانية جاء العدل · ثم رقصت الروح من الضحكة الثالثة · وعند

ابتسامة الاله الرابعة كانت أشواق الروح تجد لها مكانا. ومن ضحكة الاله الخامسة جاء الانسان ليأخذ الروح .. ومن الضحكة السادسة جاء وحش صغير كبر فجأة وأصبح له ألف ذراع وكان مكانه رأس الانسان واسمه الرغبة في أن يعرف كل من يعيش .. كل شيء .. ومن الضحكة السابعة كانت الدموع الراقصة في العيون بالشوق للحب .. واستراح الاله بعد ذلك .. فقد وجد من يترك له مشكلة فصل الأبيض عن الأسود .. وكان الذى يحمل ذلك اسمه الانسان. ومضى الانسان ينبض بتلك الرغبة . وها هو « بيكى » ينبض أمام سيف وأدهم . عيون « بيكى » تمتلىء بالنور . والنور فيه ألوان الطيف . وألوان الطيف تروى نفسها بالوجود على جدران منزل « بيكى » . كل جدار بلون . وسيف وأدهم يحاولان أن يفهما كل ما فى الرجل . والمنزل واسع الحجرات . هنا تغضب الألوان من الانسان . ويتحول الانسان الى طفل أمام الفراغ . لكن للألوان حنان الام . تحتضن بشفافية غريبة كل شيء .. ويعلن بيكى أن الالوان لها حياة . تضحك . تتنفس . تحب . تكره .. تعاند . تبكى .. تعيش . تموت . وتقف «موديل» . عارية. عذراء الروح بلا ملابس . العيون التى تنظر اليها لاتدمر فيها شيئا . عيون تندفع لترى بناء الحياة فى حديقة الحياة الأولى . المرأة . الجسد الانسانى الأنثوى يتحدد بالخطوط ويعطى صمتا مطمئنا .. الصمت المطمئن مولود حائر وطائر وهو يتسرب من أصابع الفحم الى ورق الرسم . الرهبة أمام الجسد الأنثوى رهبة جديدة . لم تكن المرة الاولى أمام الجسد العارى . العيون على الجسد العارى لا تشيخ . لا تعرف وحل الرغبة . تزدهر فى العيون البراءة الغاربة ... البراءة تتحد مع الرهبة . وبدا سيف وأدهم فى حالة ابتهال بالفحم للورق . ملامسة أصبع الفحم للورق ترى فى جسد المرأة اشراقا .. وفى التنفس اتفاقا .. المرأة تلخيص للجبال والأنهار والحياة والأشجار . الصدر . الحلمة الخجول تملك التحدى . الأنف فتحتان يشتاق لهما الهواء .

الذراع انسيابى .. يبدو صحراء تشتاق لأمطار اللمس . انحناءات الجذع تمتلىء بنقاء الخوف . والخوف ملتهب بالنضج والنضج سجين العرى أمام العيون . والقلب المنهك ينبض بتوتر كامل فى صمت « الموديل » . وقلب سيف وأدهم يقفز الى الأصابع . أصابع الفحم ترسم مستقبل المرأة . واللحظات مستريحة الحياة. ويتوهج «بيكى». انه أمام نضج غير عادى للرسم بالفحم . عيون سيف وأدهم تقتحم خطر الأنوثة وتعطيها براءة التصوف البسـيط . تتشتت عيون « بيكى » بين « الموديل » وبين « استـكشات » الفحم . فى ملمس الفحم احساس بتدفق الايقاع . تتشتت درجات الفحم . لا يملك الورق الا أن يهرب من موته الأبيض الى لون العالم الأول الرمادى . خرجت فى تلك اللحظات حياة . اكتشاف حياة . لم يكن فى توهج عيون « بيكى » سوى الخوف . ماذا يمكن أن يعطيه لسيف وأدهم . حافة أفق الشىء الخاص . هذه الحافة تبدو واضحة تماما . الفحـم يقوم فى أصابع الاثنين بدور النحت . المساحة الصغيرة التى ترسم الأنف . الأذن . الشفاه التى تظل كوردة تستقبل ضوءقبلة خجول. الخجل عارى الوجود فى هذه «الاسكتشات» . «اسكتشات» تجبر الانسان على ان يحرك أصابعه يحاول اللمس . لكن الأصابع تظل مكانها . الخجل يدفع أصابع من يرى هـــذه « الاسكتشات » الى أن تحتك الأصابع بعضها ببعض .. لا يلمس الخجل العارى . الظل الناعم من خلف الخطوط تتـدرج الظلال لترفع الحيرة الى الاله فى ساحة العالم القديم .. مازال الانسان غير قادر على أن يفصل اللون الأسود عن اللون الأبيض . اللون الرمادى ضرورى تماما .. حتى تظل الحيرة قادمة .. تبدو الآن أمام « بيـكى » الحـيرة وهى ضرورة للمستقبل .. الحيرة هى الأمل الوحيد أمام الانسان .. لأن الانسان لن يجلس فى الجنة .. فمنذ أن خلع الرجل ضلعه ليزرع فى حديقة الارض المرأة .. ومنذ أن أثمرت الأرض الخطيئة .. كان هناك الأمل

.. وكانت هناك الحيرة .. وكرة الحزن الصغيرة تدور ضاحكة فى القلوب . «بيكى» يقول لسيف ولأدهم «كل ما سنفعله أننا سنكون أصدقاء» .. لم يصدق سيف أو أدهم .. الرجل يثق فى رسم الاثنين .. حافة الأسلوب الخاص تضىء فى رسوم الاثنين . يبدأ شارع نبى الله دانيال يأخذ شكلا آخر .. تتحول ذقن النبى الخضراء الى دفء التيل العطشان .. يبدأ الرجل « بيكى » فى محاولة أن يقول لسيف ولأدهم ان المسافة بينهما وبين الفن .. هى المسافة بين الأنف والهواء .. مزيد من الشهيق .. يساوى المزيد من الزفير .. لكن الشهيق يستمر .. والرجل يعيش آفلاسا مثل سيف وأدهم .. لكن ابتسامته لا تجعله يقتل حلمه فى أنه سيزور كل الدنيا .. لأن أحدا لم يمت من الجوع من قبل .. ولأن تفاصيل الحياة تصطدم بنفسها كل صباح لتحل مشكلاتها .. وايقاع حركة الحياة هو أن يظل الفنان مضىء الاحساس وسط القلب المنهك بالرغبة .. لا لحظات مستريحة هنالك .. والضحكة هى زاد الموت اليومى للجوع .. ولن يمسح ارهاق الفنان سوى أن يصل الى ألوان خاصة .. تصنع مع التنافر اطمئنانا .. وتلوى رقبة طرفى المغناطيس ليصنع من التنافر انسجاما .. لتستطيع العيون أن تجد ما فى الحلم واقعا .. الحلم الملون .. ولكن العيون خارج منزل « بيكى » .. عيون عام ١٩٣٠ كسولة .. لا ترى أبعد من الاهتمامات العادية .. الناس غارقون فى الرغبة فى أن يسدل ستار سريع على شمس النهار وأن ينزع الستار بسرعة أكبر من سواد الليل ... الكل يكره النور ويكره السواد ولكن كل ما فى القلب هو رغبة فى الابتعاد عن حدود الحياة وعلى سيف وأدهم أن يتبادلا مع الآخرين الابتسام . يستطيع الاثنان أن يقولا لهذه الرغبة السوداء فى النهاية السريعة .. « اذهبى بعيدا .. لكن الشارع ينظر الى من يرسم نظرته الى مخلوق غريب .. يبدد قوته فى سذاجة لا يهتم بها أحد . هذان الشابان يبدو كلاهما

عارم الاحساس ورفيق الكلمات ويستحق الاحترام ٠٠ الذى يفصل بينهم وبين المجانين هو أن كليهما يستطيع أن ينطق الكلمات دون أن يعتدى على أحد ٠٠ وأن كل منهما يستطيع أن يبتسم فى وجه الآخرين ٠٠ وأن يضحك ٠٠ وأن يرتدى ملابسه بمفرده لكن لماذا يغمض هذان الاثنان عيونهما أحيانا ٠٠ ما الذى يراه كلاهما بعيدا خلال عناق الرموش ٠٠ على لسان أدهم كلمة لسيف ٠٠ هذه العمارة طرازها « باروكى » ٠٠ يتوه سيف فى دوامة الكلمة ٠٠ ماذا لو سمع هذه الكلمة رجل عادى ؟ ٠٠ البـــاروك اختزال للبركة ٠٠ والعمارة تقع فى شارع نبى الله دانيال ٠٠ مبروكة بوجود هـــذا النبى ؟ ٠٠ «ماذا» بدايه سؤال يحير سيف دائما الى عالم آخر ٠٠عالم لايعرف سوى ازدحام أرفف الأعماق بالصمت ٠٠ والصمت أنفاس القلق٠٠يضحك أدهم٠٠ «ياعم الفن الباروكى٠٠ موجودفى بلادالخواجات ٠٠ هذا الفن يحاول أن يجعل لكل شىء ظلا دائريا ٠٠ ولذلك فهو يكره الأشياء المستقيمة ٠ انه كذراع جحا التى تلتف لتمسك أذنه اليسرى بيده اليمنى ٠٠ بعد أن يمر على أذنه اليمنى ٠٠ نوع من الترفيه عن العيون وعن الناس » .. يتوقف سيف ليشترى « علبة سجائر » ٠٠ علب السجائر كلها مستقيمة الخطوط ٠٠ مستطيلة أو مربعة » ٠٠ يعنى علبة السجائر ليست باروكية ٠٠ « لا ياعم » ٠٠ وتلتقط عيون سيف عربة كتب شارع نبى الله دانيال تدخل فيه عربة تبيع الكتب المستعملة .. القروش تستطيع ان تسأل الورق عن أشكال الحروف .. والاجابات مولودة باللون الأســود على الصفحات البيضاء .. وضفائر شمس الاحساس فى القلب تندفع الى هذه العربة ٠٠

« هيا ارفع عينيك المدنستين ٠٠

فأنت لست وحيدا ٠٠

ها هو نصيبك من الحب ٠ لاجدوى من أن تتأخر فى أن تندفع الى أحضان رغبتك ،

مجاملة المرأة تسبب لك المتاعب
أنت تخنق نـداء الرغبة الملتهب عنـدما تنهمك فى مجاملة
المرأة ..
ومأساتك لا تنتهى
وأفكارك تتمزق بين كل الأشياء
تتمزق الحياة على طرفى الحب .. »

هذا «بول جيرالدى» .. الشاعر الفرنسي .. كلماته تبدو امتلاكا لقلق خافت يدور بالرعب ناحية الشجاعة .. الكلمات تحاول أن تجد لها نهرا فى طريق القلب .. سيف يجلس مع ديوان الشعر .. هذه الكلمات الموسيقية الايقاع .. جيرالدى .. مستقيم الهدف .. محدد الخطوط .. يكره ألا يوجد فى احضان امراة .. يكره كل انفصال عن لحظة ارهاق الرغبة .. هذا عصر الموت الذى يعيشه .. أحضان أكثر من امرأة .. شيء صعب يا سيف .. شيء غريب أن يكون الانسان أسير أحضان واحدة . أن يكون الانسان أسير أى اطار .. ألا توافق يا أدهم على ضرورة أن يتحرر الانسان من الاطار؟ .. أى اطار .. دائرى .. منساب .. باروكى .. مستقيم .. أى اطار لابد له من فرار .. والفرار الى أين ؟ ليس هناك سوى المستقبل .. والمستقبل شـــوارع تأكلها الأقدام .. والناس فى الشارع .. الرجال تلتهم أطباق الهرب فى أحضان الاطارات .. العمـــل فى الرذاذ الرمادى .. اطار أبواب البار .. « الـكباريه » .. الأغانى .. البعض يسأل عن كلمة تاهت من سيف وأدهم .. العام ١٩٣٠ .. والناس تتكدس فى الشوارع .. مظاهرات .. أين دستور ١٩٢٣ ؟ .. الجرائد تحكى عن دستور جديد .. يعد .. من الذى يعد هذا الدستور ؟ .. والاجابة « انهم يعدونه » .. الذين يعدون الدستور علامات استفهام ترقص فى الخيال وتسقط بلا اسم لها وبلا كيان .. أبطال مؤامرة يرتدون أقنعـــة غريبة .. شريرة .. الأقنعة تصرخ .. الأقنعة تسخر من الجميع .. هناك قناع وغد اسمه اسماعيل صدقى . رجل مكبوس فى الطربوش

.. ويكبس أنفاس الشارع .. والشارع يكبس نفسه بالتكدس فى مظاهرات .. واسماعيل صدقى يشرب الينسون .. ويبدأ فى سماع مارش موسيقى هادر .. مارش مهمته لعنة اسماعيل صدقى من كل الأفواه .. والكل فى أمر الدنيا يحتار .. لأن أحدا لايستطيع أن يختار .. و«بيكى» ينقل سيف وأدهم من الرسم بالفحم الى الرسم بالألوان ..هذا الانتقال يبدو احتفالا .. الألوان طريق ملعون أحيانا .. طريق يمتلىء بأشواك من عيون الآخرين .. الآخرون يقيسون الألوان بالتاريخ .. وتاريخ الألوان عندمن يفهم يبدأ «بمايكل انجلو» .. وبخطوط قدماء المصريين تم النحت .. ويقف عند «سيزان» .. ويبتهل استغفارا أمام «فان جوخ» وينتابه قلق الرغبة من نوع حياة «جوجان» ويكره فى داخله هذا الالغاء الواضح للزمن فى ألوان « جوجان » .. يجب اذن أن يكون هناك ما هو غير ذلك .. هذا الفهم المنساب ببطء وبخوف فى أعمـاق سـيف وأدهم .. الفهم يبحث لنفسه عن طـريق وسـط .. نقاط « سـوراه » الملونة الدقيقة .. التى ترسم صليب العـالم الجـديد .. الفراغ .. وحيث تتواتر المسـاحات الملونة فى أرضية لوحات «فان جوخ» .. هذه المساحات المربعة أو المستطيلة التى تترك نفسها لتتراكم على أرضية اللوحات .. تتحمل زهو الأشياء .. تحمل روح الحياة .. هذه الرغبة الدفينة فى أن يتحرك الكرسى ليكون رجلا .. ويصمت الرجل ليكون كرسيا .. وتندفع المرأة لتكون الشمس اطارها .. وتندفع الشمس لتكون قطعا من الضوء المبعثر فى حب مجنون يقطع الاذن .. أو لتكون الصمت الواثق من الايمان فى تصميمات « سيزان » .. هذا الايمان بأن الروح تتجسد بصمت واضح محدد الخطوط على اللوحة .. تبدو اللوحة نسيجا واحدا من وراء كائن يتصوف الجوهر .. ينشاب فى بطن أمواج الروح ليحدد بحسم قاطع أن اليقين يستطيع الانسان أن يمسكه بيده .. اليقين فى يد سيف وأدهم هو الهواء .. هو البحر .. هو الانسياب الى جدول الألوان المتوحشة المحموسة فى أنابيب ..

لابد من مروض للألوان ‧‧ والمهمة ‧‧ مهمة ترويض الألوان يمكن أن تقف بالانسان على حافة رؤية بعيدة ‧‧ رؤية التيل العطشان للزيت ‧‧ وتدور كرة الانفعال في القلب تتكهرب الأصابع وتذوب كمية الشعر المغموسة في اللون‧‧ الوحش الصغير الخارج من فوهة أنبوبة ‧‧ تحاول كمية الشعر أن تحدد للوحش الطريق الى أن يخرج من أعماق سيف .. سيف آخر .. سيف الذى لا يصبح جسداً وذراعا وعيونا .. لكن سيف الذى يصبح لونا ومساحة ونسيجا من الخطوط على التيل العطشان السكران بزيت الكتان ‧‧ « جوجان » سرقه هذا الوحش الصغير الخارج من فوهة أنابيب الألوان ‧‧ التف الوحش حول عيون « سيزان » ‧‧ فمضى يعيد العالم من جديد وحاول « فان جوخ » أن يتحدى الوحش ‧‧ ولكن الوحش جعل عيونه تنظر الى الشمس .. حاول اللون ان يكون شمسا خلال « فان جوخ » ‧‧ احترق الرجل بنفسه ‧‧ ويظل جوجان هو الرحيق المهاجر فى احساس سيف ‧ الغاء الزمن ‧‧ اللحظة التى يسقط فيها اللون على اللوحة ليبدأ العلم دون أن تهتز شمس أو قمر أو أرض أو حركة ‧‧ يأتى الاله من كل مكان لينظر كيف حال جوجان الطفل الصغير ‧‧ الحيران مع أمه ‧‧ تبحث له عن عم بعيد ‧‧ يبحث هو عن أمل فى البحر ‧‧ يقابل الفشل ،، يصافح فشله ‧‧ ليعود الى باريس .. يجلس على مكتب فى بورصة .. سمسار .. ينجح .. تنظر اليه واحدة أنثى اسمها « منس » ‧‧ نهر السعادة تحت أقدام جوجان ‧‧ عشر سنوات ‧‧ من الزواج ‧‧ فى أحضان هذه المرأة ‧‧ كان العالم ملون ‧‧ كان الزمن يقف ‧‧ كان يحب التأنى الدافىء فى قبلاتها ‧‧ القبلة لا تنتهى على شفتيها ‧‧ ما ان تنتهى حتى تبدأ ‧‧ عالم من الاطفال حول « جوجان » ‧‧ عيونه ستكشف أن هناك كونا بعيدا ‧ وامرأة خالدة ذات أعماق تضرب فى أرض نقاء الرغبة ‧‧ هذه الرغبة لا تنتهى ‧‧ وبدأ يرسم ‧‧ ١٨٧٩ ‧‧ لم تكن المرأة سوى زوجته ‧‧ سوى هذه البشرة التى تمتلىء بألوان زجاجية تلمع بملمس الميناء ‧‧

تدفيء كرداء شرقي .. ناعمة في حرير اليابان .. صلبــة كأنها البراميل .. أصيلة .. ذات أحضــان مصرية .. تنحني لتعطي الأمان ككنائس روما القديمة .. غضبها هش كالفخار .. ابتسامتها لها زوايا نائمة .. تائهة .. « منس » هي كل النساء أمام جوجان.. بداية المرأة ونهايتها .. لكن « منس » تحب الاستقرار .. جوجان .. تاه من نفسه في الألوان .. في الخامسة والثلاثين .. ترك عمل السمسار المضارب في البورصة ليهاجر الى هذا اللون البعيد في الأعماق والرسوم لا تباع.. اللوحات تقابل عجز العيون الآخرين .. وباريس تقف على ساق واحدة وهي تدعو للفن .. لأنها تهدر جزءا من الفن . وتنادى بعين واحدة على الفن .. لأن عينها الأخرى لا ترى جزءا من المستقبل .. ويبدأ القدر في حشد جوقة عقاب لمن فضح سر الكون .. من يفضح سر الكون ويسافر الى المستقبل ويأتي به الى الحــاضر .. عليه أن يتحمل اللعنة .. وكانت اللعنة هي انفجار الاستقرار .. لم يعد جوجان صالحا للحياة مع هذا العالم .. دنيا الأسرة التي تضيق .. تضيق .. تصبح أضيق من فوهة أنبوبة الألوان .. « منس » تحاول أن تعيش المستقبل بشكل آخر .. بشكل العناية بالأطفال .. تسافر الزوجة والأطفال الى بيت أسرتها .. وهناك تنفجر اللعنة في وجه جوجان .. كيف يترك عملا لقاء رسوم لا تباع ! اصطدام من لا يفهم سوى تكرار الحياة .. بمن لا يفهم سوى أن في أعماقه نداء آخر الى اعادة خلق العالم .. مضى النبي الشرس جوجان الى بحار أخرى .. بحار من الألوان.. يركب قارب الكف الخشبية التي بلا أصابع .. يرفع شراع كراهية الخوف.. لكن كل شيء في الحياة يقف ضده .. المرأة .. الاحتضان.. « منس » بعيــدة .. الزوج من أسرة متوســطة .. يجب أن يطعم الزوجــة .. الألوان لا تطعم أحــدا .. الألوان تمنعه من احتضان « منس » .. الحياة تعزف بجوقه الهزيمة في وجه النبي الشرس.. الموت يتجمع في عيون الناس ليقف ضد رغبة جوجان في احتضان

التي غضبها فخار ·· وبشرتها زجاجية النعومة ·· د فئة متسعة الأحضان ·· ولابد أن تكون له امرأة وألوان وطبيعـــة حلوة ·· وأصدقاء لا يتكلمون ·· اذن ،يجب أن يتكلم وحده ·· ويهاجراللون الصداح الى « تاهيتي » ·· قبل أن يهاجر ·· هزه الحنين الى أصل كل النساء ·· زوجته ·· سافر اليها ·· عيون حمـــاته تقف في الحجرة تمنعه من احتضان زوجته ·

ليليان تدخل ·· ليليان شحوب مشروخ في حياة سيف ·· كانت قديما هذا الانفعال الصارخ بالقلق ·· بالاحتضان ·· بالرغبة في أن يعرف سيف منهـــا العـــالم ·· الآن هي التي شرخت هذا الوجود ·· مزقت هذا الاحساس الرائع بأنهـــا عالم لا ينتهي ·· طلبت أن تتزوج ·· وضعت المساومة أسلوبا ·· اما الزواج واما العودة الى منزل اللحظة الحسية المدفوعة الأجر ·

ـ أهلا ليليان ·

في صوت سيف نداء الى حلم قديم ·· حلم كانت فيه ليليان تمسك الحزن بالصوت المشروخ بالخصب ·· مهما تمزق مابين الرجل والمرأة ·· فان في أعماق الاثنين حنينا الى احترام اللحظـات التي مضت ·· ليليان ·· ترى كتابا ضخما عن جوجان في يد سيف ·· « يسرقك هذا الرجل من الدنيا » ·· وتضحك ليليان تملأ فجوات الصمت بالضحك ·· انها تعرف أنها موجودة داخل هذا الكتاب ·· عاشت مع سيف قراءات عن الفن ·· تعرف أن جوجان يقف في قلب سيف مرفوع القامة لا يدافع عن نفسه ·· يملك شموخ الوانه ·· صمت العالم في قلب جوجان ·· وصمت العالم في قلب سيف ·· جوجان يرحل أمام عيون سيف الى تاهيتي البدائية سيدة البساطة .. وصمت الألوان يروض أعماقه .. الرمال حمراء .. الجياد زرقاء ·· الكلاب بنفسجية ··هنا يتجرأ جوجان على كل شيء ·· احساس الألوان عنده لا يعرف الخوف ·· ما دام الجوع هو الثمن فاهلا بالشجاعة ..

وتحاول ليليان أن تقف أمام تفكير سيــف ٠٠ أن ترحــل الى أعماقه ٠٠ انها لم تخرج من الأعماق ٠٠ لكنها لا تعرف ٠٠ تحصر نفسها فى هذه الشروخ التى سببتها الرغبة فى الأمومة ٠٠ هــل ترسمنى فى مسابقة الأمير يوسف كمال ؟ « الأمير يوسف كمال ٠٠ رجل تركى ٠٠ يعيش فى القاهرة المدينة البعيدة ٠٠ يحكى أنه أقام مسابقة بين الفنانين ٠٠ يرسل لها بعثة الى ايطاليا ٠٠ هل يذهب سيف الى القاهرة ٠٠ أدهم يرى أنه لابد من السفر ٠٠ ليليان ترى فى رحيل سيف الى أوربا انفجارا جديدا فى عالم الألوان ٠٠ لايجب أن يحصر نفسه فى أعماقه ٠٠ أعماقه صمت ٠٠ وشــجاعة أمام الألوان ٠٠ و « بيكى » أصبح يرفض أن يأخذ أجرا لأن سيف وادهم كليهما وصلا الى بداية الطريق الخاص ٠٠ وينمو بيتهوفن فى البيك آب ٠٠ « الباستورال » السيمفونية السادسة ٠٠ لمـاذا هذا الريف المفاجىء فى الموسيقى ٠ من أين أتت الألوان الخضراء الغريبة فى هذه الأنغام لتقبل الاعتــذار يا مســيو بيتشارولى ٠٠ سيف يرى فى الموسيقى الوانا ٠٠ فى قلب هذا الشاب تصبح الشوارع الوانا ٠٠ الناس الوانا ٠٠ التاريخ الوانا ٠٠ الموسيقى الوانا ٠٠٠ بيتهوفن هذا الصوفى المعتزل فى الكبرياء ٠٠ انه جزء من جوجان ٠٠ وجزء من فان جوخ ٠٠ انه الاثنان معا ٠٠ أصبحا موسيقى ٠٠ «الباستورال» ٠٠ السيمفونية الريفية ٠٠ السادسة ٠٠ العالم هادىء لكنه يهدر ٠٠ يندفع ببطء منهك سعيد ناحية جبال الخطيئة ٠٠ ليرتفع فوقها جوجان ٠٠٠ ينادى على فانجوخ ٠٠ ويسأل سيف الاثنين ٠٠ هل أدخل مسابقة هذا الأمير يوسف كمال ؟ ٠٠ ويغضب جوجان ٠٠ ان المسابقات تتيح فرصة واحدة ٠٠ فرصة يسرقها الزمن ٠٠ الزمن وغد ٠٠ كان موت أحد اقارب جوجان ٠٠ فرصة ٠٠ ثروة مفاجئة ٠٠ عاد الى باريس لـكن الزوجة « منس » لم تعد ٠٠ حبسوها بعيدا ٠٠ وفان جوخ مات ٠٠ كان يجب أن يعتذر له ٠٠ كان دائما يشاغبه ٠٠ اذن ليعلق قردا فى البيت ولينحت لنفسه حــذاء من الخشــب ٠٠ وليضع

ببغاء على كتفه ·· لم يكن ذلك سوى أن يقـــول لباريس يا مدينة البلهاء ·· أنا جوجان ·· وأين صديقى فان جوخ ·· انه هناك مع الموت ·· تحت أحضان وحش القسوة ·· الخشب المخلوط بالتراب ·· استفزاز الساذج فان جوخ للمتوحش جوجان·· قديما·· الزمن مهشم ·· لسان فان جوخ كان يطلق رصاصا من الكلمات ·· أى حجرة فى باريس لا يحتمل جوها الجوع والحوار والخمر الرخيص ·· وجوجان هادىء يحتقر الزمن تماما فى لوحاته ·· يحدد الخطوط ·· يضاجع المستقبل ·· يحول المستقبل الى امرأة مشتهاة ·· لها سحر زوجته ·· يفتت نفسه بين أكثر من واحدة ·· وفان جوخ يعقـد الصداقة مع كل شيء ·· الا الانسان الأعلى ·· هذا الواقف ليمتص ابتسامته مع دم الأسفل ·· حتى لو كان هذا الأسفل حذاء ·· أو عاهرة ·· انه احســاس مركز ضد أن يكون للانسان سيد ·· أو للحذاء سيد أو للكرسى سيد ·· كل السيادة فى صداقة الجميع·· كيف يمكن أن نجعل عاهرة تتوب بأن تعطيها مع الكتاب المقدس الدفء ·· لـكن العاهرة تعطيك ـ بعـد الـكتاب المقـدس والدفء والطعام ـ طفلا لست أنت أباه ·· جوجان ·· فان جوخ ·· التوحش .. الرقة .. الحوار .. حاول فان جوخ أن يقتل جوجان .. انه يحاول أن يسوده ·· السيادة بأى شكل يجب أن تموت ·· الدم هو أصل الحياة ·· يجب العودة الى الدم ·· يهرب جوجان ·· الآن قتل فان جوخ نفسه ·· وجريمة الحياة مستمرة بعد جوجان وفان جوخ ·· انها تبصق فى وجه الانسان بمائة جدار من العجز كل دقيقة .. ليليان غاضبة .. لأن سيف بعيد « أنت بعيد عنى .. أين أنت ·· الا يعجبـــك بتهوفن ؟ انك ·· انك ·· » ويدق باب البيت الخاص ويدخل أدهم ·· تتوقف الدموع فى عينيه ·· « ماما ماتت » ·· الشهر مايو ·· العام ١٩٣٠ ·· احتقان وجه السيدة الطيبة .. الدموع بعيدة .. الحزن يوخز القلب .. يفتت عظام الانسان ·· الموت نهاية الهرب وتحطيم الاطار الأخير ·· الجنازة ··

القرآن ·· الجنه ·· الموت اجراء حقير ·· مفاجيء ·· لماذا لا يحطم الانسان اطار الموت ·· لمـاذا يموت الانســان ؟ ·· الأم ·· هذه الرفيقة ·· العطاء بلا مقابل ·· الخوف بلا مقـابل ·· الصمت · المدينة لا تفهم كيف أن الحزن يفتت آخرين ·· المدينة مازالت تزعق ضد صدقي باشا ليليان هي التى تفهم ·· لكن احســاسا واحدا يسيطر على سيف ·· يشده الى النهاية ·· ليليان ليست حرية ·· المرأة جزء من الحرية .. أين الهرب ؟ .. الموت ليس حرية .. انه تحطيم اطار الحياة ·· الجسد ·· تبدو الأنفاس ثقيلة ·· ثقيلة·· يتحول القلب الى كتلة من الرصاص .. رموش سيف تتعانق .. هذه المرأة جميلة ·· لكن الزهد هو الاحســاس الذى أورثه موت الأم ·· وما زال هنــاك خيط يشد ســيف اليها ·· الفهم ·· الارهاق ·· ليليان تحتضن سيف ·· تغسل له دموعه·· القبلات·· البكاء .. الجسد .. الطفل الناعم .. ساخنة هى الحياة .. الشفاه تستطيع أن تعبر عن نفسها فى أحضان ليليان ·· الحزن الذاهل المشدوه ·· كل شيء فى ليليان أصبح قديما ·· لكن الجديد فيها هو أنها مازالت تعطى ·· مازالت تملك عطاء ·· هــذا الجديد الدائم ·· الذى لا يخبو ·· القلب كتلة من الرصــاص ·· الأقدام كتل من الرصاص · الشوارع عمياء عن الحزن ·· الضحك لاهثا على بعض الافواه ·· الحرية ·· الموت ·· الراحة ·· الحنان ·· الحزن · التعبير ·· جوجان ·· فان جوخ ·· سوراه ·· العــالم الذى يخبو ·· العالم الذى يولد · هل تسافر ياسيف للمسابقة·· هذا ميعــادها ؟·· هل هى مسابقة جادة ؟ أم ان الناجحين قد تم اعدادهم قبل أن تتم المسابقة .. المهم أن تتحدى وليس المهم أن تنتصر · الصراع ضد المجهول · ضد الأعلى ·· لحظة أداء الامتحان قد يهزمك المجهول فيها ياسيف ·· لايهم ·· المهم أن تعرف لأسلوب تعامل المجهول ·· الاحساس مجنون بعد موت الأم ·· الذهول ·· العيون سوداء ·· الشارع أبيض ·· النهــار أصفر ·· لا بد من

الموسيقى ٠٠ «هندل»٠ «باخ» ٠ هذان الألمانيان٠٠ «باخ» بداية القرن الثامن عشر ٠٠ طارد باخ «الفوجه» هـذه الكلمة فى الموسيقى ٠٠ معناها الحرفى ٠٠ المطاردة ٠٠ هى كيف تدخل الآله وراء الآله ٠٠ كيف يتم بنـــاء معمار الأنغام ٠٠ حاول خلال البناء الموسيقى أن يبتعد عن التعقيد ٠٠ عازف أرغن أحب الله ٠٠ وضع الله فى أصابعه أسرار بناء الموسيقى ٠٠ عازف أرغن لا تحـدث ميه الرغبة فى لقاء السؤال الاول ٠٠ كيف خلق الله العالم ؟ خلق الله العالم كما خلقته موسيقى باخ ٠٠ كبيرا ٠٠ له صوت متسع ٠٠ متعـدد الانغام من برودة الارتفاع المعمارى ٠٠ وانحناءات أقواس البناء الباروكى فى الكنائس يولد دفء الايمان ٠٠ يندهش هـذا الرجل بأرغن مدينة ألمانية ٠٠ يعيش فى ظل تزمتها ٠٠ يقابل الها آخر غير الاله الذى تعبده تلك المدينة ٠ يكتب الموسيقى ٠٠ يحفظ أسرار الاصوات يرى الله فى أعمـــاقه ٠٠ فلم يكشف سره بالكلمات ٠٠ راح يغنى هذا الايمان دون أن يفضح وجود الرب فى أعماقه ٠٠ هاهو «الكونشرتو» الاول لباخ ٠٠ احتفال بميلاد اله صغير ٠٠ تعزفه كمان ٠٠ وثلاثة مزامير ٠٠ تشـــترك معهـــا آلات أخرى ٠٠ يكسر باخ تقـــاليد الكونشترو ٠٠ فى العـادة يتكون الكونشرتو من ثلاث حركات ٠٠ حركة أولى سريعة ٠٠ حركة أخرى بطيئة ٠٠ حركة ثالثة سريعة٠٠ الحركة ٠٠ هى مرحـــلة من مراحل العزف ٠٠ حطم باخ ذلك ٠٠ ها هو يغنى الله ٠٠ ومن يغنى الله لا طقوس له ٠٠ لا قواعد للقاء الله ٠٠ بعد موسيقى باخ ٠٠ ها هو هندل ٠٠ ألمانى آخر ٠٠ تاه فى أوربا ٠٠ وقف على حافة ايطاليا ٠٠ يكتب موسيقى الاوبرا ٠٠ الاحتفال الغنائى ٠٠ ايطاليا ٠٠ لو نجح ســـيف فى المسابقة ٠٠ سيستطيع أن يقابل هناك أكثر من أوبرا ٠٠ الاوبرا فى عصر هندل تبدو هى الطريق الى النقود ٠٠ الى المجد ٠٠ ما المانع ؟ ٠٠

المانع الآن هو كيف يقضى سيف يوم المسـابقة فى القاهرة ؟ انه لم يغادر الاسكندرية أبدا ٠٠ انقطع التفكير فى الموسيقى ليسافر

سيف بالخيال الى القاهرة ·· ومن القاهرة الى ايطاليا ·· احساس بأن المسابقة لعبة فاشلة ·· احساس بأن الأمير يوسف كمال وهم لارجل ··

الحزن مازال يعزف نفسه فى أعماق سيف وأدهم · الأم كيان كان يعطى·· لكن من يعطى الآن؟ أدهم يأخذ من الألوان·· بدأ يعبد الخيــــول ·· انه يرســـم الخيول ·· فى الحصـــــان كبرياء ·· وسيف يحـــاول مع « بول جيرالدى » أن يســـتكمل قصـــــائد الحب ·· «انها أيضا تطارد ·· بل أكثر عنفا منك فى سبيل الهدف الشامخ ·· البطل الكامن فى أعمـــاقك خرجت شباكه لتلقى أول الشباك·· كان قليل من العمر قد ضاع·· التجارب·· الاحتضان·· الشباب ·· هذا الظلم العنيف للحياة يحرك فيها الشوق الى فردوس تكون أنت فيه السيد والخـــادم ·· الحب ·· الاتحـــاد · تقدم شفتيها ·· احذر ·· لا تقـــع عيناك على عينيها ·· هناك سر ·· لا سر هنالك ·· احك الحكاية ·· احذر أن تتعلق بك واحدة ·· الى أن تجد المرأة التى لن تملها أبدا ·· انها أيضا تطارد··» ·

بول جيرالدى يحذر ·· مم يحذر ؟ ليس هناك ما يخاف منه سيف .. الأيام رذاذ رمادى .. النقود ضئيلة .. النقود لم تعد تسمع صوت الرغبة فى الزواج من ليليان ·· الحلم فى ايطاليا ·· يدخل الامل بوابة الروح ·· ماذا سيدرس هناك سيف بالضبط؟·· صديق اســـمه فهمى ·· يتعـــذب بين الرسم وبين التدريس ·· سيدخل المسابقة ·· لو نجح فهمى وسيف·· سيصحبان أدهم معهما هذا الجســـم المتوتر هـــو أدهم ·· انه يقف أمام التيل يضرب الفرشاة ··

اللون ·· انه يغنى ألوانه ·· ويذوب فى الحركة القريبة ·· البحر خلف الحصان ·· الخيل تحتـــاج الى فارس ·· يبـــدو أدهم فارسا جسورا .. ايقاع الألوان لا يخفت .. هذه الخيول تحاول أن تجرى ·· انها تجرى بالفعل ·

الشجاعة فى مواجهة السفر الى القاهرة . الدوار فى شوارع المدينة . الاسكندرية زهرة بحر .. ايقاع موسيقى .. « بيكى » يطلب الوداع .. هذا الرجل يدور حول العالم .

ـ لتدخل المسابقة ياسيف .. ولنلتق فى ايطاليا .

ايطاليا حلم . والسفر بالقطار الى القاهرة .. واندفاع الزمن هو عجلة القطار .. والريف يعود أمام سيف .. يدخل القطار .. أدهم فى وداعه .. المرة الأولى التى يتحرك سيف فيها وحده بعيداً عن أدهم .. المرة الاولى التى يسافر فيها بعيدا عن الاسكندرية... الريف .. بيتهوفن كان يعيش هنا .. فان جـوخ .. هل الامير يوسف كمال جاد فى هذه المسابقة ؟.. فهمى بجانب سيف.. القطار اندفاع نحو المستقبل والاله عندما وقف فى ساحة العالم القديم كان معه صفارة كصفارة القطار من حركة القطار يلوح الأمل ثم يختفى.. فى تصفيق الاله فى ساحة العالم القديم كان الايقاع .. ومن الايقاع جاءت الارض .. وكان على الارض بلد اسمها ايطاليـا .. وأخرى اسمها مصر .. وفى مصر كانت هنـاك مدينة اسمها الاسكندرية يسكنها شاب يبتلع الصمت كاجابة لكل الاسئلة اسمه سيف وانلى وأخوه اسمه أدهم .. وكانت هناك مسابقة فى القـاهرة ليسافر الفائز فيها الى ايطاليا .. لماذا لا تتحرك الكرة الارضية لتقلب كل السكان . ليكون سكان الاسكندرية هم سكان ايطاليا .. وسكان ايطاليا هم سكان أية مدينة أخرى .. لماذا لا تتدحرج الكرة الارضية تحت أقـدام البشر دون قطـارات .. يكفى أن يتمنى الانسان ليصل .. لكن هذا مشوار طويل .. الرغبة فى أن يعرف الانسان كل شىء .. الابيض ينفصل عن الاسود .. دمنهور .. محطة على الطريق .. كفر الزيات .. هذا النيل المتسع .. النهر الذى جاء يروى الارض الصـحراء .. القـاهرة مدينة بعيدة .. هل هناك مظاهرات ؟ المظاهرات فى كل مكان .. النور فى عيون «بيكى» وهو

يودع الاسكندرية الى ايطاليا .. والشمس تسكن خلف البحر كل مساء .. لكنها تنبع فى الصباح من الطين .. ها هى طنطا .. من المؤكد أن الشمس تنبـع من طين طنطا .. لان أرض طنطا لون الفـجر .. بنها .. ها هى بلاد البرتقـال .. الريف يلوح أمام سيف .. ماذا فى القاهرة .. مسابقة .. فهمى غارق فى الحلم .. فى ايطاليا سنستطيع أن نقيم معرضا .. ومن هنا الى باريس .. ومن باريس الى لندن .. العالم على لسان فهمى يحتـاج الى مطبعة نقود لتحقق كل الاحلام .. كأن الامير يوسف كمال سيعمل موظفا عند الفنان الفائز بالمسابقة .. اذن لماذا لا ترتج الكرة الارضية .. ليستبدل الله سكان الاسكندرية بسكان ايطاليا حتى لا يدور الانسان فى القطار من أجل المسابقة . احساس غامض بأن المسابقة شىء وهمى .. الكرة الأرضية كائن وهمى .. البشر خيال .. السماء ألوان .. العالم الذى يطل عليه سيف .. يطل عليه لأول مرة .

القاهرة . باب الحديد . ارهاق . انهـاك . شمس المدينة العارية .. ضجيج الشوارع .

– أين شارع خلاط ..

– فى شبرا ..

الطريق الى شبرا تراب .. احتناق كسول .. شـبرا تبدو كامرأة فى الخمسين مهدلة لكنها ذات ضجيج .. الباعة . اتساع مسكوب الروح .. عربات الحنطور .. تتهدل .. الخيل فى تلك المدينة مرهقـة .. التراب أكثر من البشر . شىء مذهول يدور فى هذه الشمس الزاعقة .. لم ينم سيف ليله .. سهر حتى الصباح لحضور الامتحان . القطار .. فهمى بجانب سيف .. القاهرة مدينة عارية الروح .. ها هو شارع خلاط .. مسـابقة الامـير يوسف كمال .. مبنى متسع .. الصراع ضد المجهول .. اذا هزم المجهول

سيف فماذا يفعل ؟٠٠ لا يهم يصبح متأكدا من أسلوب تعامل المجهول ٠ قاعة الامتحان يدخلها ضوء ساطع٠ سيف يبدو كسولا٠٠ مادة الامتحان هي رسم بالفحم لتمثال نصفى لموليير ٠٠ ما هذا ؟ السفر من الاسكندرية للقاهرة لنقل تمثال على الورق وبالفحم ٠٠ يجب أن يكتم سيف هذا الغضب ٠٠ انتهى سيف من الرسم بعد نصف ساعة ٠ أصابعه تعرف الفحم ٠٠ تجيد الحياة على الورق٠٠ خلق الاله الانسان ليميز الابيض عن الاسود لأن لون العالم رمادى٠ لكن سيف الآن يمزج بين الاسود والابيض ٠٠ يرسم بالفحم يعيد خلق موليير مرة أخرى يقتحم باصبع الفحم خيال الرجل الذى أضحك الناس موليير .. هذا الرجل القديم .. منقول الآن على الورق.. الضوء ٠٠ الظل ٠٠ التناسب ٠٠ الانسياب ٠٠ التعبير عن النفس٠ الانتهاء بعد ثلاثين دقيقة ٠٠ ليس فى الأمر براعة ٠٠ انه مجرد «اسكتش» ٠٠ «بريفال» اسم أحد المشرفين على الامتحان يقف أمام سيف ٠

ـ انت لست فى حاجة الى أن تتعلم فى ايطاليا ٠٠ مدرستك هنا ٠

أشار بريفال الى قلب سيف ٠ احساس بالراحة ٠ لم يعد للقاهرة معنى ٠٠ انتهت المسابقة ٠ العودة الى الاسكندرية ٠٠٠ ليليان ٠ أدهم ٠ الاحساس بأن العالم عاد نقيا ٠٠ الاسكندرية مدينة تعرف الهدوء ٠٠ شمسها تنبع من طنطا كل يوم فى الفجر ٠٠ الشمس تنكسر فى الغروب ٠٠ النوم ٠٠ الصحو ٠٠ اسبوع ٠٠ أدهم فرحان ٠٠ أرسلوا خطابا ٠٠سيف الأول فى مسابقة الأمير ٠٠ فهمى الثانى .. ايطاليا .. هل هناك شارع لنبى الله دانيال الملون ؟ ٠

الفصل الثامن

« دون كيوشوت » له
حصان رائع .. تهب
الرياح على طواحين الهواء
.. الطواحين تقوى ..
لكن دون كيوشوت ينتصر
لأن حصانه هو الرغبة .
ويخوض به غابات
الأحلام ..

ايطاليا أمل يرقص في القلب . هنـاك يعيش فن دراسـة معمار الألوان .. الكنائس .. بناء قديم .. بناء جديد .. ألوان .. مايكل انجلو .. رافيلو . بيكى .. ليليان .. خليط ساخن من البشر .. اندفعوا فى حياة سيف .. جـاءوا من ايطاليا . محمد سيف الدين وانلى .. الفائز الأول فى مسابقة السفر الى ايطاليا . مسابقة الأمير يوسف كمـال .. « فردى » أيضا من ايطاليا .. ايطاليا عالم من الارتجاج المرتب .. غرقت بذرة من طوب « القرميد » وسط غابة من الأنهار الصـغيرة لتنبت أخيرا حذاء أنثويا على الخريطة وأطلس الجغرافيا القديم يقول ان ايطاليا حذاء .. وسيف يراها ساقا انثوية ترقص فى مياه البحر .. أوربا تمد ساقا واحدة من ساقيها وسط مياه البحر . الأمل مستريح الكسل فى قلب سيف . يضىء أحيانا .. يخفت أحيانا . شوق الى اقتحام الأيام القادمة .. شوق الى أن تدور الشمس من طين طنطا الى أن تنكسر فى آخر البحر أكثر من مرة .. أكثر من شهر .. لماذا لا تأتى الأيام التى تصبح فيها صور الكتب واقعا .. ايطاليا حلم .. هناك « فردى » .. هذا الرجل الغريب كل الناس غرباء .. لكنه منقوش على صورة معلقة فى حجرة ليليان .. وجه هذا الرجل يتكرمش فى رأس سيف .. تنمو فى جبهته دار أوبرا .. ونهر من النـاس الذين يحفرون فى تراب بعيد .. قناة السويس .. أوبرا عايدة .. مات زحمة من النـاس .. الشمس .. العرق . الجوع . الموسيقى .. أوجينى المرآة .. الخديوى اسماعيل

ظل الرجل .. الحان سعيدة .. تلخيص الموت .. عايدة ابنة امبراطور الحبشة . أسيرة قائد جيش مصرى . رادميس . رادميس طويل كالحلم .. عريض كالرحمة . عيونه رأت الموت . عيونه أصبحت الحياة .. أنفاسه عطر اغراء . عايدة ابنة امبراطور . الشمس سوداء في بشرتها .. الضوء ملتهب في أحضانها .. لا احد يقول لها «لا» .. ليس هناك من يهزم فيها روح الرغبة فى الكسل . ابنة امبراطور . الفرقة الايطالية تقدم تلك الأوبرا .. الفرقة جاءت الاسكندرية .. هاهى ايطاليا تأتى اليك يا سيف .. فى مدينتك .. لكن سيف يريد أن يذهب الى ايطاليا .. أوبرا عايدة ابنة امبراطور .. « فردى » معلق فى حجرة ليليان . الآن «فردى» يخرج من الاطار .. يتكسر جسدا .. يدوب فى أنغام أوبرا عايدة .. الدم موسيقى .. العواجيز أنغام .. الخير من بطن الشر .. الشر امرأة حامل بالباطل لكنها تلد الخير .. ارهاق الدم فى قناة السويس سافر الى ايطاليا .. ونسج « فردى » أنغام حب عايدة « لرادميس » . عايدة تلمع بالحب .. وهى أسيرة رادميس .. القائد .. الأسيرة ابنة امبراطور تعمل فى القصر وصيفة لأميرة مصرية .. والعيون تعرف الهوى .. ترتجف دقات قلبها بين الدفء والخوف . بين الحاجة والتردد . دفء العيون لأنها ترى رادميس .. والخوف فى قلبها من القوة .. القوة تدفع أى قائد الى الموت . انها تحتاج « رادميس » وتكره الجيش الذى أسرها .. ها هو الحب يعلن بداية الانتصار . لقاء . حب . احتضان . اللقاء يزرع الحلم فى الأمل . وأمل عايدة يرقص على المسرح . أمل له رائحة البنفسج ولون الغروب . هذه الموسيقى الراقصة قادرة على أن توقف حزن أى اله .. وتتكسر رائحة السر . الحب يبوح دائما بنفسه . السر يصبح مأساة . القائد يحب ابنة العدو . يجب أن يموت الاثنان .

لماذا تلاحق اللعنة الحب . الموت هو آخر الأشياء كافة . رادميس يموت . عايدة تموت .. الحزن نهاية هذا الأمل . ما جاء من الموت يذهب الى الموت .. حتى « فردى » مات . الصباح .. متى يسافر سيف ؟ ليليان تسال . لا أحد يعرف ميعاد سفر محمد سيف الدين وانلى الى ايطاليا . لا مفر من أن يطارد سيف الحلم بالسفر .. يركب القطار الى القاهرة . القاهرة هذا الجو العارى مرة أخرى . سيف يعشق هذه المدينة . الاسكندرية . نوع من الارتباط الذى يشد القلب الى بطن الكرة الأرضية . الحبل الذى لا يراه أحد ويراه سيف يمتد ليشمل القاهرة . القطار . دمنهور . كفر الزيات . طنطا . بنها . مصر . شبرا . البعثة . الشمس الجافة . الجفاف . أصابع غريبة تنشب أظافرها فى العنق . الدوار . ليس هناك مفر . الأحلام مصعوقة بأن الأمير يوسف كمال اختار آخرين . التركى لعب بأعصاب السذج . القطار هارب من القاهرة . الشمس الجافة . المساحات الباهتة اللون . الضحك نوع من اصطكاك الحزن بالألم بالحلم المكسور .. الذى سلفر قريب لأحدهم ..

قريب من أنت يا سيف ؟

قريب جل بعيد اسمه وانلى .. وآخر اسمه الداغستانى . « والداية» اسمها صالحة أفندى .. وشبح من الألوان يرتجف فى داخلك . ولتكن الضحكة عارية من الحزن . لن يسافر سيف . ليليان سجن مستمر . دفء عارم . احتضان السجن . الرغبة فى الهرب من ضجيج هذا الفشل القدرى يا نبى الله دانيال .. لم يستطع الأمير يوسف كمال أن يمسك الكرة الأرضية بيديه .. ليهزها .. فيسافر سيف الى الحذاء الأوربى ايطاليا .. الكرة الأرضية مازالت تزدهر بالدوار العادى . لا تمسح ارهاق البراءة فى قلب سيف . عيون سيف على قماش التيل .. والتيل يشرب زيت الكتان .. ووحل الفشل يملأ الطريق . وآخر الحلم مستقبل ما .. وليليان فرحة بعدم سفر

سيف ‥ فرح يختلط بضيق غير محدد ٠ بشرتها تشع انسجاما ٠ كأن الضيق والفرح سينجبان طفلا من بشرتها ٠ يقف فى ساحة حلم هذا العجوز الذى له قلب طفل وعقل اله وملابس ســوداء بجلال غير حزين وذقن بيضاء من التفاؤل ٠ صديق كل البشر ٠ اسمه القدر ٠ اسمه التاريخ ٠ اسمه الأمل ‥ سيف لا يعرف له اسما ‥ يراه شكلا ‥ يهمس لسيف بأن يذوب فى الألوان ‥ أن تذيبه الألوان لا داعى أن تمر لحظة واحدة دون أن يرى اللون الخفــاق فى عيونه ‥ أن تكون للألوان حيــاة ٠ عيون ليليان تضىء ببريق الحــلم أمام ســيف ‥ لون الانتصار ٠ الأخضر يختلط بالأزرق ‥ يذوب فى الرمادى ‥ ينبع من اطار أسود ‥ اللون الجديد ‥ عيون سيف ترى اللون القوى الريان القادر على العطاء ‥ لو جاء اللون على اللوحة لمات خبث الأمير يوسف كمال ٠ لكن الحقد عجز صغير ٠ والعجز الصغير يتهشم مع ابتسامة سيف « ماذا تفعل يا أدهم ؟ » ‥ « ماذا تفعل يا فهمى ؟ » ‥ ويتحمس فهمى ‥ فهمى أنبوبة حماس تملأ الدنيا حركة ‥ « سنقيم مرسما خاصا بنا » الطريق الى نبى الله دانيال ‥ الذقن ‥ الملابس ‥ التــاريخ ‥ الكتب ‥ التيل ‥ بيكى ‥ دقات على باب هــذا الايطالى ‥ كلمات على فم هذا الايطالى الطيب « أنتم من بلد الفن فيه تحت حذاء الأغبياء والأغبياء هم الأغنياء‥ الايطالى يشترى لوحات من الفنان الايطالى‥ الفرنسى يشترى لوحات من الفنان الفرنسى ‥ لكن التركى المصرى ‥ أو المصرى التركى ‥ لا يشترى الا من الخواجات ‥ لوحة أى أجنبى تباع فى مصر بسهولة ‥ ولوحة أى مصرى ليس لها الا بيت صاحبها ‥ » ويقول فهمى ‥ اذن لن يكون مرسما فقط ‥ سنجعله معهدا ‥ أين الشقة الجديدة ؟ ‥ الثلاثة يرسمون وجه جوجان هذا المتمرد الحبيب الشرس‥ ليليان تضحك‥ جوجان ‥ جوجان الى الأبد‥ ويصمت سيف‥ الصمت يرحل به الى

.. جوجان يرغب فى الهدوء وعدم التعامل مع النقود .. ورؤية شمس صديقه فان جوخ لا يجرحها الضباب .. لكن أوربا تجرى وراءه .. وأوربا بالنسبة لجوجان هى أمير يوسف كمال من نوع آخر .. الأمير يوسف كمال كان يظهر لجوجان فى شكل المبشرين .. هؤلاء الذين يكرهون الحياة .. تخلص جوجان من المبشرين بأن نحت تمثالين من خشب الورد .. واحد لفتاة عارية تمسك بلافتة « كوخ ملذات الجسد » .. والتمثال الآخر لقسيس له ملامح شيطان وقرنان .. سيف يضحك .. يقول للأمير يوسف كمال البعيد « ولو » .. الاندفاع الآن نحو شارع طوسون .. اسم أحد أقرباء يوسف كمال .. صديق جديد هو الذى عثر على هذا البيت .. محمد بيومي .. أفكار هذا الانسان أسرع من كلماته .. البدايات فى حياته كثيرة وبلا نهايات .. المكان حجرة كبيرة .. ها هو الأمير يوسف كمال يكسب الجحيم .. سيف وأدهم عثرا على بداية المرسم الخاص .. محمد بيومى يقرر فجأة أن يكون رساما .. يضحك الجميع .. محمد بيومى أحد الذين يختارون كل المهن .. لأنه لا مكان له الا فى البداية دائما .. البداية التى لا نهاية لها .. القلب منزل مهجور هادىء .. يبحث عن نواة صدق متجدد على قماش اللوحة .. كيف يسافر الرسام الى قلب « بتهوفن » .. يحمل اصرار « تولوز لوتريك » .. تولوز الرسام القزم الذى جعل باريس تقف لحظة أمام عيونها .. كانت باريس ترى فى عيونها العمى .. علمها هذا القصير المهشم العظام أن ترى نفسها فى رقصة « الكاكان » . الكونت هنرى تولوز لوتريك . رجل البلاط فى حلم أبيه .. طفل الحياة فى عيون أمه .. المشدوه أمام الموت والشوق الى الحركة .. المكسور العظام .. ماذا يحوى الأمل بالنسبة لهذا الرجل ؟ .. والأمل لا يخبو من حياة رجل يرسم . يلعب بالألوان .. الشيطان

بخرج من أصبع الباستيل أحيانا .. يرتدى الشيطان أنغام الرقص ·· ليصعد على لوحات الكونت هنرى تولوزلوتريك ·· لكن هذا المكسور العظام ·· يكسر نظام الحياة ·· الليل يسافره في صحو الخمر ·· والنهار يسافره في صحو الموت ·· ينزل في صباح السابعة ليدخل غرفة العمليات · انها مكان يعرفه · دخله قبل ذلك · رأى الأطباء تلعب بعظامه ·· ورأى الأمل يخبو · لن يكون فارسا · مات الفارس تولوزلوتريك ·· عندما انكسرت ساقاه ·· وولد الألم تولوزلوتريك على صفحات « الاسكتشات » ·· حجرة العمليات ·· الرغبة فى أن يدق الازعاج عيون الانسان ليرى حرف الحياة ·· أهم ما فى الحياة هو الحركة · تولوزلوتريك يخلق لنفسه سيقانا جديدة ·· سيقانه الجديدة في عيونه ·· وعيونه تعبر غرفة العمليات وتجرى الى محكمة باريس ليرى لحظة الخوف ·· ثم الى ساحة الاعدام · الانسان بعيد عن الكذب أثناء لحظة الألم · والألم يهبط الى المعدة مع كأس الصحو ·· الخمر هى الصحو من أعماق لوتريك ، الرقص ·· الحركة ·· عيون لوتريك هى التى ترقص ·· عيونه تتحسس الأجساد ·· تجرى الى المسرح ·· هناك تسبق العين الحركة ·· وتسبق الذراع فى طريق الأعماق ويلتقط « لوتريك » عظاما جديدة لنفسه·· عظامه خطوطه الأكثر مرارة·· الأعرج،هذاالشاب يلتهم الحزن والتعب والارهاق والتحدى وعناق العاهرات ·· حيث الصدق وجه الحقيقة الآخر ·· حيث يصبح وجه المرأة أخضر ·· العرى محاولة أن يلخص فنان الحياة ويشرحها ·· وسيف وأدهم وفهمي ·· محاولات ثلاث للتعبير عن الحياة وسط عيون خرساء ·· عيون أصابها الصمم فلم تعد تسمع حوار الألوان الجديدة ·· وموسيقى بتهوفن عزاء ·· ولا أحد يدرى من أين يأتى كل هذا الفيضان من الفن ·· كتب ·· لوحات ·· موسيقى ·· كل ذلك دون نقود ·· بتهوفن يطل من البيك أب · موسيقى هذا الرجل تنغرس فى العقل لتزرع أزهار الحب فى الرأس ·· انه يحكى لعنته ··

ويحاول أن يقول لكل من يسمع « هنــا استطاع انســان أن يقول للقرن التاسع عشر ٠٠ آسف ٠٠ لست المكان الصالح لاقامة الانسان ٠٠ لودفيج فان بيتهوفن ٠٠ فى الأدب شكسبير ٠٠ فى الرسـم مايكل انجلو ٠٠ سيزان ٠٠ جوجان ٠٠ فى الموسيقى يقف بتهوفن ليؤكد أن الموسيقى شيء آخر غير ماعزف قبله ٠ وغير ماعزف بعده ٠٠ حديثه ممتلىء بالكبرياء ٠٠ أعماق هذا الفنان ٠٠ يتعثر لســانه فى الكلمات ٠٠ انه غير موجود مع هؤلاء الآخرين الذين يحيطون بالفنان دائما ٠٠ يغوص فى عالم الصراع ليلتقط صراعه الخاص مع القدر ٠ المجنون ٠٠ هو بداية هذا القرن التاسع عشر بالنسبة لهذا الفنان ٠٠ فقد أذنيه ٠ تعطلت أذناه عن التقاط الصوت العادى ٠٠ من المؤكد أنه كان يسمع بهما ما يكتب من أعمال موسيقية ٠٠ روحه العذراء تقتحم أرض التجارب ٠٠ النساء يلتفتن الى اللحظة ٠٠ موسيقى ٠٠ فنان ٠٠ فقير ٠٠ الحيــاة القلقة ٠٠ اذن لا عواطف هناك لانســان يحبس حياته فى آلات موسيقية ٠٠ أنهار الهزيمة تسير فى مجرى قلب بيتهوفن ٠ لكن قرار الحياة لم يخفت ٠٠ انه يريد أن يغسل اذن الدنيا من أقذار العــادية ٠ القرن التاســع عشر ٠٠ يبتدأ بيتهوفن فى الثلاثين ٠٠من يسمع الموسيقىهم هؤلاء الأغنياء٠٠أغنياء نهاية القرن الثامن عشر والتاسع عشر هم النبلاء أصحاب الأراضى التى ترتوى بجوع آخرين ٠٠ ها هو نابليون أيضا يسقط ٠٠ احتقار عام للأغنياء يدور فى أعماق هذا الفنان بيتهوفن ٠٠ انه يريد أن يفجر المستقبل فى لحظة اهانة الواقع ٠ وواقع حياته يرقد تحت حــذاء النقود ٠ الحاجة الى الحب ٠ الحاجة الى أبسط حقوق من يعيش ٠٠ « البطل » فى سمفونيته يسقط٠٠ورفض الواقع ينمو فى السمفونية الخامسة ٠ حيث يقف الانسان شامخا فى مواجهة القدر ٠٠ يستسلم له ٠٠ ليذوب فى عالم من الارتيــــاح فى السمفونية السادسة ٠٠ السمفونية الريفية ٠٠ احتضان أعماق الانسان ٠٠ أن ننكس الانسان

فى عشــق الخارج ·· عنــدما يكون الخارج لونا أخضر ·· الألوان الكورالية حيث تنقلب قواعد الموسيقى ·· الأنغام خلقها الانســان لتسد عجز صوت الانسان عن التعبير ·· ها هو صوت الانسان يتقدم فى الكوراليه ·· ليرتفع بالكلمة الى الأعلى ·· الشوق المستحيل ·· يغمس أذنيه فى أعماق البشرية ليخلو بالنغم ·· حب يبحث لنفسه عن أمــل ·· والأمل يتخمر من كتابات موســيقية وما أن تصــبح الموسيقى على الورق ·· يعزفها آخرون ·· هناك سيل الألوان ·· يطارد بيتهوفن نفسه ·· وسيف ينظر الى ليليان « هل كنت تحبين بيتهوفن لو كان قد عاش حتى الآن ؟ » ويضحك نهر التوسل الى الطفل

« كنت أعبده » لو عاش حتى الآن لصار عجوزا ·· لكن التى تعرف الحب تستطيع أن تعطيه ان «ايزادوردنكان » الراقصة ·· رأت « رودان » ·· وهو فى السبعين وتمنت أن تعطيه نفسها حتى تنجب « انسان الخلود » ··

لا أحد يستطيع أن يتحمل هذاالتوسل الصامت من أعماق ليليان ·· تريد أن تلد انسا آخر ·· أين يعيش ·· المرسم الذى يعيش فيه الجميع ·· محتوياته يملكها محمد بيومى ·· الطبيب ·· صاحب البدايات التى لا نهايات لها ·· خرج الجميع فى الصباح الى العمل ·· عادوا الى المرسم لم يجدوا شيئا سوى رسالة تسيل فى موسيقى شاعر الموسيقى بيتهوفن ·· ها هو يرى حدود الأنغام لا تتحمل كل ما يريد أن يقول ·· ها هو يصل الى السمفونية من محمد بيومى انه باع كل شىء ·· لأنه غير صالح للمرسم ·· وبين الغيظ والعجز لا بد من الضحك . . مازالت هناك لوحات وكتب ·· وموسيقى ·· وندوات الاسكندرية تضم الجميع ·· الاسكندرية ترتدى ثياب الصيف ·· عارية ·· صفراء بشمس فان جوخ ·· بحركة تولوز لوتريك ·· بليل ريف بيتهوفن ·· تهب عليها أزهار البحر ·· النسمات ·· شوقى أمير الشعراء يجلس فى النــدوات

صامت ·· لا يتكلم · يزين بحضوره الأماكن ·· ابن قصر لم يتعود أن يخرج من خياله ليرى كل الواقع ·· هناك واقع آخر يعيش فيه بالصمت ·· أما الشـاعر الآخر ·· أحمد زكى أبو شادى ·· هذا الرومانسى الذى يخلع حذاءه لينفض منه تراب الحياة كل يوم ·· لأن الحياة لا تريد أن تعطى كل الآخرين ·· يقف كل لحظة على حافة الدموع والضحك ·· أحمد زكى أبو شادى طفل كبير ·· كلما دخل المرسم انحنى هامسا « اسجدوا فنحن ندخل هيكلا مقدسا للفن ·· واللوحات تتراكم ·· اللوحات كثيرة ·· والرسم هو طريقة التعبير عن النفس كل يوم ·· الذى يراه سيف يتغير كل يوم ·· وما يراه أدهم ينقلب وجهه كل لحظة ·· وفانوس سحرى يسكن فى رأس كليهما ·· الفانوس السحرى يحكى للأميرة النائمة فى جسد طائر محبوس فى قفص ·· والشاطر حسن يغنى للأميرة ·· رغم أنه محبوس فى جسد طائر آخر ·· والطائر الآخر محبوس أيضا فى قفص ·· والقدر يضع قفص الأميرة الثانى أمام قفص الشاطر حسن ·· يغنى الشاطر حسن ·· يلون ريشه ·· طائر روح الأميرة لا يصحو · كل يوم تتغير الوان ريش طائر الشاطر حسن ·· كل يوم تتغير أنغام طائر الشاطر حسن ·· لا أحد يوقظ طائر الأميرة ·· لا أحد يستطيع أن يفك أسر الطائرين · ولا أحد يستطيع أن يمنع طائر الشاطر حسن من أن يغنى أو يغير ألوانه ·· هذا هو الجحيم البسيط الذى لا يراه أحد ·· ويعيشه سيف وأدهم دون أن يقول أحدهما آه ·· ليس هناك « آه » للألم ·· لان اللذة هى الوجه الآخر لذلك الألم · فى الرأس هذا الفانوس السحرى ·· ومافى الخارج ضوء باهت ·· ضوء كل الأيام أصبح شاحبا لأن الذين ينظرون فى هـذا الخارج لايقفون عند لوحات سيف وأدهم · لاتدهشهم مرايا الخيال العطشان الى عيون الآخرين · العيون اليقظة ·· وفى آخر الفانوس السحرى توجد تلك المرايا ·· هذه المرايا التى تحكى ألوانا جديدة ·· اشكال

تنمو وتعيش وتبهج وتحزن ·· جماجم ترتدى التاريخ والموسيقى لحمها الحى طازج من الألوان ·· وتتخذ لنفسها رهبة العذارى ·· وأعماق العذارى من التيل السكران بزيت الكتان ·· وأعماق العذارى حبر أسود على ورق أبيض ·· واللوحات تحكى ·· تحكى ·· لا تفرغ تلك العذارى من الحكايات ·· نوع من الصمت المرتجف ببهجة الخجل وغموض الحزن وألم الشوق ومستحيلات الأحلام · وليست هناك لحظات مستريحة فى حياة سيف وأدهم ·· فالليل تأكله الألوان والنهار يأكله العمل · والظهر يحتضن الموسيقى والخارج هو فهمى ورمزى ·· وليليان ·· وآخرين ·· البعض يفهم حوار اللوحات العذارى والبعض لا يتوقف عند الفهم · وليست هناك لحظة واحدة للاحساس بالهزيمة ·· هذا الشبح الذى يرقد فى القلب « لم يشتر أحد لوحة واحدة حتى الآن » ·· العيون تنظر الى الزمن الذى يتآكل · العام ١٩٣٤ ·· الأمر بين سيف والفن ليس علاقة بين الفن كطرف ·· وسيف أو أدهم كطرف آخر ·· انه علاقة بين سيف وأدهم والفن ·· كطرف أول ·· وبين المجتمع كطرف ثان ·· ذلك أن كافة العقود توقع بين طرفين·· ولابد لأى عقد من شروط ·· وشروط سيف وأدهم فى الحياة أصبحت واضحة المعالم ·· لابد أن يصحو حارس أقفاص طائر الأميرة النائمة ·· وأن يفتح قفص طائر الشاطر حسن ·· وأن يدخل الطائران عالم الحرية ·· لابد أن يصدق الناس الوهم ·· اللون ·· هذا الاطار الذى تكسر من خيال أحد الأخوين ·· فاصبح ألوانا ·· اللوحات ·· تخرج الاسكندرية على سيف وأدهم بخبر ·· الخبر يوقظ بخار الهزيمة المحبوس فى قمقم الأعماق ·· تم تكوين جماعة فنية ·· باسم جماعة « الاتيلية » ليس فيهم مصرى ·· اللوحات تخرج من المرسم الى أول معرض · الخوف · اللا خوف ·· ليست الشجاعة ·· ليست اللامبالاة ·· امتحان الثقة الأول ·· اللوحات تعلق بجانب لوحات

الأجانب ·· الوجوه تسافر الى بحار العرق ·· لكن حبات العرق لا تسيل على سطح الجلد ·· حبات العرق تسيل من الداخل · الوجوه التى فى جماعة « الاتيليه » تحاول أن تكون وجوها صديقة ·· لكن بين كل من يرسم ألوانا وآخر ·· نوع من التحدى ·· كل واحـد يصطك بالآخر ·· كل واحد يرى عيوب الآخر ·· كان على سيف أن يحفر بفأس الابتسامة الهادئة أعماق الآخرين ·· الأوربيين ·· كان على أدهم أن يحاول أن يسمع ·· كان فهمي ينظر الى اللوحات المعلقة ولا يصدق نفسه ·· لكن اغراق الاعجاب يفيض ·· يغطى التحدى .. ليس اعجابا حقيقيا .. انه الاعجاب المزور .. يتقدم أحد المشترين ناحية لوحة لسيف ·· يقف الرجل لحظة ·· اللحظة تتسع ·· الألوان تنبع من سفينة العشق ·· عيون الرجل يطل منها الحب ·· فى اللوحة فكرة ·· فى الفكرة ألوان خاصة ·· « هذا متوحش جديد» ·· يعرف أصول رسوم القدماء» ··· هيا ·· سينهار بخار الهزيمة ·· لن يطفو الى الخارج ·· ها هى لوحة ستباع ·· يهمس الرجل الى أحد الأجانب ·· «أريد أن أشترى لوحة من هذا الشاب» ·· وكانت اجابة الرسام الآخر « ان سيف لا يبيع لوحاته ·· تقدم الرسام ناحيـة سيف ·· بعـد أن دبر المؤامرة ·· وانهال اعجاب الرسام على سيف ··

أكل الليل النهار ·· وهضـم النـهار الليل وعـرف سيف المسـألة ·· الغضب ·· غير محتمل أن تظـل شرايين الأيام مذهولة بتراكم اللوحات ·· أنهـار هزيمة تراكم اللوحات يصبح هديرا ·· بعض الذين يرسمون الألوان أوغاد ·· أجانب ·· صرخ سيف ·· صرخ أدهم ·· فكر فهمى فى قيام معركة بالأيدى ·· نار الكلمات تصـفع الثلاثة بالشـكليات » سيف وأدهم وفهمى ليسوا أعضاء فى جماعة « الايتليه » ·· وقال أدهم ·· « اذن ننضم الى هذه الجماعة » ·· وانحنى الشيوخ ·· كل واحد منهم يحاول أن

يجد عقبة فى طريق سيف وأدهم وفهمى .. لكن الانحناء لمكر العواجيز مسألة ليست صعبة .. بخار الهزيمة يمكن أن يصمت فى الأعماق .. قال أحد العواجيز « أنتم صغار السن على الفن » .. اختلط الضيق بالضحك .. ليس للفن عمر .. أين هى القوانين التى تقول فلان فنان لأن سنه بلغ العام الثلاثين .. أو الخمسين .. نظر سيف للرجل .. كلمات الرجل تبدو على فمه كاذبة .. يتعرى الكذب .. يضحك سيف وأدهم وفهمى .. تجاعيد الرجل غريبة .. تبدو منتدبة من شيطان لا يجيد حرفته .. لا يجيد الشر .. يصمت .. ضحك سيف فجأة يعلو الغضب عارما .. ما الذى حدث بالضبط ؟ كان سيف يضحك منذ لحظة . الانتقال الفورى الى الغضب لم يكن متوقعا .. مبنى الاتيليه يبدو كمدرسة . طرقه تطل عليها أبواب الحجرات .. يحتل كل أجنبى حجرة .. يستعملها كمرسم خاص .. أطلت رءوس الجميع من خلف الأبواب على صراخ سيف .. الغضب يزداد . رؤوس الأجانب تبدو كالفئران .. اجتمع مجلس ادارة جماعة الاتيليه .. اتخذ قرارا بقبول سيف وأدهم وفهمى كأعضاء عاملين بالجماعة .. ضحك سيف مرة أخرى .. متى كان الغضب هو المقياس الذى يعرف به الفنان من غيره « لا » .. واذا كان المعيار الذى تقيس به جماعة الاتيليه هو سن الأربعين .. فالفن عند هذه الجماعة ليس هو أن تخطو فوق النور لتمنح الظل للارهاق وتغطى العيون الساهمة بنقاء الحياة .. الفن شىء آخر .. خرج سيف وأدهم وفهمى وكل منهم يحمل فى قلبه انتصارا صغيرا .. تاج اكتشاف التدليس .. وبدأت لعبة اكتشاف عدم قدرة جماعة الاتيليه على التمييز .. بدأت هذه اللعبة مثيرة .. حديث الصباح وضحكات المساء .. جماعة الاتيليه ترى نفسها فى هذا الموقف .. يجب أن تقدم شيئا تغسل نفسها به من هذا الحادث .. يأتى الكاذب العجوز .. الابتسامة على فمه .. الابتسامة سلم اهانة يصعد به

الى الثلاثة ·· سيف ·· أدهم ·· فهمى ·· يدعى الثلاثة الى معرض تقيمه جماعة الاتيليه ·· الثلاثة يرفضون ·· تسقط ابتسامة الرجل منه وبدت الصحف تلاحظ نمو الثلاثة ·· أهم الصحف التى تهتم بالفن هى الصحف الأجنبية ·· « البروجريه ايجبسيان » ·· الناقد الفنى لهذه المجلة شاب ·· يرى ·· يفهم ·· يحس ·· يتحمس ·· الحماس يجعل حبر القلم ينطق بالرغبة فى التعبير · وحبر الرغبة هو الاعجاب · عدة مقالات ·· هذا الجيل المصرى الشاب يعرف كيف يعبر عن نفسه » ·· هناك رؤيا جديدة للبحر ·· وجرأة جديدة فى رسم العالم ·· هناك عالم جديد من لوحات هؤلاء الشبان » ·· وتتفتح العيون على هذه المقالات ·· يبدأ الزوار ·· أجانب ·· كبار ·· قراء لغة فرنسية ·· جرائد أجنبية ·· الموسم يزدحم بالزوار ·· اعجاب فى اعجاب ·· لكن الاعجاب بلا ثمن ·· بلا قدرة على التعبير ·· ليس له رصيد من النقود ·· الحلم يولد كل ليلة ·· سيشترى أحد لوحة ·· لكن اللوحات تتراكم ·· ولا أحد يشترى ·· والحلم يبقى دائما كل ليلة جديدا ·· ومقالات الشاب المتحمس ترى ·· تحس ·· تفهم ·· وحبر الاعجاب يعبر عن نفسه فى المقالات ·· لكن سطور الجريدة لا تستطيع أن تتحمل مقالب أعضاء جماعة الاتيليه ·· ارتدى الخبث قناع ابتسامة · انحنت الابتسامة أمام رئيس تحرير « البروجريه ايجبسيان » ·· قالت الابتسامة الخبيثة ان المحرر الشاب يأخذ من سيف وأدهم وفهمى نقودا ·· لم يكلف رئيس التحرير نفسه متاعب السؤال الساذج ·· من أين يأتى هؤلاء بنقود لناقد ؟ ·· لمح رئيس التحرير شيئا آخر ·· هذا شاب متحمس لا يعرف أن اعلانات الجريدة فى يد الأجانب ·· وصمت الاعجاب المكتوب ·· لكن الزوار مازالوا يأتون · والابتسامات تعلو وجوه سيف وأدهم وفهمى ·· الابتسامات تبدو مرهقة ·· خلفها ممرات حالكة السواد ·· دهاليز تطلب النقود ·· النقود للألوان ·

للوحات ·· لكل شيء ·· واحتضان ليليان هو اطفاء القمر الأسود ·· بخار الهزيمة يحتضن الجسد الأبيض ·· الشارع يحكي عن موت سعد زغلول ·· سعد زغلول جسد يحمل جثة الأمل ·· الأمل الميت في الوجوه ·· يقال ان هناك مفاوضات ·· مسألة لا تهم سيف ·· أو تهمه ·· يجب أن يظل بعيدا ·· لتنحنى كل المفاوضات أمام الفشل ·· وليحدث أى شيء ·· لكن ليوجد فى الألوان ·· ليليان ترى بخار الهزيمة يصبح احتضانا ·· الاحتضان يفتر منه احساس الأمل فى طفل ·· الصداقة هى ما بقى لها عند سيف ·· تجفف الدموع ·· تكتم الغضب ·· كل شيء يبدو أسود الوجه ·· يبـدو المستقبل خائفا من التحديد ·· ليس هناك سوى حكم قدرى الملامح بأن يكفهر سيف وأدهم وفهمى ·· لا تزدهر براءة الاطمئنان فى وجه أى واحد منهم · لا اشراق هنالك ·· حتى القمر اختفى من السماء ·· والزمن الوغد ليس بجانب أحد ·· انه ضد كل أحد · شرايين الأيام مذهولة بالجحيم ·· والجحيم هو ألا يبيع أحد لوحة ·· لكن الاصرار أخضر اللون ·· بقعـة صـغيرة فى القلب تضيء ·· تملك شمسـا صغيرة من الرجاء ·· فاجنر هو عزاء الأيام الفقـيرة ·· حورياته فى رباعيات الخاتم تعلن احتقار الذهب ·· الحوريات تسأل العالم عن معنى الحب ·· تفاجأ الحوريات بأن معناه الوحيد الذهب ·· والذهب كان يجرى وراءه عجوز أصلع ماتت منه الروح فى البريق الأصفر ·· اما أن تختار الحوريات هذا النوع من الحب واما أن تذهب بعيدا ·· تلقى الحوريات اللعنة على من فقد الروح فى البريق الأصفر ·· تسافر الحوريات بحثا عن الحب فى مكان آخر ·· فى عالم آخر ·· هرب الحب من العالم ·· وكان سيف وأدهم وفهمى يحـاولون الوصول الى نوع آخر من الحب · نوع ينظر الى حوار عذارى اللوحات ·· لكن لا أحد يشترى الفن ·· وتستمر أيام اللعنة ·· وحرارة النار تطلق بخار الهزيمة ·· والصمت يكتم هذا البخار الأسود ··

وليليان بدأت تختفى من المرسم ·· ولا أحد يسأل أين ذهبت ·· انها هناك ··· حيث عالم آخر من الهزيمة ·· من الشارع تشاهد الناس ·· لم تعد تبيع الجسد · أصبحت تعيش على بقايا ما تملك ·· وما زال الجسد الريان يرفض أسلوب الرغبة وحدها ·· وشوارع الاسكندرية تنحنى على ليليان ·· وتحتضنها ·· تحاول العيون اقناعها بأن الدفء موجود وله أجر ·· لكن ليليان ترفض ·· تستطيع أن تقول مرة واحدة « لا » .. وتستمر فى قولها الى الأبد ·

والمرسم ما زال يستقبل الزوار ·· والحلم هو بيت الأمل ·· الحلم يستقبل الأمل فى أن يشترى أحدا ·· لكن العيون تعجب فقط .. وينسج الألم عنكبوته حول الأمل والحلم .لافائدة ..ولكن هناك حوار عن قفص الوحوش ·· فى أوربا ··· فى باريس تشرق شمس أخرى قديمة ·· الشمس عبرت البحر لتأتى فى لوحات مطبوعة لفنان اسمه « ماتيس » ·· رجل حاول أن يكمل صعلكة جوجان وفان جوخ فى عالم الألوان ·· يعامل الألوان فى نوع من البساطة ·· ويحاول أن يجعل الموضوع واضح الملامح فى لوحته ·· وينقى الألوان من الامتزاج الذى يشوه قدرة الألوان على العناد ·· ويبقى العنف واضحا فى تجاور اللون لأخيه ·· قابيل وهابيل يرقصان فى ألوانه رقصة السعادة والعنف ·· هذا الفنان يغنى الانسان ·· يحاول أن ينطق ما فى أعماقه فى موسيقى ألم وسعادة على الوجه ·· ينفجر فى لوحات « ماتيس » بريق من الرفض ·· انه يرفض هذا السجن الذى حبسوه فيه ·· فتح بنفسه فى أعماقه قفص طائر الأميرة النائمة ·· وترك طائر الشاطر حسن يلهو بالغناء والألوان ·· وتزوج طائر الشاطر حسن من طائر الأميرة النائمة ·· عادت الحياة الى الطائرين ·· وانفكت طلاسم اللعنة ·· انه اغتصاب لحق الفنان فى أن يرى كما يريد ·· مادام واثقا من أن ما يراه هو الحقيقة ·· « ماتيس » ينقى ضباب أيام سيف وأدهم وفهمى ··

لا شراء ·· لا بيع ·· الحشر هو اليوم الموجود ·· القيامة قامت وجاء نفى اللوحات ·· اللوحات تتراكم ·· الحلم والأمل يطلان من نافذة « ماتيس » الذى ما زال يحلم ·· وتأتى فرسان الرغبة ·· يدهش الفرسان ·· انها تلتقى ببخار الهزيمة ·· تنمحى من أعماق سيف وأدهم وفهمى ·· سيكون هناك معرض ·· سيكون هناك من يشترى لوحات ·· ويبدأ الثلاثة فى الرسم ·· عندما تفرغ أنابيب الألوان يكون الرسم بالحبر ·· لا وقت هناك الا لأن ينقل الثلاثة خيال الوهم الى أرض اللوحات ·· أن يحرث الثلاثة كل الأراضى البور ·· كل الأراضى البور لونها أبيض ·· مادامت البهجة هى أن يرسم الثلاثة ·· فلتكن البهجة أيضا هى اطار العالم ·· الاطمئنان الى القدرة فى الرسم ·· الامتلاء بطحالب الخشونة لا يعطى سوى صمت الألوان ·· لكن لم يصمت فنان من قبل ·· فلماذا يصمت الثلاثة ·· « ماتيس » ·· خرج من اللوفر ·· كان رساما خاصا لنقل لوحات كبار الفنانين ·· طلق هذا العمل الذى يفرح له من يتمنى نسخة من « الجيوكندا » ·· من هذه الابتسامة الناقصة التى رآها « ليوناردو دافنشى » قديما ·· لكن الابتسامة لها روعتها الوحيدة عندما يستمتع بها الانسان فى أصلها القديم ·· فى لوحة « ليوناردو دافنشى » ·· اذن لماذا يذوب عمر « ماتيس » فى رسم القديم ·· ليحاول أن يعلن ابتسامته الخاصة ··ابتسامة انسان رأى هزيمة القرن التاسع عشر ·· واستقبل أملا مكسورا فى القرن العشرين ·· البداية لا تحمل الاستمرار فى مرسم الثلاثة ·· سيف · ادهم · فهمى · دون كيوشوت ·· حارب بحصان قوى ·· وسيف أقوى ·· وهزم كل طواحين الهواء ·· وأحب حتى النخاع ·· وقال عنه الآخرون حالم كاذب ·· لكنه حقق فى ساحة أحلامه كل مايريد ·· « وهاملت » الأمير الدانماركى تساءل عن سر فساد الدانمرك ·· فاكتشف أن عمه قتل أباه ·· ليتزوج أمه ·· ولم يبق أمامه سوى

أن ينتقم لأبيه ·· وأن يهزم روح الحب في قلبه ·· مادام الموت كان البداية فليس هناك سوء الجنون والموت والهرب الى الأمام ·· الرسم ·· أنابيب الألوان ·· الرسم ·· الحلم ·· أيام ترهقها بخار الدموع الجافة ·· الدموع الجافة تصبح ابتساما ·· وحصان دون كيوشوت يخوض في بحار الالوان ·· والرسم بالالوان لا يكف عن التطور·· اللوحة معنى ·· اللوحة صراخ·· يقال أن الثلاثة يتجهون الى التعبير المعاصر·· أحد الزوار يقف مبهوتا ·· «هل رأيتم اللوفر؟··» اللوفر متحف كبير ·· يقع خلف المسلة المصرية ··قصر كبير ··يضم كل شيء ·· يعرفونه في القراءة ·· يعرفون لوحاته في الرؤية للمطبوعات·· الشوق في القلب أن يشاهد الثلاثة هذا المتحف ·· الرؤية المباشرة للوحات تضيء القلب ·· تورق في الروح ربيع التحدى ·· يفاجأ الجميع بدخول انسان البدايات التي تموت منه النهايات ·· النهايات في حياة محمد بيومى لا تأتى ·· يدخل الى المرسم ·· الشوق ·· الخجل ·· الاعتذار ·· مع محمد بيومى اثنان ·· ألمـانى ·· يقف الألماني فريتز مشدوها ·· هذا فن مرتفع ·· أوربا في الاسكندرية· هل هذا يصدقه العقل؟·· فهمى يقف بجانب أحد الألمان·· هل صحيح أن فن الثلاثة يشبه فن أوربا ؟ ·· سيف يصمت ·· انه يعرف أن الألوان لا وطن لها ·· ايمان يختلف عليه أى انسان· يتفق عليه أى انسان ·· الألمانى فريتز طبيب أسنان ·· الثانى شارل ·· صانع أسنان ·· الانجليز في الشارع ·· انجلترا ضد ألمانيا ·· لا يهتم سيف ·· لا يلتفت أدهم ·· الألمانى ·· يجيد العزف على «الفلاوت» حزن رجل من بلاد بعيدة يشتاق الى الرجوع ·· والرجوع هو الرغبة التي لا يعلنها ألمانى ·· سادة العالم ·· لكن الموسيقى تلغى السيادة ·· الألوان تموت فيها سيطرة جواز السفر على العيون ·· لا أحد يرى لوحة بجنسيته ·· الوطن هو الأرض التي يعيش عليهـا ورد الذكريات ·· الطبيب الألمانى وصانع الأسنان يعيشان مع الثلاثة

فى المرسم ·· باب المرسم لا يغلق ·· مفتـاحه لكل الأصدقاء ·· الباب مفتاحه تحت بساط ·· البساط مفروش فى « الأسانسير » ·· الألمـانى اعجابه يزداد باللوحات ·· والصــباح فى العمل ·· والظهر فى المرسم ·· والموسيقى ترحل بالجميع الى عالم من الأنغام ·· جوازات السفر مسألة تهم انجلترا وألمانيا ·· لا تهم أحدا فى المرسم ·· فى ظهر يوم عادى ·· فوجىء سيف باختفاء لوحات ·· الغضب المفاجىء ·· اختفاء لوحات ·· سرقة ·· الابتسامة تعـلو الوجه ·· هناك من يسرق ليرى ·· أجمل ما فى الحدث أن هنـاك انسان يرى · لص فنان · الخبر يضحك الثلاثة ·· اللوحات · العذارى · أهل العذارى يفرحون لأن بناتهم اختطفت ·· فى المساء دخل فريتز ·· فى يده بعض الصور ·· فى اليد الأخرى أوراق صغيرة ·· الأوراق الصغيرة نقود ·· فريتز يعلن الخبر ·· تم بيع عدد من اللوحات · احدى العائلات اشترت · لم يصدق أحد أن هناك من اشترى لوحات من الثلاثة ·· المبلغ مائة جنيه ·· ألمانيا ضد انجلترا ·· انجلترا ضد ألمانيا · مسألة تخص أوربا · المائة جنيه تخص اللوحات ·· يتحول جزء من ثمنها الى احتفال ·· الليل يهضم موسيقى الخمر · الخمر احتفال رائع · الصخب · أنهار الهزيمة المذهولة فى شرايين الأيام تجف ·· الفن ناضج ومســتريح على اللوحات · الجحيم تصبح لونا أخضر ·· الليل أخضر اللون · رحلة الايمان ترتوى بأن المستقبل يحمل ضوءا ·· الضوء هو الالهام الوحيد ·· اللون الصداح على اللون الأبيض ·· كل الأراضى البور يمكن أن يحرثها سيف وأدهم ·· اللون الأبيض هو الأرض البور ·· دون كيوشوت له حصان رائع ·· تهب الرياح على طواحين الهواء ·· الطواحين تقوى ·· لكن دون كيوشوت ينتصر ·· حصانه الرغبة ويخوض به غابات الأحلام ·· حصان دون كيوشوت يصل الى باب الأمل الموصود ·· وينفتح الباب ·

الفصل التاسع

المعاني الآن ترتجف في
معاطف الكلمات ..

اجتمعت الكلمات الكبيرة تبحث لنفسها عن معنى · جلست الشجاعة بجانب العدل · واضطجع الجمال على سرير بجانب الحكمة · وحاول الخير أن يبدو ملاكا · لكن الحب وقف فى أسمال بالية ·· يرجو الجميع أن يعطفوا عليه وأن يرحموه من مهمته الصعبة ·· وراح يشكو لأن الجميع ابتذلوه · علقوه على الشفاه وساما ·· بينما كان مجرد سلعة فى « دكان » الأنانية · وانتهك سكان الكرة الأرضية معناه بأن نظروا اليه نظرتهم للخطيئة ··

قالت الشجاعة للحب :

ــ « أنا معك » ·

لكنه خاف منها ·· فعندما قرر أن يتحد معها فى عمل ·· تجول فى المسافة بين قلبى روميو وجوليت ، وكانت المفاجأة ·· حدث الموت للاثنين ··

وقال العدل للحب : أنا معك ·

لكن الحب اندفع ليتذكر نداءه للعدل ·· عندما أحب الملاح الملعون فى قصة الهولندى الطائر ·· رفض العدل أن ينطق حكما بأن يلتقى الملاح بحبيبته دون أن يضحى أحد ·· وكان على الحبيبة أن تضحى من أجل ·· الملاح ·· لكنها لم تفعل ·· ومضى الملاح فى طريق اللعنة ··

وقال الخير للحب : « أنا معك » ··

فاندفع خيال الحب الى التاريخ القديم ·· حيث حادث قابيل وهابيل ·· تخلى الخير عن قابيل لأنه أحب ·· ورفض الخير أن يقنع هابيل بالعدول عن الطيبة المفتعلة ·· وأن يتنازل عن حبيبة قابيل ·· لكن هابيل استذل نفسه ·· بدأ بالشر المهذب ·· فقتله قابيل ·· وقال الجمال للحب ·· أظنك لا تنكر أنني أقف دائما بجانبك ·· فقال الحب للجمال ··. كفاك خداعا لى ·· انك تظهر فى كل مكان ·· تلوح لى وسط أقبح لحظات الحياة ·· تجعلنى أغرد انتحارى فى وجودك ·· وضحك الجمال ·· وقال للحكمة ·· أصبح الحب مجنونا ·· هيا نقبل استقالته من بين المشاعر الكبيرة ·· وبالفعل ·· قرر المجتمعون قبول استقالات الحب من مجمع الكلمات الكبيرة ·· ويقف الحب عاريا ·· بلا أسمال ·· ويخرج من الباب وهو يبصق اللعنة على كل الأعوام ·· وكان العام ١٩٤٣ ·· والألمان يملئون العالم صياحا ·· وطائرات الانجليز تقفز فى السماء كالجراد ·· وطبيب الأسنان « فريتز » ·· ومساعده « شارل » يترددان على المرسم ·· واللوحات تباع قليلا ·· وهمس واحد فى أذن سيف « هؤلاء الألمان جواسيس» ·· وكان اللون الأزرق فى يد سيف واللوحة التى أمامه ترسم عالما داكنا ·· يلعب فيه النور دورا ضئيلا ·· وكانت الموسيقى التى تعزف هى الجمال النائم لهذا الموسيقار الروسى تشايكوفسكى ·· هذه الرقصات هى رقصات الحلم ·· وكانت أحلام سيف تتجول فى معنى كلمة « جاسوس » ·· لكنه لم يفهمها بالضبط ·· ألمانى ·· يبحث عن معلومات عن الانجليز ·· ما دخل سيف فى ذلك ؟ ·· حاول سيف أن يعثر على لمحة رفض واحدة لهؤلاء الناس الذى ساعدوه على بيع أولى لوحاته وهم الآن أصدقاء ·· لم يجد ·· ما الفرق بين الجاسوس والانسان ·· مسألة تشغل عقل سيف ·· وعقله يغرق فى الصمت ·· الصمت هو أعظم الاجابات ·· الجاسوس رجل قدم تنازلا ما عن آدميته لحساب كلمة كبيرة اسمها الدفاع عن مبدأ ·· لكن مجمع الكلمات الكبيرة ··

كان قد طرد الحب . « هتلر » طرد الحب من ألمانيا .. وانجلترا طردت الحب من كل مكان .. والنقود هى هدف هتلر وهدف انجلترا .. وهتلر يغزو العالم . وانجلترا تسوق الكرة الأرضية .. وكل أحفاد هذا المجهول .. بنو آدم يتصارعون على أوراق يضعونها فى جيـــوبهم . جواسيس . ألمان . انجليز .. قابيل قتل هابيل .. العالم يبدو صدفة مجنونة تمام الجنون .. والخمر هى الاتزان الباقى بعد أن خرج الحب من مجمع الكلمات الكبيرة .. ويدق جرس الباب .. مندوب صاحب العمارة .. وجه غريب .. وجه مترب وصوت محبوس فى ظلام دامس .. صوت مندوب صاحب العمارة يحمل للجميع خطابا بالطرد .. العمارة ستهدم .. لا يهم .. لابد أن يكون هناك مكان ما يضم الألوان والتيل السكران بزيت الـــكتان .. كل البيوت أماكن غريبة جدران ترتفع .. صناديق تحتوى بشرا .. ندفن أنفسنا فى الجدران .. لكن على الجدران أن تبنى الذكريات .. فى هذا الموسم كان الأرق والارهاق وأنهار الهزيمة التى تجرى فى شرايين الأيام .. ونهايته .. رحيل ليليان من القلب الى الخارج .. وميلاد أوراق نقدية كأجر للوحات .. البيوت ليست هى الطوب .. البيوت ناس .. أدهم يأتى فى الليل .. ومعه مفتاح جديد . شـــارع توفيق . ست حجرات .. من حجرة الى ست حجرات .. هذا شىء غريب .. كيف تملأ هذه المساحات .. وبماذا ؟ ولكن الذى يملك هذه العمارة الجديدة هو الأمير يوسف كمال .. صاحب الخدعة الأولى .. مسابقة السفر الى ايطاليا .. السجن فى الحلم .. وانكسار الأمل فى المسابقة الزائفة .. وتدق ليليان باب البيت القديم .. الليلة الأخيرة .. دموع .. خاتم ذهبى .. ستتزوج .. العريس ايطالى .. بقايا الجسد الايطالى يسحب نفسه .. الجسد الأبيض الريان الخصب .. السجن القديم .. الجسد الصديق الآن.. الدموع المتجمدة .. الكلمات البلهاء .. الألوان الرمادية.. ليليان..

لحظات الافتراق مائعـــة ٠٠ يبدو العقـــاب بالافتراق أبله ٠٠ الجهـــد فى الموسم الجـــديد ٠٠ تلخيص للألم ٠٠ يجب أن يـكون التفـــكير كراسـة ٠٠ أو أوراقا ٠٠ وأن يمزقهـــا الانســان ٠٠ ويلقى بها من النافذة ٠٠ تمزيق العقل والأفكار ٠٠ ومحاولة الرسم فقط ٠٠ مدرسة فى الرسم اسمهـــا « الدادية » مولودة فى أوروبا عام ١٩١٦ ٠٠ قرر الفنانون هناك ٠٠ أن يمزقوا صفحات أنفـاس الواقع حولهم ٠٠ أن يصنعوا واقعا آخر ٠٠ يولد آدم آخر ٠٠ غير آدم المجنون الذى قبل الهزيمة أمام الله ونزل الى الأرض ٠٠ وجـد آدم المعانى ترتجف فى معاطف الكلمات ٠٠ الرسم هو التعبير الوحيد عن بداية العالم والغاء كل معنى من المعانى ٠٠ لم يحدث اتفاق من قبل حول شىء ٠٠ ليكن عام ١٩١٦ هو بداية العالم ٠٠ ليكن كل يوم هو بداية العالم ٠ الغرور هو ارتفاع فوق المرارة ٠٠ والغرور هو أن يقذف الانسان فى وجه الماضى باللعنة ٠٠ وفى القلب حلم بأن المستقبل أفضل ٠ والمستقبل سيكون أفضل لو فقد الحاضر معناه ٠٠ لأن كل المعانى تصبح فى أعماق الكلمات وحيدة ٠٠ المسافة تتسع بين المعانى والكلمات ٠٠ تشعر الكلمات بالغرور ٠٠ وترتجف المعانى من الخوف على نفسها ٠٠ و « دادا » معناها بالفرنســـية « لعبـة الحصان » وهى اختيار أهوج ٠٠ العالم أظلمت أعماقه ٠٠ ولم يبق الا « مصابيح تدخن بلا ضوء فى الأعماق » ٠٠ واليوم هو « مستنقع من العسل الأزرق » ٠٠ والكل يبدو « قطة تقبع بشراسة فى صحن ذهبى ٠٠ على مائدة فندق الكرة الأرضيـــة » ٠٠ « وقصـــور الآباء ملعونة ٠٠ لأن أثاثها مصنوع من الروث » ٠ ولم يبق أمام كل انسان سوى أن يهرب من كل شىء الى أعماق نفسه بداية السريالية هى هذه الحركة الفنية التى أرادت أن تصفع الماضى بذراع الغرور ٠٠ أن يقطع الانسان صورة لحيوان ويعلق بدلا منها فى رأسه صورة لاله ٠٠ امرأة يطير منها ذراعها ٠٠ وتبدو ساقاها على اسطوانة موسيقى ٠٠ نوع من الفرح غريب لأن الانسان مذهول بانتهاء حرب ٠٠ الحرب

العالمية الأولى ·· لكن الحرب الثانية كانت على الأبواب ·· الانفتاح عن الفن طريق وحيد لاستمرار سيف وأدهم ·· أما فهمى فقد طلق الرسم ·· علقه كحلم بعيد يعود اليه بعد أن يتقن حلما قديما فى قلبه ·· أن يدرس اللغة الانجليزية ·· والموسيقى هى زاد الأيام والرسم هو العمل الوحيد الذى يبدو طريقا أمام سيف وأدهم ·· اللون المتجانس ·· على اللون الغريب ·· الألوان تمتزج على اللوحات دون خوف ·· وتعلن ما تريد الأعماق أن تراه ·· انحناء الرسم على الأدب ·· الألوان تحاول أن تقترب من الأعمال الأدبية ·· لكن أحدا من هؤلاء القدامى لم يلتفت الى بداية القرن العشرين كانت تحمل رجلا اسمه « بيكاسو » ·· عملاق مجنون قابل طاحونة الفقر فى أسبانيا··لكن عيونه كانت تطل الى هناك··حيث ألوان تحكى عنف الحلم ·· عنف الجوع ·· ألوان تحكى قصة اللعنة التى يحياها الانسان ويحاول أن يفر منها بلا جدوى ، هناك لعنات أخرى جديدة ·· الانسان « بيكاسو » ·· اللعنات هى الحصار ·· والحصار كل يوم يتحطم وكل يوم يولد · الجوع موجود فى أسبانيا ·· والحرية بلا ضمان على أرصفة باريس ·· والعذراء فى القرن العشرين ·· تفقد بكارتها لا فى الحب ولكن فى جدران الأوراق النقدية ·· والهموم هى عيون أى مسيح يولد فى زمن اللاغفران .. وهناك على البعد من باريس تعيش هموم أخرى فى جسد انسان أكثر هدوءا من بيكاسو ·· انه براك ·· اشترك الاثنان فى بناء صناديق التكعيبة ·· الآن يتكون انسان القرن العشرين من تراكم صناديق غريبة ·· صندوق العلم يلقى بنفسه فوق صندوق الايمان ·· يحلم صندوق العلم أن يحطم صندوق الايمان ·· يلتقى الصندوقان ليجدا صندوقا ثالثا هو صندوق الاله ·· لكن فوق صندوق الاله ·· يظهر صندوق رابع يدعو لاكتشاف آلهة البساطة فى القارة المستنزفة افريقيا ··

فيفاجأ بقية الصناديق بأن أوربا كلها صندوق يبحث لنفسه عن نحات يصنع من هذه المكعبات انسانا ·· الانسان هو المهم ·· والانسان يفقد نفسه كل يوم ·· والأيام تنسج من الفقدان أسطورة تحكى عن امتلاك الانسان لنفس جديدة · نفس لا يعرف أحد أن يسلبها منه ·· وحياة « بيكاسو » تبدو كالسيرك · اللاعب فيه يفتش عن التوازن فى المتاعب . وجه الكرة الأرضية الخشن ينتقل الى ملمس اللوحات . وجه الكرة الأرضية الخشن يقف على رصيف الميناء ·· تتماوج حافات الأمواج ·· الأزرق فى بطن الأبيض · مركب تقف وسط ضجيج صفاراتها ·· ليليان تسافر ·· الوداع مرة أخرى ·· الميناء يزدحم بحركة مسطحة ·· فى خلف الحركة فراغ ·· تقوم ليليان من الفراغ الى باريس ·· الزوج بجانبها · هذا الرجل يملكها ·· قديما كان التاريخ ملك سيف ·· الآن لا يملك سيف سوى أن يرفع يده بالوداع · أدهم يبحث فى عيون سيف عن دموع · لادموع· العالم صناديق ·· لعبة حصان فى سيرك · مؤلف موسيقى الحياة قرر أن يحول الحياة الى أشباح بكائية · الأشباح البكائية تخترق منطقة الميناء · فى سيدى المرسى أبى العباس · موسيقى الشوارع تحتاج الى فاجنر آخر يكسر لها قواعدها ليضع قواعد جديدة · متماسكة · تضيف آخر النهار ضوءا · الاحساس بالوحدة يغمر سيف · الاحساس بالوحدة هو طعام أيام أدهم · المرأة الآن موجودة وغير موجودة · المرأة الخاصة غير موجودة ·· رغم ازدحام اليوم بالمرأة العامة التى تبرق أمام المجتمع ·· نساء الصداقات والاعجاب بالفنان اسم سيف وأدهم يخطو على سلم المجتمع ·· يصعد الى غاية

المشاهير ·· نساء أعلى السلم ينظرن الى الصعود ·· اثنـــان من المشاهير الخافتين ·· سيف · أدهم · تبــدو عيـون نســـاء أعلى الســـــلم تنظر الى الاثنين ·· آه لو حبست احداهن واحـــدا من الاثنين · تحبسه فى الأحضـــــان ·· فى قفص · فى حجرة · فى سرير ·· الفنان لابد وأنه يحب بشكل مختلف · شكل مباشر ·· صريح أو خجول ·· طعم الحب على شفة المرأة مختلف المذاق ··· ووسط المتفرجات تقترب شقراء ·· وقعت عيون سيف عند ملابسها باندهاش ·· الملابس سوداء ·· الجسد قصير ممتلىء ·· جسد يحكى شوقا وخضوعا ورغبة مكبوتة تحت قناع الخجل ·· الملابس السوداء تلف البشرة بهـــالة من الاطمئنان · القلق يملأ سيف · صندوق الألوان فى قلب يتفتت قليلا · تطل ألوان الرغبة صداحة · النداء ·· القلق يدفعه الى تركيز العيـون · بريق من الطمى الصـافى · العيون مياه نيل خاص · فيضان محبوس فى عينيها الواسعتين ·· بريق يحاول أن يخترق ظلال حزن ·· شـــــعر يتموج بين البنى والأصفر ·· الصوت دافىء فى آخره كوخ خشبى وشجرة ونهر حنان وموسيقى ·· اللقاء الخاص ·· « سأرسم لك لوحة » ·· هـذا هو الوقوع فى الحب ·· لكن الحب مطرود · تجربة رومانسية تولد من جديد ·· القلب المتجمد من مصير الألوان · يذهب بعيدا ·· يتمرد على قانون الارهاق الوحيـــد ·· النقود التى لا تكفى سوى شراء الألوان ·· المرسم ·· الجو الخاص · الظـــلال الرمادية ·· يدخل سيف كوخ الحب من جديد ·· الشفاه عندما تلتقى يرتجف فى القلب ظلال طفل يتمنى أن يأتى · تمتد اللحظات بالدفء ·· تهتز فى ساحة

الخيال أضواء بيضاء على نخيل الزغبات . يصعد سيف على نخيل الرغبة .. لو يقطف الانسان ثمار التفاح المعلقة بدلا من ثمار التمر .. ويأكل سيف تفاح النخيل .. ويشرب من نهر الشفاه . ولم يطرق الواقع أبواب اللحظة المستريحة .. ميلاد الحب . أرملة .. حزن .. أموال .. هدايا .. يحاصر الرجل .. « شرين » .. العطر الأنثوى .. الذى يشرب منه سيف خمر اللحظات .. الحب الآن واقع .. أين ليليان ؟ انها فى قاع القلب . هناك . أين عفاف؟ .. انها فى صندوق الطفولة .. فى قاع القلب . لا . انها خرجت الى أحضان سيد الجنرال .. وليليان أيضا خرجت الى أحضان الايطالى البعيد .. الآن « شرين » . الحلم الواقعى .. الوهم الذى يحتضنه سيف .. للوهم لحم ودم وتاريخ .. الظلال الرمادية .. الألوان لها طعم الصراع .. « موديليانى » .. الصعلوك .. الذى نبع من قاع رغبة واحدة .. تحطيم كل ما يمكن أن يسمى « مدرسة فنية » لم يكن له هذا الهدف .. لكن عندما اجتمعت النساء حول أطباق رجولته. فوجىء بأن الاحتضان عالم غريب .. الاحتضان تختلط فيه نعومة القسوة وميلاد الخصوبة .. بدت خطوطه وألوانه تسيح فى عالم الرغبة .. والرغبة نقية .. لا خطيئة لها .. الذى أخطأ هو من تصور أن الانسان يخطىء .. الذى سجن الانسان فى اطار مجدد . الانسان تكسير كل الاطارات . الميلاد تكسير الرحم .. النمو تكسير للطفولة .. الشباب تحطيم الطفولة .. رحلة تدمير كامل لكل القواعد .. والاحتضان هو البداية دائما .. « موديليانى » هو الذى أوصي للآلهة أن يخلقوا شرين .. الصمت على فمها .. الرغبة فى

بشرتها ·· ليكن روميل مقدسا فى الشارع ·· وليكن فهمى هاربا الى مهنة التدريس بدلا من الرسم ·· وليكن أدهم موجودا فى عالمه الخاص ·· ولكن من المؤكد أن رقصة الصمت الحار مع « شرين » تعطى ألوانا صافية للحزن والحرارة ·· صداحة بالرغبة والأمان والميلاد وعدم الرضوخ لقواعد الآخرين ·· ومن بين الآخرين الذين يدخلون الى النور ·· رجل ·· عيونه سكين هادئة ·· تلمس سطح اللوحات ·· « شارل زهار » · عيونه ترتفع بالفخر ·· تخفى تجاعيد عمل منظم · عيونه تهرب فى طاحونة التوظيف الى اللوحات ·· يرى أن الجدران يجب أن تتكلم ·· وكلمات الجدران هى اللوحات ·· والعين هى التى تسمع ما فى هذه الألوان فى كلمات ·· يدور ليل ويأتى صباح ليكون فى جريدة الصباح الفرنسية مقال : « ثلاثة بوهميون ·· سيف يبدو كقسيس أرثوذكسى ينسدل شعره فجأة على رأسه ·· وأدهم يبدو كبطل لسباق دراجات لم يعلن عنه من قبل· لكن من ينظر اليه يتأكد أنه الفائز الأول فى هذا السباق المفاجىء والثالث فهمى بطل مصارعة يحاول أن يهرب من الحلبة لا خوفا من الخصم ، ولكن خوفا عليه · هؤلاء الثلاثة أقاموا أول معرض للوحات ·· « مصرى مائة فى المائة » ·· عيون « شارل زهار » هى التى رأت ذلك ·· وحولته الى كلمات فى الجريدة ·· « شارل زهار » أصبح مشدوها ومشدودا الى الاثنين ·· مجنون بالألوان ·· يعبدها ·· معرض هنا ·· معرض هناك ·· القاهرة·· التراب والجو النحاسى·· الشمس العارية من الاحتضان المدينة الكبيرة تفتح جدرانها لمعرض سيف وأدهم ·· « شارل زهار » يعطى المدينة ثمن نقل اللوحات ·

وشرين تعطى نعومة القسوة وميلاد الخصوبة ·· والرغبة النقية التى
لا خطيئة بعدها ·· ويقف الجميع فى المعرض ·· القاهرة ·· الوجوه
ترى ·· تقابل اللوحات باندهاش ·· شرين تنظر الى الوجوه بفخر
خاص ·· تملك خيالا فى انها صاحبة الوحى ·· لا وحى فى الألوان
·· الوحى عند سيف ·· لون أبيض تسقط عليه ألوان أخرى ··
لا تفكير الا فى ملامح الألوان ·· اللون يبدو شخصية يفرض وجودها
الخاص على الخيال · اعداد اللوحة للرسم هو لحظة التحدى والخوف
·· ويبدأ بالايمان بأن هناك مشكلة ما ·· هذا الشكل لا يتحدد ·
تسير شخصيات الألوان من خلال الأصابع .. الرموش تعانق بعضها
لترى هل هذا ما أرادت الألوان ؟ ·· وما أراده سيف أم لا ؟ يبــدو
أن تحت الجلد كائنا آخر ينفعل ويأمر ويصخب ويقابل قناع الوجه
فيصمد ·· التحدى المعروض فى القاهرة يأمر ويرجو ·· اللوحات
الواقفة على الجدران تلتقى بالعيون ·· يبدو « شارل زهار » غاضبا
فى يوم المعرض الأخير ·· كان الغضب حادثا مفاجئا ·· « شارل
زهار » ينفجر بالاعتراف ·· لم يكن يريد أن يحكى ·· لكن أمام
لوحات سيف وأدهم ·· يسهل الاعتراف أحيــانا ·· « أوبنهام »
تاجر قطن كبير ·· والرجل كسب كل ثروته من الاسكندرية وهو
الآن يغادر مصر وترك لى أربعمائة جنيه ذهبية ولوحة ·· هدية منه
للمدينة ·· على أن تنشىء المدينة لنفسها متحفا · لكن مجلس البلدية
لا يوافق على متحف ·· ويندفع سيف الى اجتماع الأقنعة ·· عيونه
تغمض لترحل به الى حيث يجلس رجال لا يتساقط من وجوههم
حبات عرق الخجل · أصوات تنادى « دورة مياه أفضل من متحف

فنون » •• لكن يبدو أن متحف الفنون أيضا مهم •• الاجتماعات تدور•• لا فائدة •• دورات المياه مازالت مهمة • لا أحد يجرؤ على أن يقول ان متحف الفنون مهم • شارل زهار وحده يقول ذلك •• أخيرا تتم الموافقة •• يقف في مواجهة الملعب الرياضي الكبير مبنى ضخم •• أسطورة المباني •• الفراعنة •• اليوناني أوربا •• المبنى يحتوى على خيوط فنون كثيرة •• « شارل زهار » لا ترهقه فكرته •• المبنى يصبح على وشــك الانتهـــاء •• أحد الموظفين الكبار يرتجف تحت طربوشه •• يقترح أن يصبح « قومسيون طبى » لمدينة الاسكندرية •• انفجر « شارل زهار » ، حلمه يقع منه مرة أخرى •• لا أمل فى أن يكون هناك متحف •• على الجدران العارية •• وضع « شارل زهار » لوحة الأسبانى المنتحر حبا فى المجهول •• جويا •• خرج شارل زهار بعد ذلك الى الميناء •• رحل من الاسكندرية •• اللوحة ما زالت معلقة •• والمبنى الآن متحف فنون •• المبنى هو بيت البينالى كل سنتين •• لو أن شارل زهار يعرف •• لما سافر •• ومن يسافر لا يعود •• شارل زهار يتأرجح فى باريس بالحنين •• هل يسافر سيف الى باريس •• اللحظات لا تحمل الأمل •• الأمل مستسلم وكسول ومغرور يفرض نفسه بالعذاب •• الأمل له رائحة الكمال • لكن أنفاس الحاضر هى البارود •• والبارود رياحه تتأرجح على حافة الاسكندرية • والقاهرة مدينة مجنونة أعلنت اشتراكها فى الحرب•• والأصدقاء يترددون على المرسم • « فريتز » الألمانى يحكى عن معسكر اعتقال الانجليز •• الأسلاك الشائكة تمتد • البنادق تكاد تنطق بالرصاص•• الموت واضح وبطىء•• صوت آخر يحكى عن معسكرات

الاعتقال الألمانية • البشر يوضعون فى أفران • العذاب ملعون ••
السياسة هى فن القتل أو تأجيل القتل • « الحمد لله » •• يتنهد
بها سيف •• ليس له علاقة بالسياسة •• الحرب كائن غريب ••
لكن الانجليز يدقون الباب •• ثلاثة يحملون جنسية انجلترا ويقفون
موقف التلاميذ •• يريدون أن يتعلموا الرسم •• يبحثون عن لغة
العيون •• الألوان •• الثلاثة يريدون أن يتعلموا بداية لحظة الخلق••
وأن يعزف الانسان عذابه على التيل السكران بزيت الكتان ••
أمام الثلاثة من لندن •• ولندن صاحبة معسكرات اعتقال ••
لندن تصنع نصف الكرة الأرضية فى حالة تعذيب •• لكن
الألمانى فريتز وصديقه معسكرات أخرى •• ليس هناك مسئول
عن هذه المعسكرات •• المسئولة الوحيدة هى السياسة ••
والسياسة تدخل المرسم مرة اخرى .. تبدو فكرة السياسة وهى
تختفى وراء كلمة السلام • الأصدقاء يزيدون بصورة لا يعرف فيها
الانسان من الصديق ؟ ومن الهارب ومن المعجب ؟ •• ومن الذى يريد
أن يستريح من نفسه بالجلوس فى مرسم فنانين ؟ •• قال واحد
للآخر •• « نكون جماعة اسمها السلام •• تنظم لقاءنا » •• انتبه
أدهم الى أن الطفولة تعود مرة أخرى •• حزب الأمة سيعلن هنا من
جديد •• قال سيف « لا » •• السياسة تحمل دماء آخرين •• تضع
الدماء على منضدة نظيفة ويتبادل أصحابها التحية وينطقون اللعنة •
السياسة كلمة يجب أن تقف خارج الحياة •• هناك رجل طيب ••
صاحب قلب طفل •• وعقل اله •• وله ذقن بيضاء من التفاؤل ••
وملابسه سوداء بجلال غير حزين •• اسمه القدر •• اسمه التاريخ
•• اسمه أى اسم لكن هو وحده المسئول عن السياسة •• الانجليز

يملكون معسكر اعتقال . الألمان يملكون معسكر اعتقال .. الانسان لا يستطيع أن يمد ساقه كما يريد .. ليس من حق قدمه أن تخطو الى الأمام .. خارج الأسلاك .. فوهة مسدس .. ماسورة بندقية .. علم يرتفع .. وآخر ينخفض .. لو أن الأعلام كلها بيضاء حتى يمكن أن يستخدمها سيف وأدهم فى الرسم .. لكن الأعلام البيضاء استسلام .. والحرب فى الشارع لا تصنع الموت فقط .. لكنها تصنع الصخب والبارود .. والليل فى الحرب ازرق .. وليل الاسكندرية الأزرق يضيء بالهزيمة .. وهزيمة الليل مازالت تحمل الرغبة فى الحياة .. الاحتضان هو عطاء شرين لسيف .. احتضان غير مزور وغير حقيقى يبدو كالوهم .. شرين تعيش مع سيف لحظات الخصب المندهش الذى لا يعرف متى تكون النهاية . للفنان دائما نهاية ما فى الحب . عذاب . قسوة . ألم . حب جديد . شرين تفكر . ترى الصمت المطمئن يلتوى فى ضباب القلق .. اذن لا بد من الزواج .. دخل الآخرون فى الاحتضان . عرف سيف أن طعم الاحتضان أصبح فاسدا .. لابد من أن يهرب . وليس هناك سوى طريق تقليدى .. الليل المزدهر .. الشوارع . بنات الليل ازدادت .. لم يتب أحد .. التوبة صخرة معلقة فى الروح لكن لاتلمس جسد أحد .. الرقص .. الموسيقى .. الوجوه .. وجوه الحرب تدعو ألا يكون المستقبل مجرد ثقب تصنعه رصاصة فى الصدر .. تدعو ألا تطفو من هذا الثقب نافورة دم حتى لايأتى الموت .. الليل . شارع فؤاد .. محلات تفتح .. مسرح يولد . المسرح الموجود بناء غريب .. دار أوبرا مصغرة .. ها هى مرتفعات الزمن تعطى للفن هضبة جديدة يقف عندها العقل .. قضية مجنونة يعرضها صوت صديق . اسماعيل أدهم شاب متوتر .. يبدو فى المرسم طاقة من الود لا نهاية لها .. عقله يضيء بالفكرة لتدور فى القلب .. وتحمل رحيق الأمل . « اسماعيل أدهم » يشكو أن واحدا قال عنه انه ملحد .. أنكر وجود

الله · بالامكان أن يقتله أحد · أصبح يشدو بالخوف نشيدا متوترا· أصبح الجميع يتحدثون عن اسماعيل أدهم · ملحد · كافر · فجأة وجد اسماعيل أدهم نفسه خصما أمام الاله ·· عداء من الاله ·· لم يبدأه اسماعيل أدهم ·· اخترعه أحدهم وألصقه به ·· اذن سيقتلع نفسه من الآخرين ·· البقال يرفض أن يبيع له ·· الناس تقذفه بحجارة النظرات .. الأطفال قالوا : مجنون .. دخل حجرة وانتحر ·· ما الذى يدفع هذا الانسان الى حياة سيف ؟ · الموت · الحياة · الارتباط بشرين ·· الهرب من شرين · المسيح الذى جاء الى القرن العشرين بالأفكار فحاول واحد أن يسخر منه · وأصبحت السخرية موقفا · وأصبح الموقف موتا · وتساقط دم اسماعيل أدهم بين كل الأصابع · وعلى باب المسرح ·· وقف سيف وأدهم · الحزن لا تنسيه الا الموسيقى ·· باليه شانزليزيه على المسرح · والغضب الحزين فى قلب سيف · الغضب يمطر الحزن على كل شىء · والبوليس يحاصر كل شىء فى عام ١٩٤٧ · وليس هنـــاك لحظة راحة · لم يبق أمام سيف وأدهم سوى الموسيقى·· ومع أدهم تأتى صديقة حياته «فانى» الانجليزية التى تفرح بأنها سترى الباليه · تفرح لأنها سترى الجسد الانسانى وهو يتحول الى نغم ·· ثم يصبح للموسيقى حلم وحزن·· من الحركة ·· لحظة ·· ويرقص الباليه ·· من هذا الظلام بدأ الكون يتناغم ·· والزمن يوحى بالحكمة ·· والجسد يحارب الهواء ويصنع الانتصار ·· والانثناء ضرورة الروح · ادراك جديد تسبح فيه العين· وأطراف الأقدام تحترق بشوق الى الحب · يبدو الحب مسيحا ·· صعد الى أعلى والانسان يطارد المسيح فى لحظة يتمنى فيها الغفران ·· والكسل احساس لا توحى به هذه الموسيقى البدنية التى تتوافق فى حركة · الحياة تبدأ من حركة حب · احتضان ·· السكون للحظـة غير متوازنة بين جسد رجل وامرأة وتناسق مجنون مدهوس يولد منه الطفل الجديد · والاحساس بأن الخفوت صعود الى الأعلى ·· وتوقف

العضلات بين لحن سماوى . الانسان يصبح موسيقى .. ويهرب من حدود الاطار .. انه يكسر على المسرح المظلم الحلم بالضوء . لماذا كان دم النبى يحيى يساوى رقصة من سالومى ؟ .. بابلو بيكاسو يرسم الملابس .. يلون المشاهد .. يختار لون الستارة .. بولتشيللا الايطالى .. ذو الأنف الطويل والملابس البيضاء .. ويخفى نصف وجهه .. سيظهر الآن على المسرح .. بولتشيللا هو جحا أوربا .. يضحك .. يرقص .. يشرب .. يضرب .. يصخب . انه بحر الحياة بعيدا عن القيود .. ايجورسترافنسكى الموسيقار الروسى .. هو الذى يحرك بولتشيللا على الألحان . نابولى . الشارع الضيق . القمر الجائع الى السماء . انخفاض الضوء . بيت يبدو بطلا . بيتان يلعبان دور الترديد لهذا المنزل . اللحن يعزف عزل اللقاء المشتاق فى أى حب .. كهرباء تحرق وتحترق . لحن يتأمل العالم يرفضه .. يخلقه . كافينللو عاشـــق برقوقى الملابس .. أبيض الأقدام .. قبعته من الريش .. يتوازن فى الرفض الأنيق . يقول بالرفض أنا أعرف نفسى .. يقف أمام المنزل البطل .. ينحنى .. هنا روزبتا .. الحب . الاحتراق . لا يعرف الانسان نفسه فى الحب رغم أن الرجل يحتضن نفسه فى المرأة .. والمرأة تحتضن نفسها من الرجل . يخترق كافينللو أرض المسرح يبحث عن حبيبة أنيقة مثله .. بلا طعم مثله .. يأتى بجانبه فلورنيدو .. نسخة أخرى من الاناقة بلا طعم . يرقص فى ساحة المسرح أمام منزل حبيبته .. تظهر « بيبلينا » .. انها تبحث عن جوهر الحب .. تهمس الحياة بهدير صامت .. تتهشم فيه الضلوع من الضحك والاحتراق والاحتضان ولا يمكن لأحد الشابين أن يخطف قلبها .. قلبها مخطوف بعيدا .. قلبهـا خطفته الشمس الفضفاضة الملابس الناقصة الصاخبة .. السكرانة .. الضـاربة بنفسها فى جذور الأرض لتدفئها .. خطف قلبهـا بولتشينيللا » المقنع بقناع الرغبة .. الذى يمسك فى يده قوس

كمان ·· ويخبى فى جيبه الكمان ·· يعرف المسرح حتى الجنون ·· تختلط الحكايات بالرقص ·· الانسان الآن موسيقى راقصة ·· بولتشينللا ·· يتعرض بحر الحياة لمؤامرة من العشاق الأوغاد ·· خطف قلب المرأة · ينفجر من الاثنين خبثهما ·· ينتصر الحب ·· تقع بيمبيلينا على الأرض ·· يركع عليهـا عاشقها ·· يولدها على المسرح ·· رقص القبلات · عنف الاحتضان ·· بيكاسو مجنون ·· يفضح الحب على أنغام الباليه ·· يحكى سحر الحياة من خلال ضوء ملون يجرى بسرعة النغمة تتحول لحظات الخصب الى أرواح ملقاة على الأرض ·· تنبض فيها لحظة العناق الساخن بين الرجل والمرأة ·· بيكاسو يلعب بالضوء يحوله لونا ·· « سترافنسكى » يلعب بالانسان يحوله أنغاما ·· تصمت الموسيقى ·· يضىء المسرح ·· انتهت رقصة الباليه الأولى ·· جوان ميرو ·· الطفل الرسام الذى يملك نضج الكبار يرسـم « باليه » آخر ·· يلعب على المسرح ·· الموسـيقى « لبيزيه » ·· « جوان ميرو » هادىء ·· يسافر بألوانه الى طفولته ·· يجعل رجولته تحتضن روح الدمى القديمة · موسيقى بيزيه ·· الموسيقار الذى عزف كارمن وجعلها أسطورة القلق الغجرى الاشتهاء بلا حدود ·· المسرح يظلم ·· فتاة ترقص رقصة الأطفال · تقتحم فى الضوء الأزرق غموض الحياة ·· تدخل عليها الأرواح ·· تحرك الأرواح لعب الطفلة ·· النحلة تلعب دور الملكة ·· الحصان يهتز ليسافر فوق حصان آخر ساحة السباق ·· ومضارب الكرة تتيح لنفسها رقصـة بالكرة ·· والفتاة عنـدما ترى أن كل شىء يبحث لنفسه عن حل خاص ·· ترقص مع سائح ·· ويأتى الفجر فتنصرف أسئلة غموض الحياة ·· لأن الحياة تطل بنفسها ·· ملمس الطفولة الناعم فى هذا الباليه يحرك الشجن · القصر القديم · الجد الطيب· الحكايات أطالس الجغرافيا ·· السحب اللاعبة فى ساحة السماء عند صخور « استانلى » ·· موسيقى بتشاروللى حكايات مدام ايدول··

استراحة المسرح ·· الباليه الجديد ·· « سلطة » ·· براك ·· رسم هذا النوع الهادىء الرائع فى « السلاطة » ·· يعود بولتشيللا مرة أخرى على المسرح ·· تحبه روزبتا · لكن أحد الفرسان الضباط يريدها ·· الجميع يطمون فى روزيتا ·· لكنها تعشق الجنون الضاحك ·· الصخب الممتلىء بأمواج الحياة ·· عاشق يريد أن يلعب على أنغام الحب · « براك » رسام يرى الجسد لينا وعظيما ·· الباليه ·· حكمة وعبادة وحب ·· عبقرية الانسان وهو يجمع كل ما يحب فى لوحات موسيقية ·· ملونة تضيف للعين أحلاما قديمة بسيطة · جسد الانسان أنغام بيانو · صوت مغن · روح الالهام ·· موسيقى الجسد الراقص ·· الوان متحركة ·· معمار حياة ·· حدوتة تحكيها الأجساد الراقصة للطفل فىأعماق الكبار ·· يذوب الزمن ·· يتلاشى الحزن ·· صندوق الدنيا مرة أخرى ينفتح فى أى باليه ·· الكلمات لاتبدو هى لغة الحوار ·· الكلمات هنا هى رنين الصمت ، ومرح الألم وحزن الضحك ·· كل ما يمكن أن تتضارب فيه الحروف يستطيع أن يجد معناه فى أمواج الباليه ·· عاطفة المأساة القديمة تتميز الآن للعيون ·· وألوان الجنة القادمة موجودة على المسرح ·· وتجسيد الخيال يرقص فى الأجساد اللينة ·· الخير · الشر · الروح · الأعماق · الحب · الكراهية · الحقد · العجز ·· الرغبة · الرفض ·· الانحناء على زهرة الأمل ·· سطوع زهرة اليأس ·· أشواك الشقاوة ·· نعومة الحنان ·· موت السجن المحدد ·· الانطلاق الى حرية تتوازن فيها أنغام الله ·· تموت اللحظات التى يسير فيها الزمن فى دورات· ينفرط الزمن ليتجمع موسيقى وألوانا وحركة ·· الغضب والجنون والبساطة ويطير الانسان الى أفكاره الأولى ·· أن يحتل الوهم براعم الأمل الصغيرة فى القلب ·· أن يعرض الوهم الى الواقع بالحكمة الراقصة ·· الديكور يوحى بأن الرقص يدور على صخور الألم ·· وأن الحب يمكن أن يضيف السر الغامض الى الجدران ·· الديكور هو

معادلة الاندفاع بالحلم الى خيال المتفرج ·· ليالى الباليه لا تتوقف ··
يتناغم ·· والزمن يوحى بالحكمة ·· والجسد الراقص يحارب الهواء
ويصنع سيف مشدوه بهذا الأمر الجديد فى الحياة ·· الشوارع فى الصباح
تحكى الألم ·· وما زال يهرب من شرين ·· قد تكون شرين هى
الصواب ·· هى الطريق السليم لرجل يتمنى امرأة ·· يعلقها فى
ذراعه . ليس لسيف هذا الدور .. ما زالت أحلامه أكبر ..
ألوان ·· لوحات ·· تيل سكران بزيت الكتان ·· معلق فى حانة
المرسم ·· ها هو المرسم ·· الدوامة ·· الفرشاة تجرى من خيال
سيف على التيل « أدهم لتصعد الى المرسم » عقارب الساعة تشير
الى الواحدة ·· لابد من الذهاب الى العمل فى الصباح ·· ليس هناك
أمام الرغبة المولودة فى الأعماق أى نظام ·· لا يمكن أن يتأجل الأمل
الخاص ·· لا تستطيع الرؤيا أن تنام حتى يشرق النور ويسجن سيف
نفسه فى مكتبه ·· الآن ·· سلم المرسم مظلم ·· الدوامة ··
الاستعداد للوقوف أمام التيل ·· بدأت الفرشاة تجرى ·· ها هو
اللون يلهث ·· الباليه يملأ الخيال ·· الورق يئن تحت أصابع سيف
·· اللون الصداح على اللوحة يتكلم الآن ·· رنين الصمت لتنام
شرين بعيدا عن بولتشينيللا ·· لتأت الكلمات الكبيرة لترى أن الحب
وجد الألوان تعبر عن أحاسيسه ·· الانسان ليس هو الواقع فى
مصيدة الاضطراب · الانسان يجد معانيه أخيرا فى حدوتة ملونة ·
ما رآه سيف فى باليه « شانزليزيه » ·· الفارس المتجول فى قلب
المرأة ها هو مولود على قماش اللوحة ·· انحناء الرجل على المرأة فى
نغمة ميلاد ·· ترسمه الفرشاة ·· ليرى الناس بعد الآن الباليه بعيون
سيف · وسط هذا الجو الغريب المشحون بقلق المعانى فى معاطف
الكلمات ·· ليوزع سيف عيونه على العالم · محمد سيف الدين
وانلى ·· فان جوخ ·· جوجان ·· براك ·· بيكاسو ·· ماتييس ·
البهجة · القلق · الصعلكة · الصمت · الهدوء · الجنون الملون ·
الموسيقى تدور تحت ابرة « البيك أب » ·· مقدمة الفصل الرابع

من أوبرا « لاترافيانا » ٠٠ الحزن بلا مقابل ٠ لا أحد يستطيع أن يحمل الحزن فى قلبه . انه يصبح أنغاما . أدهم ينام على كتف « فانى » ٠٠ « فانى » الضاحكة تنام ٠ الأطفال تنام ٠ سيف لاتلمس جفونه رمال الارهاق ٠ « لاترافيانا » تتكور فى حزنها ٠ لقد أعطت « الفريدو » كل أحلامها ٠٠ لكن حلم الموت تأخذه لنفسها ٠٠ ليعش حبيبها بعيدا ٠٠ « ترافيانا » عاهرة ٠٠ ليليان أخرى قديمة ٠ الخطوة الأولى من رقص الباليه هى أصعب خطوة للراقص ٠ الموهبة ٠ المهارة ٠٠ الحماس ٠٠ تتحطم تقاليد الجسد المتزن على أنغام الموسيقى ٠٠ قدسية الرغبة فى التعبير عن النفس ٠٠ المرأة فى الباليه فراشة أحلام عاشقة. الجسد الانسانى يغنى.. غناء الجسد ميلادالانتصار ٠٠ اللون الأبيض يسود وسط اللون الأسود ٠٠ الأخضر يقف بعيدا خافتا ٠٠ الألوان تطيع أوامر سيف ٠٠ الألوان تلين على طرف الفرشاة ٠٠ خطوات الألوان تقف على أطراف أصابعها ٠٠ الموسيقى هى الانسان ٠ اللون هو الانسان ٠ الايقاع هو لحظة احتضان رجل لامرأة .. تركيب الألوان يعزف لحنا انسانيا ضاحكا . بولتشيزللا جيحا ايطاليا ٠٠ ليس هناك طريق مسدود أمام الألوان ٠ ترقص ٠ تعارض ٠ ترفض ٠ تبكى ٠ تنحنى ٠ تسافر عبر الزمن الى قابيل الساذج ٠٠ الذى استفزته طيبة هابيل ٠ كان هابيل مستريحا فى أحضان حبيبه قابيل ٠٠ لذلك كان طيبا ٠ كان قابيل مشتاقا الى شفاه حبيبته ٠٠ لذلك اندفع الى الشر على الفور ٠٠ من يغفر لقابيل ؟ لقد حمل جثة أخيه ومضى بعد ذلك يعلم أبناءه الوصايا العشر ٠٠ لا تقتل ٠ لا تسرق ٠ لا تزن ٠٠٠ الحمد لله ٠٠ ان قابيل لم يقل ضمن وصاياه لا ترسم ٠٠ كان يريد أن يرسم لنفسه حلم الغفران ٠٠ سمع لحن الخلاص من فم حمامة تائهة تعرف كيف تنادى الأمل من فوق الجرن ٠٠ قالت الأسطورة انه تعلم من غراب كيف يوارى جثة هابيل ٠٠ من المؤكد أن عين الأسطورة كانت عجوزا ٠٠ رأت الحمامة

غرابا ٠٠ النصيحة شيء ثقيل الدم ٠٠ مرفوض فى الباليه ٠ على أنغام الباليه يقابل الانسان نفسه ٠٠ محمد سيف الدين وانلى ٠٠ يقترب من شباك المرسم ٠٠ يدخن السيجارة الأخيرة ٠٠ كانت اللوحة العاشرة قد انتهت ٠٠ عشر لوحات فى ليلة واحدة ٠٠ الباليه هو فن الحركة ٠ اندفع سيف الى الحركة ٠ جلس الآن يستريح ٠٠ كانت الشمس تعلن للعالم يوما جديدا ٠٠ وكان سيف يسقط بين فكى الارهاق فى حنان النوم العميق ٠

الفصل العاشر

لماذا تنظر الى كثيرا ..

لماذا تفكر فى جسدى اكثر من اللازم..

لست العذراء .. لذلك أحلم بطفل منك .

خيط من الدموع ‥ ستار المسرح أحمر · همس نسائي · في الوجه ارهاق ‥ في العيون دموع · ولم تكن دموع هزيمة او فرح · شيء ما تهشم من جديد في القلب · تكسرت شمس زجاجية في داخل سـيف · كان الزجاج يخز · يجرح ‥ كانت العيون ترى · الليل أضاء بميلاد لوحات الباليه · الرقة · الشفافية · البنفسجي · الأزرق · التركواز · الرمادي · اكتشاف عمق اللون الأسود · غناء اللون الأبيض · الظلام · الهمس · صمت المسرح يتكلم · العيون تنظر الى الضوء · ستار المسرح الأحمر يفتح · صوت نسائي يعلن عما سيراه الجمهـور · جسد هذه المرأة عجوز لكنه ممشوق · «باسم فرقة باليه شانزليزيه نقـدم الشكر الى الفنان سيف وانلي على لوحاته الرقيقة · هاهي اللوحات» · الجسد العجوز الممشوق يرفع اللوحات ‥ لوحة ‥ لوحة · اللوحة تبدو صغيرة وسط المسرح ‥ لكن الأيدي تصفق · الخجل هو الغذاء الموجود بين هذه الأيدي ‥ الجسد العجوز الممشوق يؤكد أن اللوحات ستعرض في ممرات صالة المسرح ‥ يسـتريح الخجل قليلا ‥ لن تكون اللوحات بعيدة ولن تسافر العيون الى موسيقى الألوان وهي ضئيلة على المسرح ‥ اللوحات تتجه الى الجـدران · عيون شرين تلاحق سيف · عيون جامدة · لونهـا الأخضر ذهب منه البريق · عشب ميت في العيون · الكلمات للجسد العجوز · « سنأخذ هذه اللوحات معنا » ‥ عيون العشب الميت تطل على اللوحات · اطارات اللوحات بيضاء · فرنسية · العجوز حلوة في قاعها شوق لرجل مجهول ·

الناس تتزاحم حول اللوحات . شرين تقف بين الاخرين .. ذابت الذكريات . تجمد القلب . فانى . شارل زهار . الارهاق . أدهم . العيون تنتظر . الباليه الجديد . الرؤية مجردة من عيون سيف . ادهم يرسم الباليه . الأصابع تمتلىء بالدهشة .. تقف عند حافة الاكتشاف .. مجهول ما يسكن أصابع الاثنين . معرض فى القاهرة. ستمائة جنيه .. نقود . أوراق مطبوعة . فرح . اختناق . تجديد المرسم . اليوم مكسور لأنه مشحون . الساعات تتلاحق . العيون تسبق الأنف . العيون تجرد ماتراه . ألوان . فاجنر اقتحم الرواية بالموسيقى . الموسيقى خاتم وسيف . وشراب حب مسحور . وحربة فى بطن الشر . الألوان فى يد ماتيس سافرت الى البهجة وتركت الاحساس الوثير فى اعماق من يراها . بيكاسو ازدهر فى اللحظة التى أهدى فيها أطفاله الى بطن امرأة . الألوان لها موضوع .. الألوان تصمم الباليه . الروح لها رنين . يعلو لحماية حق الانسان من الحزن والفرح وأن يلعب مع الاله لعبة تذهب بالتفاصيل بعيدا . العالم اتفق بينه وبين نفسه أن يحب الحياة وأن يكره الموت .. لكن التفاصيل هى التى تصنع الخوف والحرب والصراع ليلقى الانسان بالتفاصيل بعيدا . عندما ارهقت شعيرات الفرشاة يد سيف .. نام . الآن اليقظة . الجمهور . القضاء . الابتسام . الاعجاب السريع . العيون التى تفهم . العيون التى لا تفهم . كل مافى المسرح يصفق . لا تغير هناك . لا اختلاف بين أى اثنين . لا يقبل الاحساس أن تجرى دماء فى مكان ما .. غير الشرايين .. وشرايين اللحظات مذهولة تائهة مجنونة من التفاصيل . ورغم ذلك يقول الانسان «كيف» ؟ ينطق الانسان «لماذا ؟» . يبرر بالحروف صارخا « لماذا » .. حروف . كلمات . تفاصيل . الصمت . اتساع الرؤية . اختراق الاحساس . تهشيم اشعة القمر على حدود العين وكافة التفاصيل تلخصها الأيام لتصبح آخر النهار اسما .. لعله الأحد .. لعله الاثنين .. لعله أى اسم . وأرقام تلخص الشهور .. وليس هناك

فى الأعوام سوى اتفاق خالد · ان يحب الجميع الحيـــاة وان يكره الجميع الموت ·· كافة الأفكار تغادر الدنيا فى أى غروب طارىء ·· لا يبقى من الدنيا سوى الألوان ·· لا يمكن أن توجد فكرة بلا لون· ولا يوجد لون بلا حركة ·· والحركة هى أى انتظام ·· انها لعوب ·· واللعوب دائما تحمل معنى · خطوات · باليه · حركة · ألوان · وسيلة للتعبير · الدوران فى الهواء · الصدفة وحدها ضد الاقنعة .. وعلى قماش اللوحات لا توجد أقنعة .. لكن الشوارع تمتلىء بالاقنعة · القناع الجـامد ·· والأيدى الممدودة ·· والنظرة التى تتسول ·· والكبرياء التى تلعب دور البوليس والأم المخطوفة منها ابنتها فى بيت زواج ·· والقاضى الجـلاد ·· والقـاتل الضحية والساحر الذى يبيع جنون الأعماق للآخرين والمجنون الهائج بالرقص والشاعر الذى يمسك الكرة الأرضية ينفخ فيهـا فتطير بأنغامه ·· وصانع القضـبان الذى يحبس الجميـع ·· والنبى المحنط كصنم يبتذلونه بالركوع ·· الشـارع أقنعة غريبة ·· تنتهى بالموت ·· الرصاص يطلق فى الشـارع ·· الرصاص ينسـحب بعيـدا ·· المظاهرات ·· لا يوجد فارس واحد يخرج من مسرح الباليه ليقول لكل الأقنعة كفى ·· الألوان على اللوحات · بيكاسو ·· براك ·· أوربا · باريس · لندن · نيويورك ·· بـلاد على خريطة العالم · « يجب أن تسافر » ·· والسفر هروب من اختناق · والقاهرة مدينة تشتعل ·· لكن الشارع فى الاسكندرية يرقب شـيئا · الضحك المتمزق ·· طعنات ·· تجارة كل شىء فى السوق السوداء ·· رحلة الى أوربا ·· ينتهى كل شىء · جمـاعة من الفنـانين تمتطى ظهر مركب ·· «دون كيوشوت» ركب على حصان · لـكن حصان هذه الأيام من الخشب والحديد ·· الأميرة نسل شـاه على المركب ·· هذه الأميرة مصنوعة من لحم الملائكة .. جميلة .. ينسكب منها الجمال عطرا ·· العطر يصل الى أنف سـيف · أدهم يرى انبهار

سيف ٠٠ لو أحب أميرة ٠٠ لو ركعت الأميرة بشفتيها على شفتيك ٠٠
أحلام ٠٠ والأحلام بعيدة ٠٠ الأحلام الآن مع صياد السمك الغريب ٠٠
براك موجود فى فرنسا ٠٠ يشد طائر الشاطر حسن ٠٠ يزوجه طائر
الأميرة النائمة ٠٠ يجسد له العالم بألوان تخفى اشتعالها ٠٠ صياد
السمك الهادىء الذى صادق الثور الأسبانى ٠٠ بيكاسو ٠٠ انه
يجرد الرؤية من الوظيفة ٠٠ السمك ٠٠ امرأة ٠٠ «البايب» ٠٠ حكاية
التفاحة ٠٠ احتواء الرحم لرجولة ما ٠٠ الهدوء والموسيقى ٠٠ براك لو
رأى الأميرة نسل شاه لاحتفظ بها لنفسه من الحرتيت الأمير محمد
عبد المنعم الضخم . المنتفخ . سيد الجنرال الواقف الآن بثقله على
ظهر السفينة ٠٠ صوت حسن فؤاد يهمس باشاعة ضاحكة « فى اوربا
عدد النساء يزيد على الرجال بمليون امرأة » ويضحك سيف ٠٠
حسن فنان يذوب رغبة فى رؤية المستقبل ٠٠ يحاول أن يرى
ابتسامة الأمل فى الغد القادم ٠٠ يحترف عطاء الآخرين مجملات ٠٠
مصمم مجلات ٠٠ حسن يؤمن ان من حق العيون أن تبتهج ٠٠ ومن
حق العقل أن يعرف ٠٠ ومن حق القلب أن يعزف أنشودة بناء الحياة
٠٠ حسن يضحك مع سيف ٠٠ يعرف ان المرأة فى حياة سيف حلم
ما أن يتحقق حتى يموت ٠٠ لن توجد هذه التى ترتشف زجاج
الشوق المهشم فى الأعماق ٠٠ لن توجد التى تلمس أكوام الارهاق
فتذوب ٠٠ « ودورق » النبيذ الملآن الى الأبد من موائد الباحرة ٠٠
لا يذيب شيئا ٠٠ يشرب سيف نصف الدورق ٠٠ يخرج من غرفته
٠٠ يعود للغرفة ٠٠ يجد دورق النبيذ فارغا ٠٠ حسن فؤاد شرب كل
النبيذ ٠٠ عفاريت أوربا تشرب من النبيذ ٠٠ لاشىء يسكر ٠٠
اليونانى ٠٠ مسار أرسطو هنا ٠٠ قال أفلاطون أن تنبؤاته الغريبة
بأن العالم يحكمه الخيال ٠٠ شرب سقراط السم ٠٠ نحت الانسان
الاله ٠٠ وأقام ساحة الأولمب ٠٠ وسرق للخيال أسطورة ازيس
وأزوزيس ٠٠ وأقام تماثيل لزيوس وديانا وأفروديت ومارس ٠٠
آلهة تلعب لعبة صناعة الحياة ٠٠ وصنعها فنان ٠٠ اليونان ٠٠

الباخرة تقف ساعات ·· الأقدام تجرى الى أثينـــا ·· اثينـا نوع آخر من المدن ·· انها اسكندرية أخرى ·· لكن لها طعم «الرتسينا» ·· هذا النبيذ اليونانى العتيق ·· مدينة تبـــدو روح المـــدن ·· لو أخذ واحد فى أثينا طوبة وزرعها فى صـحراء ·· لنبتت شـجرة أخرى ·· شجرة عن المـــدن ·· لا وقت للمتاحف فى أثينـــا ·· البـــاخرة سترحل.·· العيون تصعد الى المركب بعـــد أن تودع جبال الأولمب · الممر الضيق ·· كورنثيا ·· هنا لعبت الأساطير دور السيادة · بحار عجوز يرشد المركب · البحار سكران ·· القبطان يخشى على المركب · الأميرة نسل شاه تلعب مع القبطان لعبة الدفء · ماذا فى هذه العيون · رغبة فى الهرب · الباخرة تتماوج · يبدو العمر صندوقا داخل صندوق آخر اسمه الباخرة · التكعيبية تؤكد نفسها مرة أخرى ·· صناديق ·· فوق صناديق ·· الليـل يذوب فى البحر ·· تأتى رائحة فينسيا · الحمام الأبيض ·· القرميد ·· اللون الأخضر الواضح ·· مدينة غريبة ·· حديثة · تلعب بأقدامها فى البحر ·· طفلة ناضجة تفاجىء بأنوثتها كل لحظة ·· الأصوات تتحدث ·· أصوات تسحب أنفاسها اللاهثة فى دفء القلوب ··شفاه تحتضن شفاها وتشتاق لها من جديد .. مقاه تضحك بزبائنها. الطريق الى ميدان سان باولو ·· ميدان يزدهر بكل البشر · ينفجر اسم مصر على كل لسان · ثورة · ملك يسقط · يوليو ١٩٥٢ ·· الفرح فى الوجوه ·· فجأة وجد الاتفاق على حب الحيـــاة أسلوبا واضحا للتنفيذ · ثورة · الأحلام تركب جياد الأمل · والقطار الذى يحمل المصريين يردد وسام سيد درويش القديم «بلادى ·· بلادى·· بلادى ·· لك حبى وفؤادى» لا أحد يستطيع أن ينام ·· سويسرا·· قادمة ·· الحياء البارد ·· وداعا لسلاح همنجواى ·· الحرب العالمية الثانية · شهدت همنجواى عاشقا ·· وسط الجبـال نادى حبيبته « جولى ·· جوليلى كوكو ·· » الحبيبة ترد عليه ·· الحبيبة تموت ·· سويسرا تحمل حزنا يغطيه الثلج ولا تشرق عليه الشمس ·· ولا

يذوب • حزن واقف كأنه فى انتظار شيء ما •• سويسرا •• ميلاد انتظام الزمن •• لكن هاهى باريس•• بوابة سوداء • تحطيم لبوابة قديمة حكى عنها دانتى •• الرمادى لون جاء من الألم •• أول محطة قطـــار فى باريس تنقل القـــادمين من فينيسيا اسـمها « جاردى ليون » •• تماثيل تأسر استسـلام الضـعف والقسوة •• دار الأوبرا • الباليه • معبد الحياة •• باريس • اللوفر • هنا يدخل سيف • هنا تقابل عيون أدهم أحلام الصور القـديمة •• اللوفر يبدو منحوتا من الحجر •• اللون الأخضر أمامه ••جان دارك الذهبية بعيدا •• البطولة والجنون والألوان • ها هى هضبة العذاب •• مونمارتر •• « كيف يمكن أن تشعرى باحترامى لك » •• « أن تقطع لى جزءا من أذنك الكبيرة » •• فان جوخ •• ساكن المنزل القريب الواقع فى حوارى هضبة العذاب • باريس عاشـقة الحياة رافضة الحزن تلخيص لأنوثة الكرة الأرضية •• المدينة مجنونة بالرمادى • ومن الرمادى يولد الأزرق • ومن الأزاق يولد الأخضر • والعـالم متسع •• تبدو المدينة رحما •• الخيـال يندفـع الى ليل المدينة المتسع • الأيام تلهث « بيكاسو » • براك • لوركا • لقاء لوركا الشاعر المقتول فى مسرح خاص • هناك يتم زفاف القمر للموت ! الأزرق • وصوت الممثلة يعلو بكل الأسى الرقراق فى شعر لوركا•• الدفء هو جسر الهواء فى هذه الليالى •• لكن القطار يقطع المسافة من باريس الى فينسيا •• العودة الى مصر •• احساس صغير يهمس لسيف فى أعماقه « رأيت هذه المـدينة قبل أن أحضر اليهـا » •• القلب جاف •• الحياة تجرى بالتغيير •• قلب سيف يشعر أن سباق الأيام يحتاج الى رحيق أنثوى •• كافـة زهـور الأنوثة تبحث عن الزواج •• والأيام أعلنت تخطى عمر الأربعين •• الزواج اذن فعل مجنون •• والحياة تنتظم فى ايقاع واحد •• لا تحطمه سوى ايقاعات الموسيقى •• الزمن الذى انفض •• لكن ابرة « البيك أب » قادرة على أن تعيد له الحياة وتدق العيون اعـلانات عن وصـول فرقة

موسيقية ٠٠ فرقة موسيقى جاز ٠٠ الجاز موسيقى لاتسمع ٠٠ انها موسيقى الرؤية ٠٠ النعومة والارتجال ٠ الوضوح ٠ انقطاع مفاجىء لنغم عارم لتنبع منه نعومة من نوع آخر ٠٠ تسلل العنف الى الآهة المجنونة ٠٠ « ٠٠ جوجى أنديس » ٠٠ فرقة مشـــهورة ٠٠ الآن يستطيع الليل أن يجد له رفيقا متحركا ٠٠ سيف وأدهم يقفان خلف الكواليس ٠٠ تقع عيون سيف على عيون «مايا» لون أسمر يختنق بدم حار ٠٠ يلتف فى ملابس أوربية ٠٠ نغمة غريبة مجنونة فى صوتها٠ تسبح النغمة فى هدير الأعماق الساكن ٠٠ تنكسر الحكمة ٠٠ يندثر التردد تلتقى العيون ٠ يصبح الهواء بينهما أمواج أشواق ٠ القلب المنهك بأيام العمر يطل ٠ يطلب لنفسه حق ميلاد جديد ٠ الصوت فى «مايا» صداح بالرغبة ٠ اعلان خافت الضـوء حار الملامح ٠ عيونها تأتى الى اللوحات ٠٠ جسدها غناه سيف بالقلم على الورق ٠ فى هذا الجسد هرب جديد ٠٠ يستطيع الحب أن يسبح من شاطىء الارهاق الى شاطىء الراحة ، خطفت مايا السيجارة من فم سيف ٠٠ « لماذا تنظر لى كثيرا ٠٠ لمـــاذا تفكر فى جسدى أكثر من اللازم ٠٠ أنت تهرب منى ٠ انت تكاد تعبدنى ٠٠ لست العـــذراء ٠٠ لذلك أحلم بطفل منك ٠ أنت تشبه أبى ٠٠ حوارى معـك يحتـــاج لآهات ٠ لا يحتاج لحروف٠٠ هذه المغنية تغنى كل الكلمات العارية بابتهال٠٠ تغنى الخاص جدا بابتهال دينى ٠ تقشـعر بالأفكار ٠٠ اللحظـات الساخنة تملأ جو المرسم ٠٠ عندما رحلت مايا٠٠ تجمدت دموع مايا على جنون سيف ٠٠ المرسم تحاصره العيون الشـــابة ٠٠ العيون الشابة ترى فى سيف وأدهم رحلة حياة غريبة ٠٠ القاهرة ترهق سيف وأدهم بالمطالب ٠ الانسان لم يعد يســتطيع أن يلتفت الى الكسل ٠٠ أصبح الكسل حلما قديما ٠٠ اللوحات تسافر٠ اللوحات تجىء ٠ الارهاق ٠٠ السؤال الوحيد الذى لا يقـــوله أحد ٠٠ قاله شـــاب ٠٠ « كيف نرى لوحة ما ؟ » ٠٠ الوجه الأبيض ٠٠ وجه « مخالى » ٠ مخالى الصديق الذى جرح بعيونه أسرار الفن واكتسب

ضحكات التجربة وخلطهـا فى ملامحه البريئة ·· الواقف على باب محل « ايليت » يذوب فى حب الفن ·· يغرق الفنان بالود · « مخالى » اعتذار حي لأى أصابع تسكنها روح الجنون بالألوان · مخالى يرى العين سكينا ·· تشـــق بطن اللوحة ·· تكتشف كل ما فيها من ألوان ·· وتكتشف من الألوان الحكاية · وتترك الأعماق بعدها فى حالة من حالات البهجة · العالم يقف لحظة فى عيون من يرى لوحة جيدة · العيون يجب أن تكون موجودة مع عقارب الساعة وأن تعرف فى أى الأيام نعيش · اللوحات هى نسيج ألوان الزمن وموسيقى السيطرة على حوار الألوان · وحوار العيون مع اللوحة لغة غير لغة الكلمات · أدهم يسمع مخالى · أدهم تتكرمش ملامحه بالألم ·· هناك شيء ما فى معدة هذا الشاب · أوراق أشجار العمر تسقط · الشعر الأبيض يزحف · المرض المتقطع يشكو منه أدهم · يلهو بالألوان · لكن الألوان لا تخترق العذاب الغامض فى المعدة · الرسم هو الحصار والحرية معا · الخيال يزدحم بالرؤية ·· واليد يجب أن ترسم · والعقل يجب أن يفكر فى مواعيد المعارض وترتيب جدول اليوم · الايام تتلاحق بأسنان المطالب الصغيرة · تسربت أسنان المطالب الى معدة أدهم · جاء الشهر الكريه الغاضب · ديسمبر ١٩٥٩ · أوراق الأشجار سقطت·· أدهم يتلوى بالألم · الدموع تخنق سيف · كيف يذهب الآن الى المنزل بمفرده · كلاهما ظل الآخر · صـوت يقول « ليسافر أدهم الى أمريكا » ·· سيف يجرى الى القاهرة · الأوراق فى يد سيف ·· تذاكر الســـفر · تشرق شمس كئيبة · يندفع الى السماء قمر أخرس · جاء يوم عشرين من الشهر الكريه · أدهم يلهو فى الظهر بالقلم الأســـود على الورق الأبيض · أدهم يمد يده الى سيف · يعطيه مجموعة «أجندات» صغيرة · ما الذى حدث ؟ تتجعد شرايين القلب · أدهم يعانى من نمو أشواك الألم القديم ·· الذى يحدث الآن نوع من الانقباض الغريب · أخيرا بعد أن رقصت بقعة

الأمل • وصل شعاع الرجاء الى أرض الحقيقة • الجميع يعرفون الآن رحلة انفجار ألوان سيف وأدهم • لكن القمر بلا ضـــوء لى السماء • فجأة تلاحقت الأنفاس • فجأة تحشرجت الأنفاس • فجأة أعلن الجسد النحيل نهاية الرحلة • مات أدهم •• فجأة انفجر نور الحب باكيا • سيف يبكى • أدهم مات •• الحزن الآن بلا منطق •• الميلاد كالموت •• أدهم مات •• المدينة العذراء تعرف • المدينة تخرج وراء أدهم •• الرحلة الصعبة •• التفاصيل :

« ١٩٤٩ •• الثلاثاء ٤ يناير •• شعرت ببعض التضخم فى الغدة النكفية ••

١٥ يناير •• ذهبت الى العمل رأيت وجع القلب فى الوجوه »••

دموع سيف تلمع أمام الصفحات •• المذكرات الصغيرة ••

رياح خريف العمـــر تغمـر كل شىء •• بيتهوفن يعوى فى الموسيقى •• تشايكوفسكى يسقط بعد بيتهوفن على « البيك أب »

٢ مايو ١٩٤٩ •• رسم أدهم حصانا يرقص على الموسيقى •• انها تعجب العيون القديمة •• وتمرد الوانك يبدو واضحا للعيون الجديدة •• بين القديم والجديد يقف الموت •• يجب أن ينتهى الموت وأن يتساوى العالم وأن يشرق الزمن بوضوح شديد ••

أوراق أدهم تشكو بعد الموت ••

« •• بعض الموظفين يحترفون ارهاق الجميع •• لا أوافقهم على ذلك •• »

ديسمبر ١٩٤٩ •• بعنا ١٥ صورة ••

« فرحتى لا تعبر عنها الكلمات » ••

الأرض بعد أدهم عجوز ••

مايو ١٩٥٠ سقط الحصان ووقع •• رسم أدهم حصانا سقط فى السباق •• الحياة مريرة فى أعماق أدهم •• العالم مهزوم بالموت

.. موكب الصمت .. الباكيات .. سيف يمتلىء بموسيقى سماوية .. فاجنر يقود جنازة الموسيقى .. اليوم هو موعد العاصفة الشريرة على المدينة .. « نوة البحر » .. تأجلت العاصفة .. جاءت في السر وأخذت أنفاس أدهم . سائقو التاكسى يرفضون أخذ أجر . الأصدقاء يحاولون أن يسدوا الفراغ فى حياة سيف . المطر يسقط على المدينة تحية لأدهم ..

سمفونية البطولة التى يحبها أدهم تصبح لوحة لسيف .. تحصل اللوحة على جائزة ..

أصوات التلاميذ تسأل عن التجريد وروح العصر .. هل سيعيش .. ؟

اجابة سيف هى اجابة أدهم .. كل شىء فى الحياة يصعد سلما غير مرئى .. قيل انه الرحلة بين الخروج من الجنة والعودة اليها .. يدق دائما باب العصر عبقرى يكتشف روح المستقبل .. يأتى بعد العبقرى رجل غير مذهول بالاكتشاف تتسع عيناه ليؤكد الاكتشاف القديم .. لتتأكد الحركة الفنية .. أخيرا يأتى الناقد الذى يصدر حكما ما .

الحياة لا تتوقف . الحياة أطياف وأوهام تؤكد وجودها خلال الألوان . سيف يعيش الحوار الصامت مع النفس . الموسيقى تعبر عن نفسها بالألوان . فى القلب دعاء لا تعبر عنه الكلمات . الدعاء ابتهال له صدى بالألوان .. سيف يسجل مايرى .. الكوزال .. الخطوط فى الأيدى تطول .. عصفور الكنارى وقع جانب نافذة المرسم الجديد .. الرحلات تزداد .. المذكرات فى يد سيف ليست كلمات .. ألوان .. مصر اسم أخضر ودائرة بنية .. ومثلث . عازفة الكمان على القماش . الأيدى هى الكمان . والكمان هو القوس . العالم الآن مثلثات .. تتكرر فى عيون سيف . القدر فارس يحارب المجهول بين السماء والأرض . اللون المهمل يهتم به سيف .. يحاول

أن يكمل المشـــوار الصعب • الألوان • باريس • رحلة جديدة • الكبارى الرمادية • شباك الصيد فى الاسكندرية لها تأثير الباليه • ديكور كارمن هذه المرأة الملتهبة بالشـهوة والاحتراق والخيانة • الجسد الانثوى •• المرأة لم تظهر على لوحات سيف عارية •• ها هى الآن عارية •• التـوبة •• رحلة أدهم وسـيف • البيوت قبل أن تغرق •• الشمس والنخيل • آخر أعمال أدهم • تكسر أدهم فى ألوان • ذاب وتغيرت الألوان • الآن أدهم اسم على مدرسة يدرس فيها هواة الفن • حصان دون كيوشت على لوحة لسيف • حصان فى ضوء القمر •

الحياة ألوان • سيف يعرف الصمت • سيف يذوب فى اللون •

◆ ◆ ◆

الرسم والموسيقى والكلمات أول فنون عبر بهـا الانسان عن نفسه ••

الاسم محمد سيف الدين وانلى • الهدف أن يعطى الحب لكل الألوان •

والراحة التى لا تأتى • والابتسـامة التى تسيل من التيل السكران بزيت الكتان الى العيون •

الحب بلا قانون • السرور بلا منطق • الموت كالميلاد • سيف وانلى يحب •• يحب الحياة • يرسم الأعوام •

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٢٨٩ / ٢٠٠٢

I.S.B.N . 977 - 01 - 8179 - X



لقد أدركنا منذ البداية أن تكوين ثقافة المجتمع تبدأ بتأصيل عادة القراءة، وحب المعرفة، وأن المعرفة وسيلتها الأساسية هى الكتاب، وأن الحق في القراءة يماثل تماماً الحق فى التعليم والحق فى الصحة.. بل الحق فى الحياة نفسها.

سوزان مبارك

الثمن ١٥٠ قرشاً